**الكتاب:** مرقد الإمام الحسين (ع)
**المؤلف:** السيد تحسين آل شبيب
**الجزء:**
**الوفاة:** معاصر
**المجموعة:** من مصادر العقائد عند الشيعة الإمامية
**تحقيق:**
**الطبعة:** الأولى
**سنة الطبع:** ١٤٢١
**المطبعة:** شريعت – قم
**الناشر:** دار الفقه للطباعة والنشر
**ردمك:**
**ملاحظات:**

مرقد
الإمام الحسين (ع)
عبر التاريخ
تأليف
السيد تحسين آل شبيب الموسوي

بسم الله الرحمن الرحيم

مؤسسة الفقه للطباعة والنشر
ص. ب. ٣٦٦٣ - ٣٧١٨٥ - الهاتف: ٧٣٤٨٧٣ - ٢٥١ - ٩٨ +
شماره شابك: ٣ - ٣٥ - ٦٩٠٩ - ٩٦٤
اسم الكتاب: مرقد الإمام الحسين (عليه السلام) عبر التاريخ
المؤلف: سيد تحسين آل شبيب الموسوي
الناشر: دار الفقه للطباعة والنشر
الطبعة: الأولى - ١٤٢١ ه. ق
المطبعة: شريعت - قم
عدد الطبع: ١٠٠٠ نسخة
جميع الحقوق محفوظة لمؤسسة الفقه للطباعة والنشر

الإهداء
سيدي أبا الشهداء:
" يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر
وجئنا ببضاعة مزجاة فأوف لنا الكيل
وتصدق علينا إن الله يجزي المتصدقين ".
الموسوي

مقدمة المؤلف
كتب لأرض كربلاء أن تشهد أجل حدث في تاريخ الأمة الإسلامية، وحيث كانت فيها أعنف وقعة عرفها التاريخ بين قوى الخير وقوى الشر.
لقد امتدت أيادي الشر لتحتز وريد سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أهل بيته
وأصحابه، حتى تركوهم مجزرين كالأضاحي على رمضاء كربلاء، غير مستأثمين ولا مستعظمين جريمتهم النكراء هذه، حتى ليبدو للمرء أن لهم حسابا قديما أرادوا تصفيته مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ففعلوا تلك الأفاعيل المنكرة بذريته وأهل بيته.
وإلا فهل كان القوم لا يعرفون الحسين؟ وابن من هو؟ وهم قريبو العهد برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)!
لكنهم لم يكن يروق لهم أن يروا ثبات وانتصار هذا الدين الجديد الذي يدعو إلى القيم السامية وإزالة الفوارق بين المجتمع، والقضاء على مساوئ الجاهلية، كذلك لا يروق لهم أن يروا أهل بيت الرسالة وقد أخذت النفوس تهفو نحوهم، بما امتازوا به من عقيدة ثابتة وإيمان راسخ وأخلاق عظيمة.
لقد وضع مخطط كامل ومدروس منذ اللحظة الأولى التي فارق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فيها الدنيا، وإلا فبماذا نفسر إقصاء أمير المؤمنين (عليه السلام) عن خلافته التي أمر
الله تعالى بها رسوله (صلى الله عليه وآله وسلم).
وكيف نفسر الفتنة التي أشعلها معاوية بعد تسلم الإمام (عليه السلام) لزمام الخلافة وانحياز رموز الشر إلى معاوية تطالبه بشق العصا وإعلان الحرب، ثم التآمر على

قتل أمير المؤمنين (عليه السلام) الذي هو جزء من هذا المخطط، الذي يستمر في تصفية
الذرية الذين أذهب الله عنهم الرجس، فيصل بعدها إلى الإمام الحسن ليقتله بالسم كما هو معروف، ثم أخذ الأمر منحى أكثر شمولية وقسوة حيث تمت تصفية العترة الطاهرة بالحملة في كربلاء.
لقد كانوا يفتخرون بقتل سيد شباب أهل الجنة وأهل بيته، فعندما سأل الحجاج سنان بن أنس، كيف قتلت الحسين؟ قال: دسرته بالرمح دسرا، وهبرته بالسيف هبرا!!
ولم تقتصر جرائم القوم بحق آل البيت (عليه السلام) حتى تعدت إلى أصحابهم المتمسكين بولائهم الذين كانوا يرونهم أكثر جدارة من غيرهم في قيادة الأمة، حتى كان حجر بن عدي ضحية إيمانه الراسخ، وتمسكه بولاء أهل بيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)،
فقتله معاوية مع أصحابه الذين استهجن عمله الشنيع هذا عامة المسلمين، فروي أن عائشة قالت لمعاوية، ودخل عليها بالمدينة: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: " يقتل
بعذراء سبعة نفر يغضب الله وأهل السماء من قتلهم " (١).
وعبد الله بن عمر أيضا من الذين نقموا على معاوية عند قتله لحجر، ففي رواية البلاذري قال: قال ابن عون: أنبأنا نافع، قال: بلغ ابن عمر قتله (أي حجر) وإنه لمحتب في السوق، فأطلق حبوته ومضى، فسمعت نحيبه (٢).
بعد هذا هل وفق طابور الشر من تحقيق مآربه الخبيثة باجتثاث العترة
الطاهرة، وتعطيل دورها الرسالي الذي هو امتداد لرسالة سيدنا ونبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)؟
الجواب معروف، لقد تساقط أصحاب الشر الواحد تلو الآخر وقد خذلتهم فراستهم، وخاب ظنهم فأكل الدهر على أخبارهم وشرب حتى أصبحوا نسيا

---

(١) أنساب الأشراف ٥: ٢٧٤.
(٢) أنساب الأشراف ٥: ٢٧٤.

منسيا.
ولنعد إلى كربلاء البطولة والدم فنقول: عرفت كربلاء التاريخ فدخلته من أوسع أبوابه، وعرفها التاريخ فخلدها كأعظم ملحمة بطولية بين قوى الخير والشر، فإذا حقق أهل الشر نصرا مزعوما تلاشى بعد فترة قصيرة، فأن الدماء الزكية التي سالت على أرض كربلاء أخذت تجني ثمارها شيئا فشيئا فمن أجلها طارت رؤوس، واهتزت عروش، وما انقضاء دولة بني أمية إلا ثمرة من ثمرات كربلاء.
وهكذا ظل الحسين (عليه السلام) المنار الذي يهتدي به أصحاب الفضيلة ومحبو العدل والحرية، وكابوسا جاثما على صدور الطغاة والمجرمين يقض مضاجعهم، وينغص عيشهم، فتارة يهرعون إلى قبره بالهدم والتخريب، وأخرى يضيقون على زائري القبر الشريف بالخوف والتنكيل، لكن هذه الأعمال كلها ذهبت أدراج الرياح ولم يجنوا غير الخيبة والفشل والخذلان.
* * *

كربلاء في التاريخ واللغة
وردت عدة تسميات للبقعة المباركة التي شهدت فصول مأساة آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، مثلما ورد لفظ (كربلاء) بإخبار الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) بمقتل ولده الحسين في هذه البقعة، أما التسميات الأخرى لهذه الأرض فمنها: الطف، شاطئ الفرات، نينوى، النواويس، أرض العراق، أرض بابل، وغيرها.
وسنتطرق لهذه التسميات بنوع من التفصيل.
١ - كربلاء:
اسم قديم في التاريخ يرجع إلى عهد البابليين، وقد استطاع المؤرخون والباحثون التوصل إلى معرفة لفظة " كربلاء " من نعت الكلمة وتحليلها اللغوي، فقيل إنها منحوتة من كلمة (كور بابل) العربية (١).
وهي تعني مجموعة قرى بابلية، فالأطلال الكائنة في شمال غربي كربلاء الحالية استخرج منها بعض الجرار الخزفية، وكان البابليون يدفنون موتاهم فيها.
لذلك يرى الباحثون أن كربلاء: هي أم لقرى عديدة تقع بين بادية الشام وشاطئ الفرات، ويحدثنا التاريخ أنها كانت من أمهات مدن ما بين النهرين الواقعة

---

(١) تراث كربلاء: ١٩.

على ضفاف نهر (بالاكوباس) – الفرات القديم – وعلى أرضها كان معبد للعبادة والصلاة، وقد كثرت حولها المقابر، كما عثر على جثث الموتى داخل أواني خزفية يعود تاريخها إلى ما قبل العهد المسيحي.

أما الأقوام الذين سكنوها فكانوا يعولون على الزراعة لخصوبة تربتها، وقد أخذت كربلاء تزدهر شيئا فشيئا لا سيما على عهد الكلدانيين والتنوخيين واللخميين والمناذرة يوم كانت الحيرة عاصمة لهم (١).

ويرى فريق آخر من المؤرخين: إن لفظة كربلاء، مركبة من كلمتين آشوريتين هما: (كرب) و (إبلا) ومعناهما (حرم الله)، وذهب آخرون إلى أن الكلمة فارسية المصدر، فهم يرون أنها مركبة من كلمتين هما: (كار) و (بالا) (٢) ومعناهما العمل الأعلى أي العمل السماوي، أو بعبارة أخرى محل للعبادة والصلاة.

وأما صاحب دبستان المذاهب فيرى: إن كربلاء كانت في الزمن السالف تحوي بيوت نيران ومعابد المجوس ويطلق عليها بلغتهم " مه يار سور علم " أي المكان المقدس (٣).

لكن أصحاب اللغة ومنهم ياقوت الحموي يرون رد كربلاء إلى أصول عربية وذلك من نحت الكلمة وتحليلها اللغوي.

فكربلاء: بالمد، الكربلة: وهي رخاوة في القدمين، يقال: جاء يمشي مكربلا، فيجوز على هذا أن تكون أرض هذا الموضع " رخوة " فسميت بذلك.

ويقال: كربلت الحنطة إذ هديتها ونقيتها، وينشد في صفة الحنطة:

---

(١) دائرة المعارف الشيعية ٩: ٣٥٧.

(٢) الأغاني ١٢: ٦٣.

(٣) دائر المعارف الشيعية ٩: ٣٥٧.

يحملن صحراء رسوبا للثقل * قد غربلت وكربلت من الفصل
فيجوز على هذا أن تكون هذه الأرض منقاة من الحصى والدغل فسميت بذلك.
والكربل: اسم نبت الحماض، وقال أبو وجزة يصف عهون الهودج:
وثامر كربل وعميم دفلي * عليها والندى سبط يمور
فيجوز أن يكون هذا الصنف من النبت يكثر نبته هناك فسمي به (١).
وذهب ابن منظور مذهب ياقوت الحموي في التحليل اللغوي للفظة كربلاء إلا أنه زاد فيها بقوله:
والكربل: نبت له نور أحمر مشرق، حكاه أبو حنيفة: وأنشد
كأن جنى الدفلى يغشي خدرها * ونوار ضاح من خزامى وكربل
فيجوز أن يكون هذا الصنف من النبت يكثر نبته في هذا الموضع، فسمي به.
وقال أيضا: وكربلاء اسم موضع وبها قبر الحسين بن علي (عليهما السلام)، قال كثير:
فسبط سبط إيمان وبر * وسبط غيبته كربلاء (٢)
وقال صفي الدين البغدادي: هو الموضع الذي قتل فيه الحسين بن علي (عليهما السلام) في طريق البرية عند الكوفة، على جانب الفرات (٣)، وعلى هذا الأساس أطلق عليها اسم (النوائح) وربما اشتقت من كلمة النياح لكثرة البكاء والعويل منذ نزول الحسين (عليه السلام) فيها وذكر ياقوت الحموي أبياتا أنشدها الشاعر معن بن أوس المزني
من قصيدة طويلة:
إذا هي حلت بكربلاء معلعا * فجوز العذيب دونها والنوائحا

---

(١) معجم البلدان ٤: ٤٤٥.
(٢) لسان العرب ١١: ٥٨٦.
(٣) مراصد الاطلاع ٣: ١١٥٤.

فباتت نواها من نواك فطاولت * مع الشانئين الكواشحا
توهمت ربعا بالمعبر واضحا * أبت قرتاه اليوم لا تراوحا (١)
وقال صاحب مجمع البحرين في كربلاء: إن كربلاء موضع معروف بها قبر الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام). روي أنه (عليه السلام) اشترى النواحي التي فيها قبره من
أهل نينوى والغاضرية بستين ألف درهم، وتصدق بها عليهم، وشرط عليهم أن يرشدوا إلى قبره ويضيفوا من زاره ثلاثا (٢).
ومما يدل على كربلاء ووجودها قبل الفتح الإسلامي، ما ذكره الخطيب البغدادي بسند إلى أبي سعيد التميمي قال: " أقبلنا مع علي (عليه السلام) من صفين فنزلنا
كربلاء ". وذكر أيضا قال: " أقبلت من الأنبار مع علي نريد الكوفة وعلي في الناس، فبينا نحن نسير على (شاطئ الفرات) إذ لجج في الصحراء فتبعه ناس من أصحابه، وأخذ ناس على شاطئ الماء، فكنت من أخذ مع علي حتى توسط الصحراء، فقال الناس: يا أمير المؤمنين إنا نخاف العطش، قال: إن الله سيسقيكم، وراهب قريبا منا، فجاء علي إلى مكانه فقال: احفروا هاهنا، فحفرنا، وكنت فيمن حفر، حتى نزلنا - يعني عرض لنا حجر - فقال علي: ارفعوا هذا الحجر. فأعانونا عليه حتى رفعناه، فإذا عين باردة طيبة، فشربنا ثم سرنا ليلا أو نحو ذلك، فعطشنا، فقال بعض القوم: لو رجعنا فشربنا. فرجع الناس وكنت فيمن رجع، فالتمسناها فلم نقدر عليها، فأتينا الراهب فقلنا: أين العين التي هاهنا؟ قال: أية عين؟ قلنا: التي شربنا منها واستسقينا والتمسناها فلم نقدر عليها. فقال الراهب: لا يستخرجها إلا نبي أو وصي (٣).

---

(١) الأغاني ١٢: ٦٣.
(٢) مجمع البحرين ٥: ٤٦١.
(٣) تاريخ بغداد ١٢: ٣٠٥.

أما المرحوم الدكتور مصطفى جواد فإنه يرى محاولة ياقوت الحموي برد (كربلاء) إلى الأصول العربية غير مجدية حيث يقول: وأنا أرى محاولة ياقوت الحموي رد (كربلاء) إلى الأصول العربية غير مجدية، ولا يصح الاعتماد عليها، لأنها من باب الظن والتخمين، والرغبة الجامحة العارمة في إرادة جعل العربية مصدرا لسائر الأمكنة والبقاع، مع أن موقع كربلاء خارج عن جزيرة العرب، وأن في العراق كثيرا من البلدان ليست أسماؤها عربية، كبغداد وصرورا وجوخا وبابل وكوش وبعقوبا.

وإن التاريخ لم ينص على عروبة اسم (كربلاء) فقد كانت قبل الفتح الإسلامي للعراق، وقبل سكنى العرب هناك، وقد ذكرها بعض العرب الذين رافقوا خالد بن الوليد القائد العربي المشهور في غزوته لغرب العراق سنة ١٢ ه - ٦٣٤ م. قال ياقوت الحموي:

ونزل خالد عند فتحه الحيرة كربلاء فشكا إليه عبد الله بن وشيمه النصري الذبان فقال رجل من أشجع في ذلك: (١)

لقد حبست في كربلاء مطيتي * وفي العين حتى عاد غثا سمينها
إذا رحلت من منزل رجعت له * لعمري وأيها إنني لأهينها
ويمنعها من ماء كل شريعة * رفاق من الذبان زرق عيونها

واستطرد المرحوم جواد قائلا: ولقائل أن يقول: إن العرب أوطنوا تلك البقاع قبل الفتح العربي، فدولة المناذرة في الحيرة ونواحيها وكانت معاصرة للدولة الساسانية الفارسية وفي حمايتها وخدمتها. والجواب:

إن المؤرخين لم يذكروا لهم إنشاء قرية سميت بهذا الاسم - أعني كربلاء -

---

(١) موسوعة العتبات المقدسة ٨: ١٠.

غير أن وزن كربلاء ألحق بالأوزان العربية ونقل " فعللا " إلى " فعللاء " في الشعر حسب. فالأول موازن قرقرى وقهقرى، والثاني موازن لعقرباء وحرملاء، زيد همزة كما زيد برنساء (١).

أما الأستاذ انطوان بار فإنه يعزو كلمة كربلاء بقوله:

وقيل عنها قديما " كور بابل " ثم اختصرت إلى اسم كربلاء تسهيلا للفظها، وبابل كما جاءت في نبوة أشعيا هي " صحراء البحر " كانت في سهل متسع يقطعه الفرات، وفيها غدران كثيرة حتى ليظن الناظر إليها بأنها صحراء طافية فوق بحر، فأطلق عليها هذا الاسم وفي هذا التفسير شئ من المعقول: إذ كربلاء منطقة صحراوية حارة، وفيها الفرات وبعض الغدران، وتسمية " صحراء البحر " فيها شبه كبير بتسمية " كور بابل "، فالكور معناه في العربية هو ذلك الجهاز الذي ينفخ الهواء فوق جمر الحداد لإحماء الحديد، وبابل هي " الصحراء الحارة "، فصار اللفظ " كور بابل " يعني – لهب صحراء بابل – كلهب كور الحداد.

وكربلاء تقع على بعد عدة كيلومترات من مشرعة الفرات شمال غرب الكوفة، وكانت في عهد البابليين معبدا، والأسم محرف من كلمتي " كرب " بمعنى معبد أو مصلى أو محرم، " وابلا " بمعنى إله باللغة الآرامية، فيكون معناها " حرم الإله " (٢).

وهذا يؤيده وجود الأطلال في شمال غربي كربلاء الحالية وتستخرج في كربلاء القديمة الكائنة في منها أحيانا الجرار الخزفية، وكان البابليون يدفنون موتاهم فيها (٣).

---

(١) المصدر السابق ٨: ١٣.
(٢) الحسين في الفكر المسيحي: ٣١٣.
(٣) دائر المعارف الشيعية ٩: ٢٥٦.

وفي تعوذ الحسين من الكرب والبلاء، مرادف لفظي آخر جاء متطابقا إلى حد كبير مع لفظة " كربلاء " موصوفة. فالكرب، هو الشدة المصحوبة بالألم. والبلاء هو النهاية وبلية الموت.

ولو نسبنا اللفظة إلى مرادف آخر، لوجدناها تصح بلفظة " كر وبلاء " ومعنى الكر هنا، هو أحد وجهي الهجوم والتراجع في المعارك، وهو ما يعني الهجوم – الكر – لأن التراجع يعني – الفر – وهكذا يقال في وصف معركة: " قتال بين كر وفر "

أي بين إقدام وهروب.

أما لفظة " كربلاء " فمعناها متمم لمعنى لفظة " كر " وبلاء هنا بعد لفظة كر، غير تلك البلاء بعد لفظة كرب، فاللفظان إذا عطفا على ما قبلهما، فسرا معنى ما سبقهما، فالبلاء بعد الكرب، تعني الشدة والموت، وبعد الكر، تعني المضاء والنجاح في القتل والهجوم، وهكذا يقال في وصف أحد الشجعان: " أبلى بلاء حسنا " أي قاتل بشكل جيد وماض.

وعلى هذا القياس تفسر لفظة " كر، بلاء " بمعنى: " إقدام، وبسالة " (١).

ومهما كان من آراء المؤرخين تبقى كربلاء الأرض المباركة التي كرمها الله تعالى حيث ضمت بين جنباتها الجسد الطاهر لريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وامتزجت

تربتها مع دماء العترة الطاهرة من آل الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فتسمية كربلاء كما أخبر

بها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن طريق الوحي هي ربما أبعد مما ذكره المحللون لهذه اللفظة،

فقد أعطى (صلى الله عليه وآله وسلم) تفسيرا واقعيا للفظة كربلاء، إذ ذكر فرات الكوفي في تفسيره: إن

رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لفاطمة (عليهما السلام): " يا بنتاه، ذكرت ما يصيبه بعدي وبعدك من الأذى

والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذ في عصبة كأنهم نجم السماء يتهاون إلى القتل،

---

(١) الحسين في الفكر المسيحي: ٣١٣.

وكأني أنظر إلى معسكرهم، وإلى موضع رحالهم وتربتهم.
قالت: يا أبة، وأين هذا الموضع الذي تصف؟
قال: موضع يقال له: كربلاء، وهي دار كرب وبلاء.. " (١).
نعم: لقد ذكر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أرض كربلاء وقد نعتها بأرض كرب وبلاء قبل
أن يدخل العراق إلى حضيرة الإسلام، وقبل أن تطأ أقدام المسلمين أرض العراق التي قال عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): " يا بني - أي الإمام الحسين - إنك ستساق إلى
العراق وهي أرض قد التقى بها النبيون وأوصياء النبيين " (٢).
إذن كربلاء هي الأرض التي التقى عليها النبيون وأوصياؤهم، وشهدت
أعظم معركة في التاريخ قتل فيها ذرية نبي الأمة (صلى الله عليه وآله وسلم) وهم حديثو العهد به، لا بد أن
تكون أرضا مباركة كرمها الله تعالى وشرفها على بقاع الأرض الأخرى حتى جاءت هذه التسمية مطابقة للفظ والمعنى.
وكانت تحيط بكربلاء عند ورود الحسين (عليه السلام) لها، مجموعة من القرى كالغاضرية ونينوى وعمورا وشاطئ الفرات وغيرها.
٢ - الطف:
بالفتح، والفاء مشددة، وهو في اللغة ما أشرف من أرض العرب على ريف العراق، قال الأصمعي: وإنما سمي طفا لأنه دان من الريف، ومن قولهم: خذ ما طف لك واستعطف (أي ما دنا وأمكن ".

---

(١) أنظر: تفسير فرات: ٥٥، كامل الزيارات ٢: ٦٨ - ٦٩، البحار ٢٢: ٤٤ / ٦٤.
(٢) أنظر: مختصر بصائر الدرجات: ٣٦ - ٣٧ - ٥٠، الرجعة للأسترآبادي ٤٣: ٦٧، إثبات الهداة ١: ٣٢٠
/ ٢٨١، الايقاظ من الهجعة: ٣٥٢ / ٥٩، الأربعون للمجلسي: ٤٠٠، البحار ٤٥: ٨٠ / ٦ و ج ٥٣: ٦١ / ٥٢.

وقال أبو سعيد: سمي الطف لأنه مشرف على العراق، من أطف على الشئ، بمعنى أطل، والطف: طف الفرات أي الشاطئ (١). سمي بذلك لدنوه، قال شبرمه بن الطفيل: (٢)

كأن أباريق المدام عليهم * أوز، بأعلى الطف، عوج الحناجر

والطف هي أرض بادية قريبة من الريف فيها عدة عيون ماء جارية، منها: الصيد والقطقطانة والرهيمة وعين جمل (٣) وذواتها، وهي عيون كانت للموكلين بالمسالح التي كانت وراء خندق سابور الذي حفره بينه وبين العرب، وذلك إن سابور (٤) أقطعهم أرضها يعتلونها من غير أن يلزمهم خراجا، فلما كان يوم ذي قار ونصر الله العرب بنبيه (صلى الله عليه وآله وسلم)، غلبت العرب على طائفة من تلك العيون وبقي بعضها

في أيدي الأعاجم، ثم لما قدم المسلمون الحيرة وهربت الأعاجم بعدما طمت عامة ما كان في أيديها وبقي ما في أيدي العرب فأسلموا عليها وصار ما عمروه من الأرض عشرا، ولما انقضى أمر القادسية والمدائن وقع ما جلا عنه الأعاجم من أرض تلك العيون إلى المسلمين وأقطعوه فصارت عشرية أيضا، وقال الافيشر الأسدي من قصيدة: (٥)

---

(١) معجم البلدان ٤: ٣٥.

(٢) لسان العرب ٩: ١٢١.

(٣) قال ياقوت الحموي: وسميت عين جمل لأن جملا مات عندها في حدثان استخراجها فسميت بذلك، وقيل: إن المستخرج لها كان يقال له جمل: وسميت عين الصيد لكثرة السمك الذي كان بها. انظر: معجم البلدان ٤: ٣٦.

(٤) كانت أياد تغير على السواد وتفسد، فجعل سابور بن هرمز بن ثري بن بهرام، بينه وبينهم مسالح بالأنبار وعين التمر، وغير هاتين الناحيتين، فكانوا إذا أخذوا الرجل منهم، نزعوا كتفه، فسمت العرب سابور " ذا الأكتاف ". انظر: أنساب الأشراف ١: ٣٣.

(٥) معجم البلدان ٤: ٣٥ - ٣٦.

اني يذكرني هندا وجارتها * بالطف صوت حمامات على نبق
بنات ماء معا بيض جآجئها * حمر مناقرها صفر الحماليق
أيدي السحاة بهن الدهر معملة * كأنما لونها رجع المخاريق
أفني قلادي وما جمعت من نشب * قرع القواقيز أفواه الأباريق

وقال الزبيدي " صاحب تاج العروس " (١): والطف قرب الكوفة، وبه قتل الإمام الحسين (رضي الله عنه) سمي به لأنه طرف البر مما يلي الفرات، وكانت يومئذ تجري قريبا منه، قال أبو دهبل الجمحي: (٢)

تبيت سكارى من أمية نوما * وبالطف قتلى ما ينام حميمها
وما أفسد الإسلام إلا عصابة * تأمر نوكاها فدام نعيمها
فصارت قناة الدين في كف ظالم * إذا اعوج منها جانب لا يقيمها

٣ - الحاير:

بعد الألف ياء مكسورة، وراء، وهو في الأصل حوض يصب إليه سيل الماء من الأمطار، سمي بذلك لأن الماء يتحير فيه، ويرجع من أقصاه إلى أدناه، وقال الأصمعي: يقال للموضع المطمئن الوسط المرتفع الحروف حائر وجمعه حوران، وأكثر الناس يسمونه الحائر الحير كما يقولون كعائشة عيشه.

والحائر: قبر الحسين بن علي (رضي الله عنه)، وقال أبو القاسم علي بن حمزة البصري ردا على ثعلب في الفصيح: قيل الحائر لهذا الذي يسميه العامة حيير وجمعه حيران وحوران، قال أبو القاسم: هو الحائر إلا أنه لا جمع له لأنه اسم لموضع قبر الحسين

---

(١) تاج العروس ٦: ١٨٣.
(٢) معجم البلدان ٤: ٣٦. وله أيضا:
مررت على أبيات آل محمد * فلم أرها أمثالها يوم حلت

بن علي (رضي الله عنه)، فأما الحيران فجمع حائر، وهو مستنقع ماء يتحير فيه فيجئ ويذهب.
والحائر: وهي الأرض المنخفضة التي تضم موضع قبر الحسين (عليه السلام) إلى رواق بقعته الشريفة، وقد حار الماء حولها على عهد المتوكل العباسي عام ٢٣٦ ه وكانت للحائر وهدة فسيحة محدودة بسلسلة تلال ممدودة وربوات متصلة في الجهات الشمالية الغربية والجنوبية منه تشكل للناظرين نصف دائرة مدخلها الجهة الشرقية، حيث يتوجه منها الزائر إلى مثوى العباس بن علي (عليهما السلام) (١).
وقال المرحوم الدكتور مصطفى جواد: " فالحائر اسم عربي وكانت أرض كربلاء من مساكن العرب منذ الجاهلية، ولذلك سميت أكبر مدينة في هذا الموضع (عين التمر)، وهذا الاسم المركب الإضافي يحتوي على اسمين عربيين خالصي العروبة. فهل كانت تسمية الحائر قبل الإسلام؟ وقد ذكر ياقوت الحموي في معجم البلدان أيضا: (يوم حائر ملهم أيضا على حنيفة ويشكر) فهذا الحائر كان في جزيرة العرب فيجوز فيه الأمران أعني أنه سمي في الجاهلية بالحائر، وأنه سمي في الإسلام بهذا الاسم " (٢).
وتابع المرحوم مصطفى جواد قائلا: " وقد ذكرنا أن الحائر اسم عربي وأن العرب سكنوا هذه البلاد منذ عصور الجاهلية، فلا بد من أن يكون معروفا قبل استشهاد الحسين (عليه السلام)، لأن هذه التسمية هي والحيرة والحيرة من أصل واحد، وقد
قال ياقوت في كلامه على (الحيرة). وأكثره مذكور في الطبري: " وفي بعض أخبار أهل السير، سار أردشير إلى الاردوان ملك النبط، وقد اختلفوا عليه وشاغبه ملك من ملوك النبط يقال له: باب، فاستعان كل واحد منهما بمن يليه من العرب ليقاتل

---

(١) دائرة المعارف الشيعية ٩: ٣٥٦.
(٢) موسوعة العتبات المقدسة ٨: ٢٢.

بهم آلاف، فبنى الاردوان حيرا، فأنزله من أعانه من العرب، فسمي ذلك الحير الحيرة، كما تسمى القيعة من القاع، وأنزل بابا من أعانه من الأعراب الأنبار وخندق عليهم..

وقال أبو المنذر هشام بن محمد: كان بدء نزول العرب أرض العراق وثبوتهم بها واتخاذهم الحيرة والأنبار إن الله أوحى إلى يوحنا.. أن أئت بختنصر فمره أن يغزو العرب الذين لا أغلاق لبيوتهم ولا أبواب، وأن يطأ بلادهم بالجنود فيقتل مقاتلهم ويستبيح أموالهم، وأعلمهم كفرهم بي، واتخاذهم آلهة دوني وتكذيبهم أنبيائي ورسلي، فأقبل يوحنا من نجران حتى قدم على بختنصر وهو ببابل فأخبره بما أوحي إليه، وذلك في زمن معد بن عدنان، فوثب بختنصر على من كان في بلاده من تجار العرب، فجمع من ظفر به منهم وبنى لهم حيرا على النجف وحصنه، ثم جعلهم فيه ووكل بهم حرسا وحفظة، ثم نادى في الناس بالغزو، فتأهبوا لذلك، وانتشر الخبر فيمن يليهم من العرب، فخرجت إليه الطوائف منهم مسالمين ومستأمنين، فاستشار بختنصر فيهم يوحنا فقال: خروجهم إليك من بلدهم قبل نهوضهم إليك رجوع منهم عما كانوا عليه، فأقبل منهم وأحسن إليهم، فأنزلهم بختنصر السواد على شاطئ الفرات وابتنوا موضع عسكرهم فسموا الأنبار، وخلى عن أهل الحيرة فابتنوا في موضعه وسموها الحيرة لأنه كان حيرا مبنيا، وما زالوا كذلك مدة حياة بختنصر، فلما مات انضموا إلى أهل الأنبار، وبقي الحير خرابا زمنا طويلا لا تطلع عليه طالعة من بلاد العرب، وأهل الأنبار ومن انظم إليهم من أهل الحيرة من قبائل العرب بمكانهم، وكان بنو معد نزولا فيها قدموا إليها من البلاد ففرقتهم حروب وقعت بينهم فخرجوا يطلبون المتسع والريف فيما يليهم من بلاد اليمن ومشارق الشام، وأقبلت منهم قبائل حتى نزلوا البحرين، وبها قبائل من الأزد كانوا نزلوها من زمان عمرو بن عامر ماء السماء..

وكان من اجتماع القبائل بالبحرين وتحالفهم وتعاقدهم زمان ملوك الطوائف الذين ملكهم الإسكندر وفرق البلدان عند قتله دارا، إلى أن ظهر أردشير على ملوك الطوائف وهزمهم ودان له الناس وضبط الملك، فتطلعت أنفس من كان في البحرين من العرب إلى ريف العراق، وطمعوا في غلبة الأعاجم مما يلي بلاد العرب ومشاركتهم فيه، واغتنموا ما وقع بين ملوك الطوائف من الاختلاف، فأجمع رؤساؤهم على المسير إلى العراق، ووطن جماعة ممن كان معهم أنفسهم على ذلك.. ثم قدمت قبائل تنوخ على الاردوانيين (وهم ملوك الطوائف) فأنزلوهم الحيرة التي كان بناها بختنصر والأنبار، وأقاموا يدينون للعجم إلى أن قدمها تبع أبو كرب فخلف بها من لم تكن له نهضة فانضموا إلى الحيرة واختلطوا بهم.. فصار في الحيرة من جميع القبائل من مذحج وحمير وطئ وكلب وتميم، ونزل كثير من تنوخ الأنبار والحيرة إلى طف الفرات وغربيه، إلا أنهم كانوا بادية يسكنون المضال وخيم الشعر ولا ينزلون بيوت المدر، وكانت منازلهم بين الأنبار والحيرة فكانوا يسمون عرب الضاحية، فكان أول من ملك منهم في زمن ملوك الطوائف مالك بن فهم أبو جذعة الأبرش، وكان منزله مما يلي الأنبار، ثم مات فملك ابنه جذيمة الأبرش بن مالك بن فهم، وكان جذيمة من أفضل ملوك العرب رأيا وأبعدهم مغارا وأشدهم نكاية وأظهرهم حزما وهو أول من أجتمع له الملك بأرض العرب وغزا بالجيوش، وكان به برص وكانت العرب لا تنسبه إليه إعظاما له وإجلالا، فكانوا يقولون: جذيمة الوضاح وجذيمة الأبرش، وكانت دار مملكته الحيرة والأنبار وبقعة وهيت وعين التمر وأطراف البر إلى الغمير إلى القطقطانة وما وراء ذلك، يجبى إليه من هذه الأعمال الأموال وتفد عليه الوفود.

ونستدل بهذا الخبر على إمكان كون (الحائر) من وضع العرب في أيام الجاهلية، لأنه لا صلة لاشتقاقه بالقتل والفتك ولا بالاستشهاد ولا بالدفن حتى

يكون ظهوره مشروطا بأحد هذه المعاني " (١).

٤ – الغاضرية:

بعد الألف ضاد معجمة، منسوبة إلى غاضره من بني أسد، وهي قرية من نواحي الكوفة قريبة من كربلاء (٢).

ويظهر أن الغاضرية ليست قديمة التاريخ فهي أنشئت بعد انتقال قبيلة بني أسد إلى العراق في صدر الإسلام (٣). وهي أرض منبسطة وتقع اليوم في الشمال الشرقي من مقام أو شريعة الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) على العلقمي بأمتار وتعرف بأراضي الحسينية (٤).

وعن أبي جعفر (عليه السلام) إنه قال: الغاضرية هي البقعة التي كلم الله فيها موسى بن عمران، وناجى نوحا فيها، وهي أكرم أرض الله، ولولا ذلك ما استودع أولياءه وأنبياءه، فزوروا قبورنا بالغاضرية (٥).

٥ – نينوى:

بكسر أوله، وسكون ثانيه، وفتح النون والواو، بوزن طيطوى، بسواد الكوفة ناحية يقال لها نينوى، منها كربلاء التي قتل بها الحسين (رضي الله عنه) (٦) وكانت على

---

(١) موسوعة العتبات المقدسة ٨: ٢٣.
ذكر ابن الأثير ١: ٢٧٧ إنه سار ملك من اليمن إلى الأنبار فلما انتهى إلى موضع الحيرة تحير راجعه في الكامل.
(٢) معجم البلدان ٤: ١٨٢.
(٣) موسوعة العتبات المقدسة ٨: ٣٤.
(٤) دائر المعارف الشيعية ٩: ٣٥٦.
(٥) المستدرك ١٠: ٣٢٤.
(٦) معجم البلدان ٥: ٣٣٩.

نهر العلقمي، وكانت قرية عامرة في العصور الغابرة، تقع شمال شرقي كربلاء، وهي الآن سلسلة تلول أثرية ممتدة من جنوب سدة الهندية حتى مصب نهر العلقمي في الأهوار وتعرف بتلول نينوى (١).

٦ – شفيه:

وهي بئر حفرتها بنو أسد بالقرب من كربلاء، وأنشأت بجانبها قرية، وكان الحسين (عليه السلام) عندما حبسه الحر بن يزيد الرياحي عن الطريق، وأم كربلاء، أراد أن

ينزله في مكان لا ماء فيه، قال أصحابه: دعنا ننزل في هذه القرية يعنون نينوى، أو هذه القرية يعنون الغاضرية، أو هذه القرية يعنون شفيه، وإن الضحاك بن عبد الله القرشي المشرفي عندما اشتد الأمر على الحسين (عليه السلام) يوم عاشوراء وبقي وحيدا

استأذن الحسين (عليه السلام) بالانصراف لوعد كان بينهما (أن ينصره متى كان كثير الأنصار)

فاستوى على ظهر فرسه فوجهها نحو العسكر، فأفرجوا له وافترق صفوفهم، ثم تبعه خمسة عشر فارسا حتى جاء شفيه فألتجأ بها وسلم من القتل.

٧ – العقر:

قال ياقوت الحموي: " العقر بفتح أوله وسكون ثانيه.. منها عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة. وهي قرية في الشمال الغربي من الغاضرية وبأطلالها أثريات مهمة (٢).

وقد روي أن الحسين (عليه السلام) لما انتهى إلى كربلاء وأحاطت به خيل عبيد الله بن

زياد قال: ما اسم هذه القرية؟ وأشار العقر، فقيل له: اسمها العقر. فقال: نعوذ بالله من العقر، فما اسم هذه الأرض التي نحن فيها؟ قالوا: كربلاء، فقال: أرض

---

(١) دائرة المعارف الشيعية ٩: ٣٥٦.

(٢) المصدر السابق ٩: ٣٥٦.

كرب وبلاء. وأراد الخروج فمنع حتى كان ما كان.
وقتل في العقر أيضا يزيد بن الملهب بن أبي صفرة في سنة ١٠٢ ه، وكان خلع طاعة بني مروان، دعا إلى نفسه وأطاعه أهل البصرة والأهواز وفارس وواسط، وخرج في مائة وعشرون ألفا، فندب له يزيد بن عبد الملك أخاه مسلمة، فواقعه في العقر من أرض بابل، فأجلت الحرب عن قتل يزيد بن الملهب (١).
وقال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد: كان يقال: ضحى بنو حرب بالدين يوم كربلاء، وضحى بنو مروان بالمروءة يوم العقر، فيوم كربلاء يوم الحسين بن علي وأصحابه، ويوم العقر يوم قتل يزيد بن المهلب وأصحابه.
قال الكلبي: " نشأت والناس يقولون: ضحى بنو أمية بالدين يوم كربلاء، وبالكرم يوم العقر " (٢).
٨ - النواويس:
كانت مقبرة عامة للنصارى قبل الفتح الإسلامي، وتقع في أراضي ناحية الحسينية قرب نينوى (٣).
٩ - عين التمر:
قال ياقوت الحموي: بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة بقربها موضع يقال له: شفاثا، منها يجلب القسب والتمر إلى سائر البلاد، وهو بها كثير جدا، وهي على طرف البرية، وهي قديمة افتتحها المسلمون في أيام أبي بكر على يد خالد بن

---

(١) الكامل في الأدب ٣: ٢٤٨.
(٢) وفيات الأعيان ٢: ٤.
(٣) دائرة المعارف الشيعية ٩: ٣٥٦.

الوليد في سنة ١٢ ه.
وكان فتحها فسبى نساءها وقتل رجالها، فمن ذلك السبي والدة محمد بن سيرين، وسيرين اسم أمه، وحمران بن أبان مولى عثمان بن عفان، وفيها يقول عبيد الله بن الحر الجعفي في وقعة كانت بينه وبين أصحاب مصعب (١):

ألا هل أتى الفتيان بالمصر إنني * أسرت بعين التمر أورع ما جدا
وفرقت بين الخيل لما تواقفت * بطعن امرئ قد قام من كان قاعدا

وفي الفتح الإسلامي للعراق قالوا: ولما فرغ خالد من الأنبار، واستحكمت له، استخلف على الأنبار الزبرقان بن بدر، وقصد لعين التمر، وبها يومئذ مهران بن بهرام في جمع عظيم من العجم، وعقة بن أبي عقة في جمع عظيم من العرب من النمر وتغلب وأياد ومن فهم (٢).

وذكر أبو الفرج الأصفهاني: " إن سابور الثاني الملقب بذي الأكتاف حاصر مدينة الحضر بين دجلة والفرات على الأنهار وأفتتحها وسبي النضيرة ابنة ملكها وخرب المدينة، وحمل النضيرة فأعرس بها بعين التمر " (٣).

ويظهر من هذه الروايتين بأن مدينة عين التمر كانت عامرة قبل الفتح الإسلامي للعراق. قال الدكتور جواد: " واختياره لعين التمر دليل على أن فيها بنيانا ملوكيا يصلح لأن يكون موضعا للعرس، وما أحرى حصن الأخيضر بذلك فإنه حصن ملوكي حقا " (٤).

* * *

---

(١) معجم البلدان ٤: ٣٦.
(٢) الطبري ٣: ٣٧٦.
(٣) الأغاني ٢: ١٤١.
(٤) موسوعة العتبات المقدسة ٨: ٣٠.

الفصل الثاني
إخبار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
بمقتل الحسين (عليه السلام) في كربلاء
المقدمة:
نعى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أهل بيته وعترته الطاهرة، بما يلاقون بعده من المصائب
والويلات، والنوائب الفادحة، والقتل الذريع، كل هذه المصائب تحل بساحة أهل بيته وفلذة كبده، وكأنه (صلى الله عليه وآله وسلم) يراها من وراء ستر رقيق.
وقد كان (صلى الله عليه وآله وسلم) طيلة حياته الشريفة كئيبا حزينا والشجو والأسى لا يفارقانه،
لذلك فهو (صلى الله عليه وآله وسلم) كان دائما يحث أمته على التمسك بأهل بيته وحفظهم وصونهم
مراعاة لحقه فيهم، وكونهم أعدال الثقلين المتفق عليهما، ولن يتفرقا حتى يردا عليه (صلى الله عليه وآله وسلم) الحوض. كما أورد المحب الطبري أنه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: " إن الله جعل أجري
عليكم المودة في أهل بيتي وإني سائلكم غدا عنهم "، وقد جاءت الوصية الصريحة بهم في عدة أحاديث منها حديث " إني تارك فيكم ما إن تمسكتم لن تضلوا بعدي، الثقلين أحدهما أعظم من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي ولن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما " (١). وفي رواية أخرى، " كأني دعيت فأجبت، إني قد تركت فيكم الثقلين

---

(١) العمدة: ٦٨ ح ٨٢.

أحدهما آكد من الآخر: كتاب الله عز وجل وعترتي، أي بالمثناة، فانظروا كيف تخلفوني فيهما فأنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض " (١)، وفي رواية: " وإنهما لن يتفرقا حتى يردا علي الحوض، سألت ربي ذلك لهما فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فأنهم أعلم منكم " (٢). فهو (صلى الله عليه وآله وسلم) يصرح في أكثر
من موضع بأنهم أئمة الهدى، ومثلهم مثل القرآن في إنقاذ البشرية من تيه الضلالة وحيرة الجهالة، إلى الحياة السعيدة. كما صرح (صلى الله عليه وآله وسلم) كونهم سفينة نجاة الأمة، كما
في حديث السفينة الصحيح الثابت: " مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا، ومن تخلف عنها غرق " (٣)، وأخرج الحاكم في المستدرك عن جابر (رضي الله عنه) قال:
قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): " النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهبت جاءهم ما يوعدون،
وأنا أمان لأصحابي فإذا ذهبت أتاهم ما يوعدون، وأهل بيتي أمان لأمتي فإذا ذهب أهل بيتي أتاهم ما يوعدون " (٤).
وفي رواية من أبغضنا أهل البيت حشره الله يهوديا وإن شهد لا إله إلا الله (٥).
كما أكد لأمته (صلى الله عليه وآله وسلم) كون حب أهل البيت وولائهم شرطا عاما في قبول مطلق
الأعمال والطاعات والقربات، من الصلاة والصلات والحج والصوم وغيرها، كما جاء منصوصا عليه في جملة من الأحاديث (٦).
لكن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان على يقين بأن أمته سوف تمتهن حرمة عترته

---

(١) العمدة: ٧١ ح ٨٨.
(٢) الصواعق المحرقة: ٢٢٨.
(٣) أنظر: العمدة: ٣٥٩ ح ٦٩٥، مناقب ابن المغازلي: ١٣٣.
(٤) المستدرك ٢: ٤٤٨.
(٥) الصواعق المحرقة: ٢٤٠.
(٦) سيرتنا وسنتنا: ٢١.

الطاهرة كما أخبره الأمين جبرائيل (عليه السلام)، وتقصيهم عن مراتبهم التي رتبهم الله فيها،
بل سوف تذهب أبعد من هذا من سفك دمائهم وسبي ذراريهم، لا يراعون
لرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) حقا ولا حرمة، لكنه (صلى الله عليه وآله وسلم) أراد أن يلقي على أمته ويعذر فيما
يرتكبون من جرائم وآثام بحقهم (سلام الله عليهم). فكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يحذرهم في
مناسبات كثيرة وينذرهم بيوم المعاد.
قال ابن عباس: خرج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قبل موته بأيام يسيرة إلى سفر له، ثم رجع
وهو متغير، محمر الوجه، فخطب خطبة بليغة موجزة وعيناه تهملان دموعا قال فيها:
" أيها الناس إني خلفت فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، وأرومتي، ومزاج مائي، وثمرتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض، إلا وإني أنتظرهما، ألا وإني لا أسئلكم في ذلك إلا ما أمرني ربي أن أسألكم به المودة في القربى، فانظروا لا تلقوني على الحوض وقد أبغضتم عترتي وظلمتموهم، ألا وإنه سترد علي في القيامة ثلاث رايات من هذه الأمة: راية سوداء مظلمة فتقف علي، فأقول من أنتم؟ فينسون ذكري ويقولون: نحن أهل التوحيد من العرب. فأقول: أنا أحمد نبي العرب والعجم. فيقولون: نحن أمتك يا أحمد، فأقول لهم: كيف خلفتموني من بعدي في أهلي وعترتي وكتاب ربي؟ فيقولون: أما الكتاب فضيعناه وفرقناه، وأما عترتك فحرصنا على أن ننبذهم عن جديد الأرض. فأولي وجهي عنهم، فيصدرون ظماء عطاشا مسودة وجوههم، ثم ترد علي راية أشد سوادا من الأولى، فأقول لهم: من أنتم؟ فيقولون كالقول الأول بأنهم من أهل التوحيد، فإذا ذكرت لهم اسمي عرفوني، وقالوا: نحن أمتك، فأقول لهم: كيف خلفتموني في الثقلين الأكبر والأصغر؟ فيقولون: أما الأكبر فخالفناه، وأما الأصغر فخذلناه ومزقناه كل ممزق، فأقول لهم: إليكم عني فيصدرون ظماء عطاشا مسودة وجوههم.

ثم ترد علي راية أخرى تلمع نورا، فأقول لهم: من أنتم؟ فيقولون: نحن كلمة أهل التوحيد والتقوى، ونحن أمة محمد، ونحن بقية أهل الحق الذين حملنا كتاب ربنا، فحللنا حلاله وحرمنا حرامه، واجبنا ذرية محمد فنصرناهم بما نصرنا به أنفسنا، وقاتلنا معهم، وقتلنا من ناوأهم. فأقول لهم: أبشروا أنا نبيكم محمد، ولقد كنتم في دار الدنيا كما وصفتم، ثم أسقيهم من حوضي، فيصدرون رواء (١).

وحديث آخر للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) كما أخرجه الحافظ أبو بكر بن أبي شيبة قال:

حدثنا معاوية بن هشام، عن علي بن صالح، عن زيد بن أبي زياد، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبد الله بن مسعود، قال: بينما نحن عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، إذ أقبل

فئة من بني هاشم، فلما رآهم النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) اغرورقت عيناه وتغير لونه، قال: فقلت

له: ما نزال نرى في وجهك شيئا نكرهه، قال: إنا أهل البيت اختار الله لنا الآخرة على الدنيا، وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء وتشريدا وتطريدا، حتى يأتي قوم من المشرق، معهم رايات سود، يسألون الحق فلا يعطونه، فيقاتلون فيضربون فيعطون ما سألوا فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلي رجل من أهل بيتي فيملأها قسطا كما ملؤوها جورا، فمن أدرك ذلك منكم فليأتهم ولو حبوا على الثلج (٢).

وأخرج الشريف النسابة أبو الحسين العبيدي الحقيقي، في كتابه أخبار المدينة، عن طريق مولانا أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: قال (رضي الله عنه): زارنا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)

فعملنا له خزيرة، وأهدت لنا أم أيمن قعبا من لبن، وصفحة من تمر، فأكل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأكلنا معه، ثم توضأ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فمسح رأسه وجبهته ولحيته بيده،

ثم استقبل فدعا الله بما شاء، ثم أكب على الأرض بدموع غزيرة، يفعل ذلك ثلاث

---

(١) إحقاق الحق: ٩: ٣٥٥.

(٢) أخرجه ابن ماجة في سننه ح ٤٠٨٢.

مرات، فتهيبنا رسول لله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن نسأله، فوثب الحسين على ظهر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)
فبكى فقال له: بأبي وأمي ما يبكيك؟ قال: يا أبت رأيتك تصنع شيئا ما رأيتك تصنع مثله، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا بني سررت بكم اليوم سرورا لم أسر مثله
قط، وإن حبيبي جبريل أتاني وأخبرني أنكم قتلى، وأن مصارعكم شتى، فأحزنني ذلك ودعوت الله لكم بالخيرة (١).
لكن على الرغم من تحذيرات رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أمته، ووصاياه المتكررة على
التمسك بولاية أهل بيته، كيف خلفوه فيهم؟ لقد قتلوهم شر قتلة، وجهدوا في وضع الأحاديث الكاذبة في حقهم.
لكن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يدرك تلك الحقيقة وما تؤول إليه عاقبة أهل بيته،
فكان (صلى الله عليه وآله وسلم) مدة حياته يبدو الحزن والكآبة في أساريره، فكان منغص العيش يسر
الزفرة، ويخفي الحسرة، ويجرع الغصة.. مهما وجد جوا صافيا يعالج لوعة فؤاده، ويطفي لهفة قلبه، ويخمد ثائرة الحزن بأن يضم أحدا من أهله إلى صدره، ويشمه ويقبله، ساكبا عبرته، باكي العينين، وفي لسانه ما يتسلى به خاطره.
فتراه يلتزم عليا سيد عترته وابن عمه وأبا ولده في قارعة الطريق ويقبله
ويكرر قوله: بأبي الوحيد الشهيد. كما أخبرت بذلك السيدة عائشة أم المؤمنين فيما أخرجه عنها الحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده، وأخذه عنه جمع من الأعلام.
وأخرج الحفاظ بأسانيدهم الصحيحة عن ابن عباس قال: خرجت أنا
والنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلي (رضي الله عنه) في حيطان المدينة، فمررنا بحديقة فقال علي (رضي الله عنه): ما أحسن
هذه الحديقة يا رسول الله! فقال: حديقتك في الجنة أحسن منها. ثم أومأ بيده إلى رأسه ولحيته، ثم بكى حتى علا بكاؤه. قيل: ما يبكيك؟ قال: ضغائن في صدور

---

(١) أخرجه الخوارزمي في مقتل الحسين.

قوم لا يبدونها لك حتى يفقدوني.
وفي لفظ عن أنس بن مالك: ثم وضع النبي رأسه على إحدى منكبي علي فبكى، فقال له: ما يبكيك يا رسول الله؟ قال: ضغائن في صدور أقوام لا يبدونها حتى أفارق الدنيا (١).
وكان (صلى الله عليه وآله وسلم) يستخفيه عن صبره وجلده، ويقول (صلى الله عليه وآله وسلم) له (عليه السلام): كيف صبرك إذا خضبت هذه من هذه؟ وأهوى بيده إلى لحيته ورأسه. فقال علي: أما بليت ما بليت فليس ذلك من طريق مواطن الصبر، وإنما هو من مواطن البشرى والكرامة (٢).
فيتسلى (صلى الله عليه وآله وسلم) لذلك الكلام الطيب المعرب عن عظمة نفسيات علي (عليه السلام) ومبلغ تفانيه
في الله تعالى.
وتراه يضم (صلى الله عليه وآله وسلم) أبا محمد الحسن السبط إلى صدره ويقبله من فمه وسرته
متيقنا بأن أحشاءه من فمه إلى سرته ستقطع بالسم النقيع، ويضم الحسين السبط إليه ويشمه ويقبله ويقبل منه مواضع السيوف والرماح والطعون، ويخص من جوارحه بالقبلة شفتيه، علما منه بأنهما ستضربان بالقضيب.
وأما الصديقة الطاهرة فإنها لما يخبرها أبوها (صلى الله عليه وآله وسلم) بأنها أسرع لحوقا به من
أهل بيته يسرها هذا النبأ وتأنس به، وإن هو إلا لعلمها بأن حياة آل محمد حفت بالمكاره والقوارع والطامات، ولولا الحذر والجزع من تلكم المصائب الهائلة النازلة بساحتهم فأي مسوغ للزهراء في استيائها من حياتها؟ وحياتها السعيدة هي أحسن حياة وأحلاها وأسعدها وأجملها وأعظمها فخرا، زوج في شاكلة أبيها في فضائله وفواضله، وأولاد من البنين مثل الحسنين ريحانتي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) سيدي

---

(١) تاريخ دمشق ترجمة الإمام علي ٢: ٣٢١ - ٣٢٧.
(٢) سرتنا وسنتنا: ٣٠.

شباب أهل الجنة، لا يمثلون بنظير، ويقصر عن بلوغ نعتهما وصف كل بليغ طلق ذليق، ومن البنات مثل العقيلة زينب جوهرة القدس والكمال والشرف والمنعة.
فلماذا تستاء عندئذ فاطمة من الحياة وهي بعد في عنفوان شبابها الغض لم تبلغ فناها، ولم تنل آمالها من الحياة؟ ولماذا تدعو وتسأل ربها أن يعجل لها وفاتها، وهي بعد لم تدرك مرارة الدنيا، وتفدي دونها كل تليد وطارف؟
ولماذا ترفع اليد عن حضانة أولادها، وتفرغ منهم حجرها، وترضى بيتمهم، وهم بعد ما شبوا وما زهوا؟ ولماذا تحب فراق بعلها، وتدع حبيبها أليف الأسى والهم والجوى، حزنه بعدها سرمد، وليله في فراقها مسهد؟ ولماذا ذلك الفرح والجذل من اقتراب الأجل ودنو الموت؟
إن كل هذه إلا تخلص من هول تلكم النوائب التي كانت تعلمها من أبيها الصادق الصدوق. ولم تك فاطمة (عليها السلام) تتصور لنفسها منجى ومرتجى وملجأ تثق
بالطمأنينة لديها، وسكون الخاطر في حماها غير جوار ربها الكريم.
ماذا تصنع فاطمة بالحياة وهي ترى أباها (صلى الله عليه وآله وسلم) طيلة حياته حليفا للشجون؟
قد قضى حياته بعين عبرى، وقلب مكمد محزون، وزفرة وحسرة ولهفة دفينة بين جوانحه كمدا على أهل بيته، يقيم لحسينه المآتم من يوم ولادته ومن يوم كان رضيعا وفطيما وفتيا، وقد أتخذت بيوت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) دار حزن وبكاء منذ ولد
ريحانة رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) الحسين العزيز، يأتي إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) ملائكة ربه أفواجا وزرافات
ووحدانا، حينا بعد حين، مرة بعد أخرى، بين فينة وفينة، ينعون الحسين، ويأتون إليه (صلى الله عليه وآله وسلم) بتربته ممثلين بذلك مصرعه ومقتله.
ومن هنا سنتطرق إلى ذكر ما ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بما يحل بعترته
الطاهرة في (عليه السلام) كربلاء.
فقد أخبر رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن طريق الأمين جبرائيل بأن ولده الحسين (عليه السلام)

يقتل بأرض يقال لها كربلاء، والطف، وشاطئ الفرات، وقد نعى (صلى الله عليه وآله وسلم) فلذة كبده
الحسين السبط منذ يوم ولادته:
- أخرج الحاكم النيسابوري، في المستدرك على الصحيح، قال:
أخبرنا أبو عبد الله محمد بن علي الجواهري ببغداد، حدثنا الأحوص محمد بن الهيثم القاضي، حدثنا محمد بن مصعب، حدثنا الأوزاعي، عن أبي عمار شداد بن عبد الله، عن أم الفضل بنت الحارث، إنها دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقالت: يا
رسول الله إني رأيت حلما منكرا الليلة. قال: وما هو؟ قالت: إنه شديد! قال: ما هو؟ قالت: رأيت كأن قطعة من جسدك قطعت ووضعت في حجري! فقال
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): رأيت خيرا، تلد فاطمة إن شاء الله غلاما يكون في حجرك،
فولدت فاطمة الحسين فكان في حجري، كما قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فدخلت يوما
إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فوضعته في حجره، ثم حانت مني التفاتة فإذا عينا رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم) تهريقان من الدموع. قالت: فقلت: يا نبي الله بأبي أنت وأمي مالك؟ قال:
أتاني جبرئيل (عليه السلام) فأخبرني أن أمتي ستقتل ابني هذا. فقلت: هذا؟ فقال: نعم، وأتاني بتربة من تربته حمراء (١)
- أخرج الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي قال: أخبرنا أبو القاسم بن
محمد المفسر، أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله الحفيد، حدثنا أبو القاسم عبد الله بن أحمد بن عامر الطائي بالبصرة، حدثني أبي، حدثني علي بن موسى، حدثني أبي
موسى بن جعفر حدثني أبي جعفر بن محمد، حدثني أبي محمد بن علي، حدثني
أبي علي بن الحسين، قال: حدثتني أسماء بنت عميس قالت: قبلت جدتك
بالحسن والحسين... فلما ولد الحسين جاءني النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال:
يا أسماء هاتي

---

(١) أنظر: المستدرك ٣: ١٧٩، تاريخ دمشق: ٢٦٥، الخوارزمي ١: ١٥٩.

ابني فدفعته إليه في خرقة بيضاء فأذن في أذنه اليمنى، وأقام في اليسرى، ثم وضعه في حجره وبكى، قالت: فقلت: فداك أبي وأمي مم بكاؤك؟ قال: على ابني هذا، فقلت: إنه ولد الساعة، قال: يا أسماء تقتله الفئة الباغية لا أنالهم الله شفاعتي، ثم قال: يا أسماء لا تخبري فاطمة بهذا، فإنها قريبة عهد بولادته (١).

- أخرج الحافظ الطبراني في المعجم، قال: حدثنا علي بن سعيد الرازي، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة المروزي، نا علي بن الحسين بن وافد، نا أبي، نا أبو غالب عن أبي أمامة، قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لنسائه: لا تبكوا هذا
الطفل (يعني الحسين) قال: وكان يوم أم سلمة، فنزل جبرئيل فدخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وقال لأم سلمة: لا تدعي أحدا يدخل، فأخذته أم سلمة فاحتضنته
وجعلت تناغيه وتسكته، فلما اشتد في البكاء خلت عنه، فدخل حتى جلس في حجر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال جبرئيل للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): إن أمتك ستقتل ابنك هذا، فقال
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يقتلونه وهم مؤمنون بي؟ قال: نعم يقتلونه.
فتناول جبريل تربة فقال: كذا وكذا، فخرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقد احتضن
حسينا كاسف البال، مهموما، فظنت أم سلمة أنه غضب من دخول الصبي عليه، فقالت: يا نبي الله، جعلت لك الفداء، إنك قلت لنا: لا تبكوا هذا الصبي، وأمرتني أن لا أدع أحدا يدخل عليك، فجاء فخليت عنه، فلم يرد عليها، فخرج إلى
أصحابه وهم جلوس. فقال: إن أمتي يقتلون هذا، وفي القوم أبو بكر وعمر، (وكانا أجرأ القوم عليه) فقالا: يا نبي الله يقتلونه وهم مؤمنون؟!
قال: نعم، وهذه تربته، فأراهم إياها (٢).

---

(١) أنظر: الخوارزمي ١: ٧٨، ذخائر العقبى: ١١٩.
(٢) أنظر: مجمع الزوائد ٩: ١٨٩، تاريخ الإسلام ٣: ١٠، سير أعلام النبلاء ٤: ١٩٤، إحقاق الحق ١١: ٣٩٤.

– أخرج الحافظ ابن عساكر قال: أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الباقي، حدثنا أبو محمد الحسن بن علي إملاء.
وأخبرنا أبو نصر بن رضوان، وأبو غالب محمد بن الحسن، وأبو محمد عبد الله بن محمد قالوا: حدثنا محمد الحسن بن علي، نا أبو بكر بن مالك، نا إبراهيم بن عبد الله، نا حجاج، نا حماد بن أبان عن شهر بن حوش، عن أم سلمة قالت:
كان جبريل عند النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والحسين معي، فبكى فتركته فدنا من النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)
فقال جبريل: أتحبه يا محمد؟ فقال: نعم. قال: إن أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها فأراه إياها، فإذا يقال لها: كربلاء (١).
– عن خالد بن مخلد ومحمد بن عمرة، قالا: حدثنا موسى بن يعقوب الزمعي، قال: أخبرني هاشم بن هاشم بن عتبة بن أبي وقاص، عن عبد الله بن وهب بن زمعة، قال: أخبرتني أم سلمة أن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اضطجع ذات يوم للنوم
فاستيقظ فزعا وهو خاثر! ثم اضطجع واستيقظ وهو خاثر دون المرة الأولى، ثم اضطجع فنام فاستيقظ فزعا وبيده تربة حمراء يقلبها بيده وعيناه تهرقان بالدموع!
فقلت: ما هذه التربة يا رسول الله؟ فقال: أخبرني جبريل أن ابني الحسين يقتل بأرض العراق! فقلت لجبريل: أرني تربة الأرض التي يقتل بها، فجاء بها فهذه تربته (٢).
– عن يعلى ومحمد ابنا عبيد، قالا: حدثني موسى الجهني عن صالح بن

---

(١) ميزان الاعتدال ١: ٨.
(٢) رواه ابن سعد في الطبقات (الملحق): ٤٣، والطبراني في المعجم الكبير: ٢٨٢، والحاكم في المستدرك ٤: ٣٩٨، والبيهقي في دلائل النبوة ٦: ٤٦٨، وفي سير أعلام النبلاء ٣: ٢٩، وفي تذكرة الخواص: ٢٥٠، وفي كنز العمال ١٢: ١٢٦.

أربد النخعي، قال: قالت أم سلمة: قال لي نبي الله: اجلسي بالباب فلا يلج علي أحد فجاءه الحسين وهو وضيف فذهبت تناوله فسبقها فدخل.
قالت: فلما طال علي خفت أن يكون قد وجد علي فتطلعت من الباب فإذا في كف النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) شئ يقلبه، والصبي نائم على بطنه ودموعه تسيل.
فلما أمرني أن أدخل قلت: يا رسول الله، إن ابنك جاء فذهبت أتناوله فسبقني، فلما طال علي فتطلعت من الباب فرأيتك تقلب شيئا في كفك والصبي نائم على بطنك ودموعك تسيل!
فقال: إن جبريل أتاني بالتربة التي يقتل عليها، وأخبرني أن أمتي يقتلونه (١).
- عن أبي بكر السمعاني قال: أخبرنا أبو سعد محمد بن محمد المطرز قال: أخبرنا أبو نعيم بن عبد الحميد قال: حدثنا سليمان بن بلال من كثير بن زيد عن المطلب بن عبد الله بن حنطب عن أم سلمة قالت: كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) جالسا ذات يوم فقال: لا يدخلن علي أحد فانتظرت فدخل الحسين، فسمعت نشيج النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يبكي فأطلعت فإذا في حجره الحسين أو في جنبه يمسح رأسه وهو يبكي، فقلت: والله ما علمت به حتى دخل، قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): إن جبريل كان معنا في البيت، فقال: أتحبه؟ فقلت: من حب الدنيا فنعم، فقال: إن أمتك ستقتل هذا بأرض يقال لها كربلاء، فتناول جبريل من ترابها فأراه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما أحيط بالحسين حين قتل قال: ما اسم هذه الأرض؟ قالوا: أرض كربلاء، قال: صدق رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أرض

---

(١) أخرجه: ابن أبي شيبه في المصنف ١٥: ٩٧، وابن سعد في الطبقات (الملحق): ٤٤. والطبراني في المعجم الكبير: ٢٨٢، والبيهقي في دلائل النبوة ٦: ٤٦٨، والخوارزمي في مقتل الحسين ١: ١٥٨، وفي زينة المجالس: ٣٥٠.

كرب وبلاء (١).
- أخرج الحافظ الكبير أبو القاسم الطبراني في (المعجم الكبير) لدى ترجمة الحسين السبط (عليه السلام) قال: حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني عباد بن
زياد الأسدي، نا عمرو بن ثابت بن الأعمش، عن أبي وايل شقيق بن سلمة، عن أم سلمة قالت: كان الحسن والحسين (رضي الله عنهما) يلعبان بين يدي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في
بيتي، فنزل جبريل (عليه السلام) فقال: يا محمد إن أمتك تقتل ابنك هذا من بعدك، فأومأ بيده
إلى الحسين، فبكى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وضمه إلى صدره، ثم قال لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):
وديعة عندك هذه التربة، فشمها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: ريح كرب وبلاء.
قالت: وقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يا أم سلمة إذا تحولت هذه التربة دما فاعلمي أن
ابني قد قتل.
قال: فجعلتها أم سلمة في قارورة، ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول: إن يوما تحولين دما ليوم عظيم (٢).
وقيل لما أتى جبرئيل بالتربة إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من موضع يهراق فيه دم
أحد ولديه ولم يخبر باسمه: شمها وقال: هذه رائحة ابني الحسين وبكى، فقال: جبرئيل: صدقت (٣).
- أخرج الإمام أحمد بن حنبل في المسند قال: حدثنا مؤمل، ثنا عمارة بن راذان، ثنا ثابت عن أنس بن مالك، إن ملك المطر أستأذن ربه أن يأتي
النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فأذن له، فقال لأم سلمة: اغلقي علينا الباب، لا يدخل علينا أحد. قال:

---

(١) رواه ابن العديم في الحسين بن علي: ٥٧.
(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير: ١٠٨.
(٣) الخوارزمي في مقتل الحسين:. ١٧

وجاء الحسين ليدخل فمنعته، فوثب فدخل فصعد على ظهر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى
منكبه وعلى عاتقه قال: فقال الملك للنبي (صلى الله عليه وآله وسلم): أتحبه؟ قال: نعم. قال: أما إن
أمتك ستقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه، فضرب بيده فجاء بطينة حمراء، فأخذتها أم سلمة فصرتها في خمارها. قال: قال ثابت: بلغنا أنها
كربلاء (١).
وأخرجه الحافظ البيهقي في دلائل النبوة قال: أخبرنا علي بن أحمد بن
عبدان، أخبرنا أحمد بن عبيد الصفار، حدثنا عبد الصمد بن حسان بالإسناد بلفظ: استأذن ملك أن يأتي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فأذن له فقال لأم سلمة: احفظي علينا الباب
لا يدخلني أحد، قال: فجاء الحسين بن علي فوثب حتى دخل فجعل يقع على
منكب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال الملك: أتحبه؟ قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): نعم، قال: فإن أمتك
تقتله، وإن شئت أريتك المكان الذي يقتل فيه قال: فضرب بيده وأراه ترابا أحمر، فأخذته أم سلمة فصرته في ثوبها، كنا نسمع أن يقتل بكربلاء (٢).
وأخرجه الحافظ ابن عساكر، وفي لفظه: فجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يلثمه
ويقبله (٣). فقال: وفي رواية: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لأم سلمة: هذه التربة وديعة
عندك، فإذا تحولت دما فاعلمي أن ابني قد قتل، فجعلتها أم سلمة في قارورة، ثم جعلت تنظر إليها كل يوم وتقول: إن يوما تتحولين فيه دما ليوم عظيم (٤).

---

(١) رواه ابن كثير في البداية والنهاية ٨: ١٩٩، والسيوطي في الخصائص ٢: ١٢٥، والهيثمي في مجمع الزوائد ٩: ١٨٧، وابن حجر في الصواعق المحرقة: ١٩٠.
(٢) دلائل النبوة ٦: ٤٨٧.
(٣) تاريخ دمشق ١: ٣٢٥.
(٤) أخرجه: الحافظ العراقي في طرح التهذيب ١: ٤١، والقرطبي في مجمع التذكرة: ١١٩، وابن حجر في الصواعق: ١١٥.

وذكر الخوارزمي، قال شرحبيل بن أبي عون: إن الملك الذي جاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إنما كان ملك البحار، وذلك إن ملكا من ملائكة الفراديس، نزل إلى
البحر ثم نشر أجنحته عليه وصاح صيحة قال فيها: يا أهل البحار البسوا ثياب الحزن، فإن فرخ محمد مقتول مذبوح، ثم جاء إلى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا حبيب الله
تقتل على هذه الأرض فرقتان من أمتك بأرض كرب وبلاء. وهذه التربة عندك. وناوله قبضة من أرض كربلاء، وقال له: تكون هذه التربة عندك حتى ترى علامة ذلك. ثم حمل ذلك الملك من تربة الحسين في بعض أجنحته، فلم يبق في سماء الدنيا ملك إلا وشم تلك التربة وصار لها عنده أثر وخبر، قال: أخذ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) تلك
القبضة التي أتاه بها الملك، فجعل يشمها ويبكي، ويقول في بكائه: اللهم لا تبارك في قاتل ولدي، وأصله نار جهنم، ثم دفع تلك القبضة إلى أم سلمة وأخبرها بقتل الحسين بشاطئ الفرات، قال: يا أم سلمة هذه التربة إليك، فإنها إذا تغيرت وتحولت دما عبيطا فعند ذلك يقتل ولدي الحسين (١).
وفي رواية أخرى قالت: ثم ناولني كفا من تراب أحمر، وقال: إن هذا من تربة الأرض التي يقتل بها، فمتى صار دما عبيطا فاعلمي أنه قد قتل، قالت أم سلمة: فوضعته في قارورة عندي وكنت أقول: إن يوما يتحول فيه دما ليوم عظيم، وفي رواية عنها: فأصبته يوم قتل الحسين وقد صار دما. وفي أخرى ثم قال يعني جبريل ألا أريك تربة مقتله، فجاء بحصيات فجعلهن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في قارورة،
قالت أم سلمة: فلما كانت ليلة قتل الحسين سمعت قائلا يقول:
أيها القاتلون جهلا حسينا * أبشروا بالعذاب والتنكيل
قد لعنتم على لسان ابن داود * ويحيى وحامل الإنجيل

---

(١) سيرتنا وسنتنا: ٦٣.

– أخرج الحافظ ابن عساكر في رواية مسندا عن عبد الله بن سعيد بن أبي هند عن أبيه قال: قالت أم سلمة (رضي الله عنه): كان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نائما في بيتي، فجاء الحسين (رضي الله عنه) يدرج فقعدت على الباب فأمسكته مخافة أن يدخل فيوقظه، ثم غفلت في شئ فدب فدخل فقعد على بطنه، قالت: فسمعت نحيب رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجئت فقلت: يا رسول الله، والله ما علمت به! فقال: إنما جاءني جبرئيل (عليه السلام) – وهو على بطني قاعد – فقال لي: أتحبه؟ فقلت: نعم، قال: إن أمتك ستقتله، ألا أريك التربة التي يقتل بها؟ قال: فقلت: بلى، قال: فضرب بجناحه فأتى بهذه التربة قالت: وإذا في يده تربة حمراء وهو يبكي ويقول: يا ليت شعري من يقتلك بعدي (١)؟

– روي بإسناد آخر عن أم سلمة أنها قالت: خرج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) من عندنا ذات ليلة فغاب عنا طويلا، ثم جاءنا وهو أشعث أغبر ويده مضمومة، فقلت له: يا رسول الله ما لي أراك شعثا مغبرا؟ فقال: أسري بي في هذا الوقت إلى موضع من العراق يقال له (كربلاء)، فأريت فيه مصرع الحسين (عليه السلام) ابني وجماعة من ولدي وأهل بيتي، فلم أزل القط دماءهم فهاهو في يدي وبسطها إلي فقال: خذيه فاحتفظي به فأخذته فإذا هو شبه تراب أحمر، فوضعته في قارورة وشددت رأسها واحتفظت به.

فلما خرج الحسين (عليه السلام) من مكة متوجها نحو العراق، كنت أخرج تلك القارورة في كل يوم وليلة أشمها وأنظر إليها ثم أبكي لمصابه، فلما كان اليوم العاشر من المحرم وهو اليوم الذي قتل فيه الحسين (عليه السلام)، أخرجتها في أول النهار وهي بحالها، ثم عدت إليها آخر النهار فإذا هي دم عبيط، فصحت في بيتي وبكيت

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٢٥٨، كنز العمال ٧: ١٠٦.

وكظمت غيظي مخافة من أن يسمع أعداؤهم بالمدينة فيتسروا بالشماتة فلم أزل حافظة للوقت واليوم حتى جاءنا الناعي ينعاه فحقق ما رأيت (١).

- عن الباقر (عليه السلام) قال: لما أراد الحسين (عليه السلام) الخروج إلى العراق بعثت إليه أم سلمة رضي الله عنها وهي التي كانت ربته وكان أحب الناس إليها وكانت أرق الناس عليه وكانت تربة الحسين عندها في قارورة دفعها إليها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم).

فقالت: يا بني أتريد أن تخرج فقال لها: يا أماه أريد أن أخرج إلى العراق. فقالت: إني أذكرك الله تعالى أن تخرج إلى العراق. قال: ولم ذلك يا أماه. قالت: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: يقتل ابني الحسين بالعراق وعندي يا بني تربتك في قارورة مختومة دفعها إلي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: يا أماه والله إني لمقتول وإني لا أفر من القدر والمقدور والقضاء المحتوم والأمر الواجب من الله تعالى. فقالت: واعجباه فأين تذهب وأنت مقتول فقال: يا أماه إن لم أذهب اليوم ذهبت غدا وإن لم أذهب غدا لذهبت بعد غد وما من الموت - والله يا أماه - بد، وإني لأعرف اليوم والموضع الذي أقتل فيه والساعة التي أقتل فيها والحفرة التي أدفن فيها كما أعرفك وأنظر إليها كما أنظر إليك. قالت: قد رأيتها! قال: إن أحببت أن أريك مضجعي ومكاني، فأراها مضجعه ومكانه ومكان أصحابه، وأعطاها من تلك التربة، فخلطتها مع التربة التي كانت عندها، ثم خرج الحسين (عليه السلام) وقد قال لها: إني مقتول يوم عاشوراء. فلما كانت تلك الليلة التي صبيحتها قتل الحسين بن علي (عليه السلام) فيها أتاها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في المنام أشعث باكيا مغبرا فقالت: يا رسول الله ما لي أراك باكيا مغبرا أشعث! فقال: دفنت ابني الحسين عليه السلام وأصحابه الساعة. فانتبهت أم سلمة رضي الله عنها فصرخت بأعلى صوتها فقالت: وا إبناه. فاجتمع أهل المدينة وقالوا لها:

---

(١) أنظر: العوالم ٦: ١٣١، وبحار الأنوار ١٠: ٢٣٩.

ما الذي دهاك فقالت: قتل ابني الحسين بن علي (عليهما السلام). فقالوا لها: وما علمك (بذلك)
قالت: أتاني في المنام رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) باكيا أشعث أغبر فأخبرني أنه دفن الحسين
وأصحابه الساعة. فقالوا: أضغاث أحلام قالت: مكانكم فإن عندي تربة الحسين (عليه السلام)، فأخرجت لهم القارورة فإذا هي دم عبيط (١).
- عن ابن عباس قال: بينا أنا راقد في منزلي إذ سمعت صراخا عظيما عاليا من بيت أم سلمة وهي تقول: يا بنات عبد المطلب أسعدنني وابكين معي فقد قتل سيدكن فقيل: ومن أين علمت ذلك؟ قالت: رأيت رسول الله الساعة في المنام شعثا مذعورا فسألته عن ذلك، فقال: قتل ابني الحسين وأهل بيته فدفنتهم قالت: فنظرت فإذا بتربة الحسين التي أتى بها جبرئيل من كربلاء وقال (صلى الله عليه وآله وسلم): إذا صارت
دما فقد قتل ابنك فأعطانيها النبي فقال: اجعليها في زجاجة فليكن عندك فإذا صارت دما فقد قتل الحسين فرأيت القارورة الآن صارت دما عبيطا يفور (٢).
- عن علي بن محمد، عن عثمان بن مقسم، عن المقبري، عن عائشة،
قالت: بينما رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) راقد إذ جاء الحسين يحبو إليه فنحيته عنه، ثم قمت
لبعض أمري فدنا منه فاستيقظ يبكي، فقلت: ما يبكيك؟
قال: إن جبريل أراني التربة التي يقتل عليها الحسين، فاشتد غضب الله على من يسفك دمه، وبسط يده فإذا فيها قبضة من بطحاء.
قال: يا عائشة والذي نفسي بيده ليحزنني، فمن هذا من أمتي يقتل حسينا بعدي (٣)؟

---

(١) الثاقب في المناقب: ٣٢٩ - ٣٣٢.
(٢) مناقب آل أبي طالب ٣: ٢١٣ - ٢١٤.
(٣) كنز العمال ١٢: ١٢٧، ورواه الحافظ ابن عساكر: ٢٢٩.

– عن محمد بن عمرة، قال: أخبرنا موسى بن محمد بن إبراهيم، عن
أبيه، عن أبي سلمة، عن عائشة، قالت:
كانت لنا مشربة، فكان النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا أراد لقي جبريل لقيه فيها، فلقيه رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم) مرة من ذلك فيها، وأمر عائشة أن لا يصعد إليه أحد، فدخل حسين بن
علي ولم تعلم حتى غشيها، فقال جبريل: أما إنه سيقتل! فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم):
ومن يقتله؟ قال: أمتك! فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أمتي تقتله؟! قال: نعم، وإن شئت
أخبرتك بالأرض التي يقتل بها فأشار جبريل إلى الطف بالعراق، وأخذ تربة حمراء فأراه إياها فقال: هذه من تربة مصرعه (١).
– أخرج الحافظ أبو القاسم الطبري في المعجم الكبير لدى ترجمة الحسين
بن علي (عليه السلام) قال: حدثنا أحمد بن رشد بن المصري، نا عمرو بن خالد الحراني، نا
ابن لهيعة عن أبي الأسود، عن عروة بن الزبير، عن عائشة (رضي الله عنه)، قالت: دخل الحسين بن علي (رضي الله عنه) على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وهو يوحى إليه، فنزا على رسول الله
وهو منكب ولعب على ظهره، فقال جبريل لرسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): أتحبه يا محمد؟
قال: يا جبريل وما لي لا أحب ابني؟ قال: فإن أمتك ستقتله من بعدك. فمد
جبريل (عليه السلام) يده فأتاه بتربة بيضاء، فقال: في هذه الأرض يقتل ابنك هذا يا محمد،
واسمها الطف، فلما ذهب جبريل (عليه السلام) من عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) والتربة في يده يبكي،
فقال: يا عائشة إن جبريل (عليه السلام) أخبرني أن الحسين ابني مقتول في أرض الطف، وأن
أمتي ستفتتن بعدي، ثم خرج إلى أصحابه فيهم علي وأبو بكر وعمر وحذيفة وعمار وأبو ذر (رضي الله عنه) وهو يبكي فقالوا: ما يبكيك يا رسول الله. فقال: أخبرني جبريل: أن

---

(١) أخرجه: أحمد في المسند ٦: ٢٩٤، والبيهقي في دلائل النبوة ٦: ٤٧٠، والخوارزمي في مقتل الحسين ١: ١٥٩، والمتقي في كنز العمال ١٢: ١٢٧، والذهبي في سير أعلام النبلاء ٣: ٢٩٠.

ابني الحسين يقتل بعدي بأرض الطف وجاءني بهذه التربة وأخبرني أن فيها مضجعه (١).

- أخرج الحافظ أبو القاسم الطبراني في " المعجم الكبير " لدى ترجمة الحسين (عليه السلام) قال: حدثنا محمد بن عبد الله الحضرمي، حدثنا الحسين بن الحريث،

حدثنا الفضل بن موسى بن عبد الله بن سعيد، عن أبيه، عن عائشة:

أن الحسين بن علي دخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم): يا عائشة

ألا أعجبك لقد دخل علي ملك آنفا ما دخل علي قط، فقال: إن ابني هذا مقتول، وقال: إن شئت أريتك تربته التي يقتل فيها، فتناول الملك بيده فأراني تربة حمراء (٢).

وأخرج إمام الحنابلة في المسند قال: ثنا وكيع قال: حدثني عبد الله بن سعيد عن أبيه عن عائشة أو أم سلمة قال وكيع: شك، وهو يعني عبد الله بن سعيد أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال لأحدهما: لقد دخل علي البيت ملك لم يدخل قبلها، فقال لي: إن

ابنك هذا حسين مقتول، وإن شئت أريتك من تربة الأرض التي يقتل بها، قال: فأخرج تربة حمراء (٣).

- أخبرتنا أم المجتبى العلوية، قالت: قرأ علي أبي القاسم السلمي، أنبأنا أبو بكر بن المقرئ، أنبأنا أبو يعلى، أنبأنا عبد الرحمن بن صالح، أنبأنا عبد الرحيم بن سليمان، عن ليث بن أبي سليم، عن جوير بن الحسن العبسي، عن مولى لزينب أو عن بعض أهله، عن زينب قالت: بينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في بيتي

وحسين عندي حين درج، فغفلت عنه فدخل على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فجلس على

---

(١) أخرجه: الطبراني في المعجم الكبير: ١٠٩.

(٢، ٣) المعجم الكبير: ١١٠.

بطنه، قالت: فبال عليه، فانطلقت لأخذه، فاستيقظ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فقال: دعيه،
فتركته حتى فرغ، ثم دعا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بماء فقال: إنه يصب من الغلام ويغسل
من الجارية، فصبوا صبا، ثم توضأ رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم قام يصلي، فلما قام احتضنه
إليه، فإذا ركع أو جلس وضعه، ثم جلس فبكى، ثم مد يده (فدعا الله تعالى) فقلت حين قضى صلاته: يا رسول الله إني رأيتك اليوم صنعت شيئا ما رأيتك تصنعه قبل اليوم؟! قال: إن جبريل أتاني فأخبرني أن هذا تقتله أمتي!! فقلت: يا جبريل أرني تربة مصرعه، فأراني تربة حمراء (١).

– أخبرنا عفان بن مسلم، ويحيى بن عباد، وكثير بن همام، وموسى بن إسماعيل، قالوا: حدثنا حماد بن سلمة، قال: حدثنا عمار بن أبي عمار، عن ابن عباس قال: رأيت النبي فيما يري النائم، وهو قائم أشعث أغبر بيده قارورة فيها دم، فقلت: بأبي وأمي ما هذا؟ قال: دم الحسين وأصحابه أنا منذ اليوم التقطه.
قال: فأحصي ذلك اليوم فوجده قتل ذلك اليوم (٢).

– عن ابن عباس في حديث طويل قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ألا وإن جبرئيل
قد أخبرني بأن أمتي تقتل ولدي الحسين بأرض كربلاء، ألا فلعنة الله على قاتله وخاذله آخر الدهر. قال: ثم نزل عن المنبر، ولم يبق أحد من المهاجرين والأنصار إلا وتيقن بأن الحسين مقتول. حتى إذا كان في أيام عمر بن الخطاب وأسلم كعب

---

(١) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٢٦٣، وابن حجر في المطالب العالية ١: ٩، وإحقاق الحق ١١: ٣٩٦.

(٢) أنظر: مسند أحمد ١: ٢٤٢، المعجم الكبير: ٢٨٢، المستدرك ٤: ٣٩٧، الإستيعاب ١: ١٩٦، تاريخ بغداد ١: ١٤٢، دلائل النبوة ٦: ٤٧١، التبصرة ٢: ١٣، أسد الغابة ٢: ٢٣، تاريخ الإسلام ٢: ٣٤٩، سير أعلام النبلاء ٣، ٢١٣، تهذيب الكمال ٣: ٤٣٩، ابن حجر في الإصابة ١: ٣٣٥، تهذيب التهذيب ٢: ٣٥٥.

الأحبار، وقدم المدينة، جعل أهل المدينة يسألون عن الملاحم التي تكون آخر الزمان، وكعب يحدثهم بأنواع الملاحم والفتن، فقال كعب لهم: وأعظمها ملحمة هي الملحمة التي لا تنسى أبدا، وهو الفساد الذي ذكره الله تعالى في الكتب وقد ذكره في كتابكم * (ظهر الفساد في البر والبحر) * وإنما فتح بقتل هابيل ويختم بقتل الحسين بن علي (١).

- أخرج ابن عساكر في تاريخ دمشق قال: أخبرنا أبو الغنائم بن أبي عثمان، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا الحسين بن صفوان، أخبرنا عبد الله بن أبي الدنيا، نا عبد الله بن محمد بن هاشمي أبو عبد الرحمن النحوي، نا معدي بن سليمان، نا علي بن زيد بن جذعان قال: استيقظ ابن عباس من نومه فاسترجع، وقال: قتل الحسين والله، فقال له أصحابه: كلا يا ابن عباس، قال: رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ومعه زجاجة من دم، فقال: إلا تعلم ما صنعت أمتي من بعدي؟ قتل ابني الحسين، وهذا دمه ودم أصحابه أرفعها إلى الله عز وجل.

قال: فكتب ذلك اليوم الذي قال فيه ذلك وتلك الساعة، قال: فما لبثوا إلا أربعة وعشرين يوما حتى جاءهم الخبر بالمدينة أنه قتل في ذلك اليوم وتلك الساعة (٢).

- أخرج أحمد في المسند قال: حدثنا عفان، نا حماد هو بن سلمة، نا عمار عن ابن عباس، قال: رأيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فيما يرى النائم بنصف النهار، وهو قائم أشعث أغبر، بيده قارورة فيها دم، فقلت: بأبي أنت وأمي يا رسول الله ما هذا؟ قال: هذا دم الحسين وأصحابه، لم أزل التقطه من منذ اليوم، فأحصينا ذلك اليوم،

---

(١) أنظر: مقتل الحسين للخوارزمي ١: ١٦٤، زينة المجالس ٢: ١١٤.
(٢) تاريخ دمشق ٤، ٣٤٠.

فوجدوه قتل في ذلك اليوم (١).
- عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: سمعته يقول: بينا
الحسين (عليه السلام) عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذ أتاه جبرئيل،
فقال: يا محمد أتحبه؟ قال: نعم،
قال: أما إن أمتك ستقتله، قال: فحزن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لذلك
حزنا شديدا، فقال:
جبرئيل أيسرك أن أريك التربة التي يقتل فيها؟ قال: فخسف جبرئيل ما بين مجلس
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إلى كربلا حتى التقت القطعتان هكذا، وجمع
بين السبابتين، فتناول
بجناحه من التربة، فناولها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ثم دحا الأرض أسرع
من طرف
العين، فقال: رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): طوبى لك من تربة وطوبى لمن
يقتل فيك (٢).
إخبار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن الحسين يقتله يزيد
- قال المسور بن مخرمة: لقد آتي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ملك من ملائكة
الصفيح
الأعلى، لم ينزل إلى الأرض منذ خلق الله الدنيا، أستأذن ذلك الملك ربه ونزل
شوقا منه إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، فلما نزل إلى الأرض أوحى الله
عز وجل إليه: أيها
الملك أخبر محمدا بأن رجلا من أمته يقال له (يزيد) يقتل فرخك الطاهر وابن

---

(١) مسند أحمد ١: ٢٨٣. وأخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤: ٣٤٠، وابن الأثير في أسد الغابة ٢: ٢٢، والحافظ الكنجي في الكفاية: ٢١٠، والمحب الطبري في ذخائر العقبى: ١٤٨، وأبو المظفر في التذكرة: ١٥٢، والحافظ العراقي في طرح التهذيب ١: ٤٢، الهيثمي في المجتمع ٩: ١٩٤، وابن حجر في الصواعق: ١١٦، الخطيب العمري في مشكاة المصابيح ٢: ٢٧٢، والخطيب في تاريخ بغداد ١: ١٤٢، وفي الخصائص الكبرى ٢: ١٢٦، وتاريخ الخلفاء: ١٣٩، والمستدرك ٤: ٣٩٧، وفي الإستيعاب ١: ١٤٤، عن طريق الحافظ أبي بكر بن أبي شيبة عن عفان بن مسلم بالإسناد واللفظ، فقال: هذا البيت زعموا قديما لا يدري قائله:
أترجو أمة قتلت حسينا * شفاعة جده يوم الحساب
(٢) بشارة المصطفى: ٢١٤ - ٢١٥.

الطاهرة نظيرة البتول مريم ابنة عمران، فقال الملك: إلهي وسيدي، لقد نزلت وأنا مسرور بنزولي لما أمرت، فجاء وقد نشر أجنحته حتى وقف بين يديه، فقال: السلام عليك يا حبيب الله، إني استأذنت ربي في النزول إليك، فليت ربي دق جناحي ولم آتك بهذا الخبر ولكني مأمور يا نبي الله، اعلم أن رجلا من أمتك يقال له (يزيد) يقتل فرخك الطاهر بن فرختك الطاهرة نظيرة البتول مريم ابنة عمران، ولم يمتع من بعد ولدك، وسيأخذه الله معاقبة على أسوء عمله، فيكون من أصحاب النار (١).

- أخرج الطبراني قال: حدثنا الحسن بن عباس الرازي، نا سليم بن منصور بن عمار، نا أبي، نا أحمد بن يحيى بن خالد بن حيان الرقي، نا عمرو بن بكر بن بكار القضبي، نا مجاشع بن عمرو قالا: نا عبد الله بن لهيعة عن أبي قبيل، حدثني عبد الله بن عمرو بن العاص، أن معاذ بن جبل أخبره، قال: خرج علينا رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) متغير اللون فقال: أنا محمد أوتيت فواتح العلم وخواتمه، فأطيعوني ما دمت بين أظهركم، فإذا ذهب بي فعليكم بكتاب الله عز وجل أحلوا حلاله، وحرموا حرامه، أتتكم الموتة، أتتكم بالروح والراحة بكتاب الله من الله سبق، أتتكم فتن كقطع الليل المظلم، كلما ذهب رسل جاء رسل، تناسخت النبوة فصارت ملكا رحم الله من أخذها بحقها وخرج منها كما دخلها. أمسك يا معاذ واحص، قال: فلما بلغت خمسة قال: يزيد لا يبارك الله في يزيد، ثم ذرفت عيناه، ثم قال: نعي إلي الحسين، وأتيت بتربته وأخبرت بقاتله، والذي نفسي بيده لا يقتل بين ظهراني قوم لا يمنعوه إلا خالف الله بين صدورهم وقلوبهم، وسلط الله عليهم شرارهم، وألبسهم شيعا ثم قال: واها لفرخ آل

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ١: ١٦٣.

محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) من خليفة مستخلف مترف، يقتل خلف وخلف الخلف (١).

– قال الحافظ الخوارزمي ولما أتى على الحسين من ولادته سنة كاملة، هبط على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) اثنا عشر ملكا محمرة وجوههم، قد نشروا أجنحتهم،

وهم يقولون: يا محمد سينزل بولدك الحسين ما نزل بهابيل من قابيل، وسيعطى مثل أجر هابيل، ويحمل على قاتله مثل وزر قابيل، قال: ولم يبق في السماء ملك إلا ونزل على النبي يعزيه بالحسين ويخبره بثواب ما يعطى، ويعرض عليه تربته، والنبي يقول: اللهم أخذل من خذله، وأقتل من قتله، ولا تمنعه بما طلبه.

ولما أتت على الحسين من مولده سنتان كاملتان، خرج النبي في سفر فلما كان في بعض الطريق وقف فاسترجع ودمعت عيناه، فسئل عن ذلك فقال: هذا جبريل يخبرني عن أرض بشاطئ الفرات يقال لها: كربلاء، يقتل فيها ولدي الحسين بن فاطمة، فقيل: من يقتله يا رسول الله؟ فقال: رجل يقال له يزيد، لا بارك الله في نفسه، وكأني أنظر إلى منصرفه ومدفنه بها، وقد أهدى رأسه، والله ما ينظر أحد إلى رأس ولدي الحسين فيفرح إلا خالف الله بين قلبه ولسانه – يعني ليس في قلبه ما يكون بلسانه من الشهادة – قال: ثم رجع النبي من سفره ذلك مغموما، فصعد المنبر فخطب ووعظ والحسين بين يديه مع الحسن، فلما فرغ من خطبته وضع يده اليمنى على رأس الحسين، وقال: اللهم إني محمد عبدك ونبيك، وهذان أطائب عترتي، وخيار ذريتي، وأرومتي، ومن أخلفهما بعدي.

اللهم وقد أخبرني جبريل بأن ولدي هذا مقتول مخذول، اللهم فبارك لي في

---

(١) ذكر الحافظ السيوطي شطرا منه في الجامع الكبير ٦: ٢٢٣: لا بارك الله في يزيد الطعان اللعان أما إنه نعي إلي حبيبي حسين، أتيت بتربته، ورأيت قاتلة، أما إنه لا يقتل بين ظهراني قوم فلا ينصروه إلا عمهم الله بعقاب.

أخرجه الخوارزمي: ١٦٠ – ١٦١ عن الطبراني بأسانيد ولفظه التام.

قتله، واجعله من سادات الشهداء إنك على كل شئ قدير، اللهم ولا تبارك في قاتله وخاذله.
قال: فضج الناس في المسجد بالبكاء، فقال النبي: أتبكون ولا تنصرونه؟! اللهم فكن له أنت وليا وناصرا (١).

عبور الأنبياء ومرورهم بأرض كربلاء

- ذكر الحائري في دائرة المعارف قال: إن آدم (عليه السلام) لما هبط إلى الأرض لم ير حواء فصار يطوف الأرض في طلبها، فمر بأرض كربلاء فاعتل واعتاق وضاق صدره من غير سبب، وعثر في الموضع الذي قتل فيه الحسين (عليه السلام) حتى سأل الدم من رجليه فرفع رأسه إلى السماء وقال: إلهي هل حدث في شئ من ذنب آخر فعاقبتني به! فإني طفت جميع الأرض ما أصابني سوء مثل ما أصابني في هذه الأرض، فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم ما حدث منك ذنب، ولكن يقتل في هذه الأرض من ولدك الحسين (عليه السلام) ظلما فسأل دمك موافقة لدمه، فقال آدم (عليه السلام): ومن قاتله؟ قال: قاتله يزيد لعين أهل السماوات والأرض، فقال آدم: فأي شئ أصنع يا جبرئيل؟ فقال: العنه أربع مرات، ومشى خطوات حتى وصل إلى جبل عرفات فوجد حواء هناك (٢).

- وإن نوحا لما ركب في السفينة طافت جميع الدنيا، فلما مرت بأرض كربلاء أخذته الأرض وخاف نوح الغرق، فدعا ربه وقال: إلهي طفت جميع الدنيا وما أصابني فزع مثل ما أصابني في هذه الأرض؟ فنزل جبرئيل فقال: يا نوح في

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ١: ١٦٣.
(٢) دائرة المعارف ٢: ١٨٥.

هذا الموضع يقتل الحسين (عليه السلام)، فقال: من القاتل؟ قال: لعين أهل السماوات والأرض يزيد، فلعنه نوح أربع مرات فسارت السفينة حتى بلغت الجودي واستقرت عليه (١).

٢٩ - وإن إبراهيم مر في أرض كربلاء وهو راكب فرسا، فعثرت به وسقط إبراهيم (عليه السلام) وشج رأسه وسال دمه، فأخذ في الاستغفار، وقال: إلهي أي شئ حدث مني؟ فنزل إليه جبرئيل وقال: يا إبراهيم ما حدث منك ذنب، ولكن هنا يقتل سبط خاتم الأنبياء وابن خاتم الأوصياء، فسأل دمك موافقة لدمه، قال: يا جبرئيل ومن يكون قاتله؟ قال: اللعين يزيد، والقلم جرى على اللوح بلعنه بغير إذن ربه، فأوحى الله إلى القلم أنك استحقيت الثناء بهذا اللعن، فرفع إبراهيم (عليه السلام) يديه

ولعن يزيد لعنا كثيرا وأمن فرسه بلسان فصيح، فقال إبراهيم لفرسه: أي شئ عرفت حتى تؤمن على دعائي؟

فقال: يا إبراهيم أنا أفتخر بركوبك علي، فلما عثرت وسقطت عن ظهري أخجلني، وكان سبب ذلك من يزيد (٢).

- وإن إسماعيل (عليه السلام) كانت أغنامه ترعى بشط الفرات فأخبره الراعي أنها لا تشرب الماء من هذه المشرعة منذ كذا يوما، فسأل ربه عن سبب ذلك؟ فنزل جبرئيل (عليه السلام) وقال: يا إسماعيل: سل غنمك فإنها تجيبك عن سبب ذلك، فقال: لم

لا تشربن من هذا الماء؟ فقالت بلسان فصيح: قد بلغنا أن ولدك الحسين (عليه السلام) سبط

محمد يقتل عطشان، فنحن لا نشرب من هذا المشرعة حزنا عليه. فسألها عن قاتله فقالت: يقتله لعين أهل السماوات والأرضين والخلائق أجمعين يزيد، فقال

---

(١) دائرة المعارف ٢: ١٨٦.

(٢) المصدر السابق.

إسماعيل: اللهم العن قاتل الحسين (١).
- وإن موسى كان ذات يوما سائرا ومعه يوشع بن نون، فلما جاء إلى أرض كربلاء أنخرق نعله، وأنقطع شركه، ودخل الحسك في رجليه، وسأل دمه. فقال: إلهي أي شئ حدث مني؟ فأوحى الله إليه، أن هنا يقتل الحسين، وهنا يسفك دمه فسال دمك موافقة لدمه، فقال: رب ومن يكون الحسين؟ فقيل له: هو سبط محمد المصطفى وابن علي المرتضى، فقال: ومن يكون قاتله؟ فقيل: هو يزيد لعين السمك في البحار، والوحوش في القفار، والطير في الهواء، فرفع موسى يديه ولعن يزيد ودعا عليه، وأمن بن نون على دعائه ومضى لشأنه (٢).
- وإن سليمان (عليه السلام) كان يجلس على بساطه ويسير في الهواء فمر ذات يوم وهو سائر في أرض كربلاء، فأدارت الريح بساطه ثلاث دورات حتى خافوا السقوط، فسكنت الريح ونزل البساط في أرض كربلاء فقال سليمان للريح: لم سكنت؟ فقالت: إن هنا يقتل الحسين (عليه السلام)، فقال: ومن قاتله؟ قالت: اللعين يزيد،
فرفع سليمان يديه ولعنه ودعا عليه، وأمن دعاءه الإنس والجن، فهبت الريح وسار البساط (٣).
- وإن عيسى (عليه السلام) كان سائحا في البراري ومعه الحواريون، فمروا بكربلاء فرأوا أسدا كاشرا قد أخذ الطريق، فتقدم عيسى إلى الأسد وقال له: لم جلست في هذا الطريق ولا تدعنا نمر فيه؟ فقال الأسد بلسان فصيح: إني لن أدع لكم الطريق حتى تلعنوا يزيد قاتل الحسين (عليه السلام)، فقال عيسى: ومن يكون الحسين؟ قال: سبط

---

(١) أنظر: جمع الجوامع ١: ٢٦، كنز العمال ١٢: ١٢٢ - ١٢٧، تاريخ الإسلام ٣: ١٠، سبط ابن الجوزي:
٢٥٠، ابن كثير في تاريخه ٨: ١٩٩.
(٢) كنزل العمال ١٢: ٦٧٣.
(٣) دائرة المعارف ٢: ١٨٧.

محمد النبي الأمي وابن علي الولي، قال: ومن قاتله؟ قال: قاتله لعين الوحوش والذئاب والسباع أجمع وخصوصا أيام عاشوراء. فرفع يديه ولعن يزيد ودعا عليه، وأمن الحواريون على دعائه، فتنحى الأسد عن طريقهم ومضوا إلى شأنهم (١).

إخبار الإمام علي علي (عليه السلام) بقتل الحسين بأرض كربلاء

- عن علي بن محمد، عن يحيى بن زكريا، عن رجل، عن عامر الشعبي، قال: قال علي وهو على شاطئ الفرات: صبرا أبا عبد الله، ثم قال: دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وعيناه تفيضان، فقلت: أحدث حدث؟

فقال: أخبرني جبريل أن حسينا يقتل بشاطئ الفرات، ثم قال: أتحب أن أريك من تربته؟ قلت: نعم، فقبض قبضة من تربتها فوضعها في كفي، فما ملكت عيني أن فاضتا.

- قال ابن سعد: أخبرنا عبد الله بن موسى، قال: أخبرنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن هانئ، عن علي قال:

ليقتلن الحسين بن علي قتلا، وإني لأعرف تربة الأرض التي يقتل بها، يقتل بقرية قريب من النهرين.

- في رواية يحيى بن حماد، قال: حدثنا أبو عوانة، عن عطاء بن السائب، عن ميمون، عن شيبان بن محزم، قال: وكان عثمانيا يبغض عليا! قال: رجع علي من صفين، قال: فانتهينا إلى موضع، قال: فقال: ما يسمى هذا الموضع؟ قال: قلنا: كربلاء، قال: ثم قعد على رابية، وقال: يقتل ها هنا قوم أفضل شهداء على وجه الأرض لا يكون شهداء رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قال: قلت: بعض

كذباته ورب الكعبة! قال: فقلت لغلامي - وقسمة حمار ميت - جئتني برجل هذا

---

(١)...

الحمار فأوقدته في المقعد الذي كان فيه قاعدا: فلما قتل الحسين قلت لأصحابي: إنطلقوا ننظر، فانتهينا إلى المكان، وإذا جسد الحسين على رجل الحمار، وإذا أصحابه ربضة حوله (١).

- أخرج محب الدين الطبري، قال: أخرج أحمد وابن الضحاك عن علي (رضي الله عنه) قال:

دخلت على النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وعيناه تفيضان قلت: يا نبي الله أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟ قال:

قام من عندي جبريل (عليه السلام) قبل، وحدثني: أن الحسين يقتل بشط الفرات، قال: فقال: هل لك إلى أن أشمك من تربته؟ قلت: نعم، فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا (٢).

- أخرج أحمد في المسند قال: نا محمد بن عبيد، نا شرحبيل بن مدرك، عن عبد الله بن نجى، عن أبيه، أنه سار مع علي (عليه السلام)، فلما جاءوا نينوى وهو منطلق

إلى صفين، فنادى علي: أصبر أبا عبد الله، أصبر أبا عبد الله بشط الفرات، قلت: وماذا؟ قال: دخلت على رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) ذات يوم وعيناه تفيضان: قلت: يا نبي

الله! أغضبك أحد؟ ما شأن عينيك تفيضان؟ قال: بلى، قام من عندي جبريل قبل، فحدثني: أن الحسين يقتل بشط الفرات، قال: فقال: هل لك أن أشهدك من تربته؟ قال: قلت: نعم، فمد يده فقبض قبضة من تراب فأعطانيها، فلم أملك عيني أن فاضتا (٣).

---

(١) طبقات ابن سعد: ٢٣٨ أخرجه ابن أبي شيبة في المصنف ح ١٢ عن محمد بن عبيد بالإسناد واللفظ وفيه: صبرا أبا عبد الله.

(٢) ذخائر العقبى: ١٤٨.

(٣) أنظر: مسند أحمد ٢: ٦٠ - ٦١، كنز العمال ١٣: ٦٥٥، البخاري في التاريخ الكبير ٤: ٢٥٣.

- أخرج نصر بن مزاحم في كتابه (صفين) عن سعيد بن حكيم العبسي، عن الحسين بن كثير، عن أبيه: أن عليا أتى كربلاء فوقف بها فقيل: يا أمير المؤمنين هذه كربلاء، قال: ذات كرب وبلاء، ثم أومأ بيده إلى مكان فقال: هاهنا موضع رحالهم، ومناخ ركابهم، وأومأ بيده إلى موضع آخر فقال: ها هنا مهراق دمائهم (١).

- وأخرج الحافظ أبو نعيم في دلائل النبوة، بالإسناد عن أصبغ بن نباتة قال: أتينا مع علي موضع قبر الحسين فقال: هاهنا مناخ ركابهم، وموضع رحالهم، ومهراق دمائهم، فتية من آل محمد يقتلون بهذه العرصة تبكي عليهم السماء والأرض (٢).

- وروى الحسين بن كثير وعبد خير قالا: لما وصل علي (عليه السلام) إلى كربلاء وقف وبكى وقال: بأبي أغيلمة تقتل هاهنا، هذا مناخ ركابهم، هذا موضع رحالهم، هذا مصرع الرجال، ثم زاد بكاؤه (٣).

- وقال الحافظ ابن كثير في تاريخه: قد روى محمد بن سعد وغيره من غير وجه عن علي بن أبي طالب: أنه مر بكربلاء عند أشجار الحنظل وهو ذاهب إلى صفين.

فسأل عن اسمها فقيل: كربلاء، فقال: كرب وبلاء، فنزل وصلى عند شجرة هناك ثم قال: يقتل هاهنا شهداء هم خير الشهداء غير الصحابة، يدخلون الجنة بغير حساب، وأشار إلى مكان هناك، فعلموه بشئ، فقتل فيه الحسين (٤).

---

(١) وقعة صفين: ١٤٢، طبقات ابن سعد: ٢٣٨.
(٢) ذكر السيوطي في الخصائص الكبرى ٢: ١٢٦، ودلائل النبوة ٣: ٢١١.
(٣) رواه السبط ابن الجوزي تذكرة الخواص: ٦٤٢.
(٤) البداية والنهاية ٨: ٩٩.

- ذكر الخوارزمي حديثا أخرجه الحافظ الطبراني عن شيبان وكان عثمانيا قال: إني لمع علي إذ أتى كربلاء، فقال: في هذا الموضع شهداء ليس مثلهم شهداء إلا شهداء بدر (١).

فقال: وفي رواية أن أمير المؤمنين (عليه السلام) لما سار إلى صفين نزل كربلاء وقال لابن عباس: أتدري ما هذه البقعة؟ قال: لا، قال: لو عرفتها لبكيت بكائي، ثم بكى بكاء شديدا، ثم قال: ما لي ولآل أبي سفيان؟ ثم التفت إلى الحسين وقال: صبرا يا بني فقد لقي منهم أبوك مثل الذي تلقى بعده (٢).

- عن مصعب بن سلام، قال أبو حيان التميمي، عن أبي عبيدة، عن هرثمة بن سليم قال: غزونا مع علي بن أبي طالب صفين، فلما نزلنا بكربلاء صلى بنا صلاة، فلما سلم رفع إليه من تربتها فشمها ثم قال: واها لك أيتها التربة، ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب، فلما رجع هرثمة من غزوته إلى امرأته، وهي جرداء بنت سمير، وكانت شيعة لعلي، فقال لها زوجها هرثمة: ألا أعجبك من صديقك أبي الحسن؟ لما نزلنا كربلاء رفع إليه من تربتها فشمها وقال: واها لك يا تربة، ليحشرن منك قوم يدخلون الجنة بغير حساب وما علمه بالغيب؟ فقالت: دعنا منك أيها الرجل، فإن أمير المؤمنين لم يقل إلا حقا.

فلما بعث عبيد الله بن زياد البعث الذي بعثه إلى الحسين بن علي وأصحابه، عرفت المنزل الذي نزل بنا علي فيه والبقعة التي رفع إليه من ترابها، والقول الذي قال، فكرهت مسيري فأقبلت على فرسي حتى وقفت على الحسين، فسلمت عليه، وحدثته بالذي سمعت من أبيه في هذا المنزل، فقال الحسين: معنا أنت أو

---

(١) مقتل الإمام الحسين: ١٦٢.

(٢) سيرتنا وسنتنا: ١٢٣.

علينا؟ فقلت: يا ابن رسول الله، لا معك ولا عليك. تركت أهلي وولدي أخاف عليهم من ابن زياد. فقال الحسين: فول هربا حتى لا ترى لنا مقتلا، فوالذي نفس محمد بيده لا يرى مقتلنا اليوم رجل ولا يغيثنا إلا أدخله الله النار.
قال: فأقبلت في الأرض هاربا حتى خفي علي مقتله (١).
ورواه ابن سعد بلفظ آخر، قال:
أخبرنا يحيى بن حماد، قال: حدثنا أبو عوانه، عن سليمان، قال: حدثنا أبو عبيده الضبي، دخلنا على أبي حين أقبل من صفين وهو مع علي، وهو جالس على دكان وله امرأة يقال لها: حرداء، هي أشد حبا لعلي، وأشد لقوله تصديقا. فجاءت شاة فبعرت، فقال: لقد ذكرني بعض بعر هذه الشاة حديثا لعلي، قالوا: وما علم علي بهذا؟
قال: أقبلنا فرجعنا من صفين فنزلنا كربلاء، فصلى بنا علي صلاة الفجر بين شجرات ودوحات حرمل، ثم أخذ كفا من بعر الغزلان فشمه، ثم قال: أوه، أوه يقتل بهذا الغائط قوم يدخلون الجنة بغير حساب. قالت حرداء: وما تنكر من هذا؟ هو أعلم بما قال منك، نادت بذلك وهي في جوف البيت (٢).
- عن مصعب بن سلام قال: حدثنا الأجلح بن عبد الله الندي، عن أبي جحيفة قال: جاء عروة البارقي إلى سعيد بن وهب. فسأله وأنا أسمع فقال: حديث حدثنيه عن علي بن أبي طالب. قال: نعم، بعثني مخنف بن سليم إلى علي. فأتيته بكربلاء، فوجدته يشير بيده ويقول: هاهنا هاهنا. فقال له رجل: وما ذلك يا أمير المؤمنين؟ قال: ثقل لآل محمد ينزل هاهنا، فويل لهم منكم، وويل لكم منهم.

---

(١) وقعة صفين: ١٤٠.
(٢) طبقات ابن سعد (ترجمة الإمام الحسين): ٤٩.

فقال له الرجل: ما معنى هذا الكلام يا أمير المؤمنين؟ قال: ويل لهم منكم، تقتلونهم، وويل لكم منهم، يدخلكم الله بقتلهم إلى النار (١).

- عن علي بن الحسين، عن سعد، عن ابن عيسى، عن محمد البرقي، عن عبد العظيم الحسني، عن الحسن بن الحكم النخعي، عن كثير بن شهاب الحارثي، قال: بينا نحن جلوس عند أمير المؤمنين (عليه السلام) في الرحبة إذ طلع الحسين (عليه السلام) عليه فضحك علي حتى بدت نواجذه، ثم قال: إن الله ذكر قوما فقال:

* (فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين) * والذي فلق الحبة وبرأ النسمة ليقتلن هذا، ولتبكين عليه السماء والأرض.

- عن جعفر بن محمد الفزاري معنعنا، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: كان الحسين (عليه السلام) مع أمة تحمله فأخذه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وقال: لعن الله قاتلك، ولعن الله

سالبك، وأهلك الله المتوازرين عليك، وحكم الله بيني وبين من أعان عليك.

قالت فاطمة الزهراء (عليها السلام): يا أبة أي شئ تقول؟ قال: يا بنتاه ذكرت ما يصيبه بعدي وبعدك من الأذى والظلم والغدر والبغي، وهو يومئذ في عصبة كأنهم نجوم السماء يتهادون إلى القتل، وكأني أنظر إلى معسكرهم، وإلى موضع رجالهم وتربتهم.

قالت: يا أبة وأين هذا الموضع الذي تصف؟ قال: موضع يقال له: كربلاء هي دار كرب وبلاء علينا وعلى الأئمة، يخرج عليهم شرار أمتي " لو أن أحدهم شفع " له من في السماوات والأرضين فاشفعوا فيه، وهم مخلدون في النار.

قالت: يا أبة فيقتل؟ قال: نعم يا بنتاه، وما قتل قتلته أحد كان قبله وتبكيه أهل السماوات والأرضين، والملائكة، والوحش، والحيتان، والنباتات، والبحار

---

(١) وقعة صفين: ١٤١.

والجبال، ولو يؤذن لها ما بقي على الأرض متنفس، ويأتيه قوم من محبينا ليس إليه غيرهم أولئك مصابيح في ظلمات الجور، وهم الشفعاء وهم واردون حوضي غدا أعرفهم إذا وردوا علي بسيماهم وكل أهل دين يطلبون أئمتهم، وهم يطلبوننا لا يطلبون غيرنا، وهم قوام الأرض: وبهم ينزل الغيث.

فقالت: فاطمة الزهراء (عليها السلام): يا أبة إنا لله وبكت، فقال لها:

يا بنتاه إن أفضل أهل الجنان هم الشهداء في الدنيا، بذلوا أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة، يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا، فما عند الله خير من الدنيا وما فيها قتلة أهون من ميتة، ومن كتب عليه القتل، خرج إلى مضجعه، ومن لم يقتل فسوف يموت، يا فاطمة بنت محمد:

أما تحبين أن تأمري غدا بأمر فتطاعي في هذا الخلق عند الحساب؟ أما ترضين أن يكون ابنك من حملة العرش؟ أما ترضين أن يكون أبوك يأتونه يسألونه الشفاعة؟ أما ترضين أن يكون بعلك قسيم النار، يأمر النار فتطيعه يخرج منها من يشاء؟

أما ترضين أن تنظري إلى الملائكة على أرجاء السماء وينظروا إليك وإلى ما تأمرين به، وينظروا إلى بعلك إذا أفلجت حجته على الخلائق، وأمرت النار أن تطيعه؟

أما ترضين أن تكون الملائكة تبكي لابنك ويأسف عليه كل شئ؟ أما ترضين أن يكون من آتاه زائرا في ضمان الله، ويكون من آتاه بمنزلة من حج إلى بيت الله الحرام واعتمر، ولم يخل من الرحمة طرفة عين، وإذا مات مات شهيدا، وإن بقي لم تزل الحفظة تدعو له ما بقي، ولم يزل في حفظ الله وأمنه حتى يفارق الدنيا. قالت: يا أبة سلمت ورضيت وتوكلت على الله، فمسح على قلبها ومسح عينها، وقال: إني وبعلك وأنت وابنيك في مكان تقر عيناك ويفرح

قلبك (١).
– عن محمد الحميري، عن أبيه، عن أحمد بن محمد بن يحيى، عن
محمد بن سنان، عن المفضل بن عمر، عن الصادق جعفر بن محمد، عن أبيه، عن
جده (عليه السلام) أن الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهم السلام) دخل يوما إلى
الحسن (عليه السلام) فلما نظر
إليه بكى، فقال له: ما يبكيك يا أبا عبد الله؟ قال: أبكي لما يصنع بك، فقال له
الحسن (عليه السلام): إن الذي يؤتى إلي يدس إلي فأقتل به، ولكن لا يوم كيومك يا أبا
عبد الله، يزدلف ثلاثون ألف رجل يدعون أنهم من أمة جدنا محمد (صلى الله عليه
وآله وسلم) وينتحلون
دين الإسلام، فيجتمعون على قتلك وسفك دمك، وانتهاك حرمتك، وسبي ذراريك
ونسائك، وانتهاب ثقلك، فعندها تحل ببني أمية اللعنة، وتمطر السماء رمادا ودما،
ويبكي عليك كل شئ حتى الوحوش في الفلوات، والحيتان في البحار (٢).
العامة تعلم بمقتله (عليه السلام) في كربلاء
– لقد صار واضحا لدى العامة بأن الإمام الحسين سوف يقتل وأن مقتله
سيكون بأرض كربلاء، فقال ابن سعد:
أخبرنا علي بن محمد، عن عامر بن أبي محمد، عن الهيثم بن موسى، قال:
قال العريان بن الهيثم: كان أبي يتبدى فينزل قريبا من الموضع الذي كان فيه معركة
الحسين، فكنا لا نبدو إلا وجدنا رجلا من بني أسد هناك، فقال له أبي: أراك
ملازما هذا المكان؟! قال: بلغني أن حسينا يقتل هاهنا، فأنا أخرج لعلي أصادفه
فأقتل معه، فلما قتل الحسين، قال أبي: انطلقوا انظروا هل الأسدي فيمن قتل؟

---

(١) العوالم ٨: ١٣٩.
(٢) المصدر السابق ٨: ٤٥٩.

فأتينا المعركة فطفنا فإذا الأسدي مقتول (١).
- عن ابن سعد قال: حدثنا سليمان، حدثنا محمد بن محمد التمار البصري، حدثنا ابن كثير العبدي، حدثنا سليمان بن كثير عن حصين بن عبد الرحمن، عن علاء بن أبي عائشة، عن أبيه، عن رأس الجالوت، قال:
كنا نسمع أنه يقتل بكربلاء ابن نبي فكنت إذا دخلتها، ركضت فرسي حتى أجوز عنها، فلما قتل الحسين، جعلت أسير بعد ذلك على هنيتي (٢).
- روي عبد الله بن شريك العامري قال: كنت أسمع أصحاب علي (عليه السلام) إذا دخل عمر بن سعد من باب المسجد يقولون: هذا قاتل الحسين بن علي (عليهما السلام) وذلك
قبل قتله بزمان (٣).

---

(١) أخرجه الحافظ ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٢٦٩ بأسناده عن أبي سعد: كان أبي يتبدى أي يخرج إلى البادية، والرجل من بني أسد هو أنس بن الحارث بن نبيه الصحابي.
قال البخاري في التاريخ الكبير ٢، ٣٠: أنس بن الحارث قتل مع الحسين بن علي سمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم).
وقال ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل ٢: ٢٨٧: أنس بن الحارث له صحبة قتل مع الحسين بن علي (عليهما السلام) وذكر عن أنس بن الحارث قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: إن ابني هذا - يعني الحسين - يقتل بأرض يقال لها: كربلاء فمن شهد ذلك منكم فلينصره.
ذكر ابن كثير في البداية والنهاية ٨: ١٩٩، والخوارزمي في مقتل الحسين (عليه السلام) ١: ١٥٩: قتل أنس بن
الحارث مع الحسين بن علي (عليه السلام).
وذكره ابن الأثير في أسد الغابة ١: ١٤٦ وذكر أنه سمع النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يقول: ابني هذا يقتل بأرض من
أرض العراق فمن أدركه منكم فلينصره، فقتل مع الحسين (رضي الله عنه).
وترجم لأبيه أيضا ١: ٤١٧، وقال: روى أنس بن الحارث بن نبيه عن أبيه الحارث بن نبيه، وكان من أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) من أهل الصفة، قال: سمعت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). والحسين في حجره. يقول: إن
ابني هذا يقتل في أرض يقال لها: العراق فمن أدركه منكم فلينصره، فقتل الحارث بن أنس مع الحسين.
(٢) رواه ابن عساكر في تاريخ دمشق: ٣٧٧، والطبراني ٣: ١١١.
(٣) الإرشاد: ١٣١.

– سمع عون بن أبي جحيفة قال: إنا لجلوس عند دار أبي عبد الله الجدلي، فأتانا مالك بن صحار الهمداني فقال: دلوني على منزل فلان (١)، قال: قلنا ألا ترسل إليه فيجئ قال: وكنا في الكلام إذ جاء، فقال له ابن صحار:
أتذكر يوم بعثك مخنف إلى أمير المؤمنين وهو بشاطئ الفرات، فقال:
ليحلن هاهنا ركب من آل رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يمد بهذا المكان فتقتلونهم، فويل
لكم منهم وويل لهم منكم (٢).
الحسين (عليه السلام) ينعى نفسه
نتيجة للأخبار الواردة عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته الأطهار بأن الحسين (عليه السلام)
سيقتل بأرض في العراق أو شاطئ الفرات، أكد الإمام الحسين (عليه السلام) بأنه سيقتل
برحلته هذه إلى العراق، لذلك نعى نفسه لكل من أراد أن يثنيه عن رحلته إلى العراق، فقد صرح أمام الملأ بقوله: (كأن أوصالي تقطعها غسلان الفلوات بين النواويس وكربلاء). وسنذكر هنا طائفة من الأخبار الواردة بهذا الخصوص.
– قال ابن سعد: أخبرنا علي بن محمد، عن الحسن بن دينار، عن معاوية بن قرة قال: قال الحسين: والله ليعتدن علي كما اعتدت بنو إسرائيل في السبت (٣).
– قال ابن سعد: أخبرنا علي بن محمد، عن جعفر بن سليمان الضبعي، قال: قال الحسين بن علي: والله لا يدعوني حتى يستخرجوا هذه العلقة من جوفي! فإذا فعلوا سلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرم الأمة. فقدم

---

(١) هو سعيد بن وهب بعثه مخنف بن سليم إلى علي (عليه السلام) قال: فأتيته بكربلا فوجدته يشير بيده ويقول:
هاهنا هاهنا.. الحديث.
(٢) رواه نصر بن مزاحم في وقعة صفين: ١٤١.
(٣) طبقات ابن سعد: ٦٠.

العراق فقتل بنينوى سنة إحدى وستين (١).
– قال ابن سعد: دخل عبد الله بن عباس على الحسين فكلمه طويلا، وقال: أنشدك الله أن تهلك بحال مضيعة، لا تأتي العراق، وإن كنت لا بد فاعلا فأقم حتى ينقضي الموسم، وتلقى الناس وتعلم على ما يصدرون، ثم ترى رأيك (وذلك في عشرة ذي الحجة سنة ٦٠).
فأبى الحسين إلا أن يمضي إلى العراق، فقال له ابن عباس: والله إني لأظنك ستقتل غدا بين نسائك وبناتك كما قتل عثمان بين نسائه وبناته، والله إني لأخاف أن تكون الذي يقاد به عثمان، فأنا لله وإنا إليه راجعون.
فقال الحسين: أبا العباس إنك شيخ قد كبرت، فقال ابن عباس: لولا أن يزري بي أو بك لنشبت يدي في رأسك، لو أعلم أنا إذا تناحينا أقمت لفعلت، ولكن لا أخال ذلك نافعي. فقال له الحسين: لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلي أن تستحل بي – يعني مكة – قال: فبكى ابن عباس، وقال: أقررت عين ابن الزبير فذلك سلى بنفسي عنه، ثم خرج عبد الله بن عباس من عنده وهو مغضب وابن الزبير على الباب، فلما رآه قال: يا بن الزبير قد أتى ما أحببت، قرت عينك، هذا أبو عبد الله يخرج ويتركك الحجاز، تم تمثل:

يا لك من قبرة بمعمر * خلا لك الجو فبيضي واصفري
ونقري ما شئت أن تنقري (٢)

---

(١) عن ترجمة الإمام الحسين: حتى تكونوا أذل من فرم الأمة، هو بالتحريك ما تعالج به المرأة فرجها ليضيق، وقيل هو خرقة الحيض.
(٢) رواه ابن سعد في الطبقات من ترجمة الإمام الحسين: ٦٠.
البيت لطرفة بن العبد، راجع قصته في مجمع الأمثال ١: ٢٣٩، وربما نسب البيت إلى كلب بن ربيعة، راجع لسان العرب ٣: ٣٨٥.

وأخرجه الحافظ يعقوب بن سفيان النسوي قال: حدثنا أبو بكر، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا إبراهيم بن ميسرة، قال: سمعت طاووسا يقول: سمعت ابن عباس يقول:
استشارني الحسين بن علي في الخروج فقلت: لولا أن يزري ذلك بي أو بك لنشبت يدي في رأسك، فكان الذي رد علي أن قال: لأن أقتل بمكان كذا وكذا أحب إلي من أن تنجدني - يعني مكة - قال ابن عباس: فذلك الذي سلى نفسي عنه (١).
- وعندما وصل الإمام الحسين وأصحابه إلى أرض كربلاء قال: ما يقال لهذه الأرض؟ فقالوا: كربلاء، ويقال لها: نينوى قرية بها، فبكى وقال: كرب وبلاء، أخبرتني أم سلمة قالت: كان جبرئيل. الحديث (٢).
- قال ابن سعد: أخبرنا موسى بن إسماعيل قال: حدثنا جعفر بن سليمان، عن زيد الرشك، قال: حدثني من شاهد الحسين، قال: رأيت أبنية مضروبة بفلات من الأرض فقلت: لمن هذه؟ قالوا: هذه للحسين، قال: فأتيته فإذا شيخ يقرأ القرآن قال: والدموع تسيل على خديه ولحيته، قال: قلت: بأبي وأمي يا بن رسول الله ما أنزلك هذه البلاد والفلاة ليس بها أحد؟ فقال هذه كتب أهل الكوفة إلي ولا أراهم إلا قاتلي، فإذا فعلوا ذلك لم يدعوا لله حرمة إلا انتهكوها، فيسلط الله عليهم من يذلهم حتى يكونوا أذل من فرم الأمة - يعني مقتنعها (٣).
- ذكر ابن سعد في الطبقات قال: كتب عبد الله بن جعفر كتابا يحذره أهل

---

(١) المعرفة والتاريخ ١: ٥٤١.
(٢) تذكرة الخواص: ٢٥٠.
(٣) رواه ابن سعد في الطبقات من ترجمة الإمام الحسين: ٦١.

الكوفة ويناشده الله أن يشخص إليهم، فكتب إليه الحسين: إني رأيت رؤيا، ورأيت فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمرني بأمر وأنا ماض له، ولست بمخبر به أحدا حتى ألاقي
عملي (١).
- عن يحيى بن إسماعيل، عن الشعبي: أن سالما (٢) قال: قيل لأبي
عبد الله بن عمر: إن الحسين توجه إلى العراق، فلحقه على ثلاث مراحل من المدينة، وكان غائبا عند خروجه، فقال: أين تريد؟ قال: أريد العراق، وأخرج إليه كتب القوم، هذه بيعتهم وكتبهم، فناشده الله أن يرجع، فأبى، فقال: أحدثك بحديث ما حدثت به أحدا قبلك: إن جبريل أتى النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يخيره بين الدنيا
والآخرة، فاختار الآخرة، وإنكم بضعة منه، فوالله لا يليها أحد من أهل بيته أبدا، وما صرفه الله عنكما إلا ما هو خير لكم، فأنت تعرف غدر أهل العراق وما كان يلقي أبوك منهم، فأبى فاعتنقه، وقال: استودعك الله من قتيل (٣).
- وروى سالم بن أبي حفصة قال: قال عمر بن سعد للحسين بن
علي (عليهما السلام):
يا أبا عبد الله إن قبلنا ناسا سفهاء، يزعمون أني أقتلك، فقال له الحسين (عليه السلام): " إنهم ليسوا بسفهاء، ولكنهم حلماء، أما إنه يقر عيني إلا تأكل بر العراق بعدي إلا قليلا ".
وروى عبد الله بن شريك العامري قال: كنت أسمع أصحاب علي (عليه السلام) إذا دخل
عمر بن سعد من باب المسجد يقولون هذا قاتل الحسين بن علي، وذلك قبل أن

---

(١) المصدر السابق: ٥٩.
(٢) سالم بن عبد الله بن عمر، ويكنى أبا عمر، وكان من خيار فقهائهم، وكان أبوه يلام في حبه، مات في المدينة سنة مائة.
(٣) العقد الفريد ٤: ٣٨٤.

يقتل بزمان (١).
- وذكر أبو علي السلمي البيهقي في تاريخه: أن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال للحسين
بن علي (عليه السلام): إن لك في الجنة درجة لا تنالها إلا بالشهادة. قال السلمي: فكان يعلم
وقت اجتماع العسكر عليه أنه مقتول، فصبر ولم يجزع حتى نال الشهادة. عليه السلام (٢).
- روى عن ابن عباس: لما أراد أن يثني الحسين (عليه السلام) عن الخروج إلى العراق وأبى الحسين ذلك خرج منه وهو يقول: وا حسيناه، أنعى حسينا لمن سمع (٣).
خاتمة البحث
بعد أن قمنا بعون الله بجمع الروايات المعتبرة والمتواترة، الواردة أغلبها من طريق العامة، بأخبار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن ولده وثمرة فؤاده الحسين بن علي (عليه السلام)،
يقتل بأرض في العراق تسمى كربلاء، وأن المنحرفين من أمته سوف يجتمعون تحت راية الضلال والانحراف في هذه الأرض، ويساهمون في قتل عترته الطاهرة.
وكان إخبار رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بحادثة مقتل ولده الحسين (عليه السلام) من ضمن إخباره
بحوادث كثيرة، وقعت منها في حياته، وأخرى بعد مماته، وقد تطرق المرجع الكبير المرحوم محمد الحسين آل كاشف الغطاء لهذا الموضوع بقوله: " والمناسبة

---

(١) أنظر: الإرشاد: ٢٥١. العوالم ١٧: ١٤٩ ح ٩. البحار ٤٤: ٢٦٣ ح ١٩.
(٢) أنظر: ذخائر العقبى: ١٤٨، جمع الجوامع ٦: ٢٢٣، الجامع الصغير ١: ١٣، مجمع الزوائد ٩: ١٨٧، الصواعق المحرقة: ١١٥، الصراط السوي: ٩٣، فيض الغدير ١: ٢٠٤.
(٣) أنساب الأشراف ٣: ٢٧٤.

نقول: إن نبينا (صلى الله عليه وآله وسلم) كما أخبر بقتل ولده الحسين (عليه السلام) في كربلاء قبل وقوعه، ودفع
لزوجته أم سلمة من تربتها وأراها الجملة من أصحابه، كذلك أخبر بحوادث كثيرة ووقائع قبل وقوعها، فوقع بعضها في حياته، وبعضها بعد رحلته من الدنيا.
(فمن الأول) أخباره بفتح مكة ودخولهم المسجد الحرام آمنين مطمئنين، كما في القرآن الكريم، وإخباره بغلبة الروم على الفرس في بضع سنين، كما في القرآن أيضا، وأخباره بأن كسرى قد مات أو قتل، وأخباره بالكتاب الذي مع حاطب بن بلتعة وكثير من أمثالها.
(ومن الثاني) إخباره بأن أصحابه يفتحون ممالك كسرى وقيصر، وأن أصحابه يختلفون في الخلافة من بعده، وإخباره بمقتل عثمان، وشهادة أمير المؤمنين بسيف ابن ملجم، وبسم ولده الحسن، وغلبة بني أمية على الأمة، وبشهادة قيس بن ثابت الشماس، وبفتح الحيرة البيضاء، وقضية المرأة التي وهبها لبعض أصحابه، ولما فتح الحيرة خالد بن الوليد طلبها منه، واستشهد بشاهدين من الصحابة فدفعها له وهي الشيماء أخت عبد المسيح بن بقيلة كبير النصارى وقسهم الأعظم، إلى كثير من أمثال هذه الوقائع التي لو جمعت لكانت كتابا مستقلا " (١).
لكن هذه الأمة التي أراد لها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن تكون خير الأمم، تأمر
بالمعروف وتنهى عن المنكر قد طعنت رسول الله في خاصرته، وخذلته في أحب الخلق إليه وهم أهل بيته.
لقد تجمع أعوان الضلال والانحراف على قتل ذريته الطاهرة شر قتلة،
ومزقتهم شر ممزق، وكان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول أيام صفين: " والله ما سمعت إن

---

(١) الأرض والتربة: ٦٣.

أمة آمنت بنبيها قاتلت أهل بيته غيركم " (١). ورسول الله يؤكد على لزوم الأمة بمودة أهل بيته، ورعايتهم إكمالا للدين، وإتماما للنعمة (٢).

وروى عن الحسن أنه قال: إنا من أهل بيت فرض الله مودتهم في كتابه فقال تعالى: * (قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له بها حسنا) * فالحسنة مودتنا أهل البيت (٣).

لكن هذه الأمة التي لم تلتزم بوصايا الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله وسلم) بمودة أهل بيته،

ولم تكتف بهذا بل ذهبت أبعد من ذلك، من قتلهم وتشريدهم، والتاريخ شاهد على ما ارتكبوه من إجرام واضطهاد بحقهم، وأصبحت أعمالهم الشائنة هذه محل سخرية واستهجان حتى من غير المسلمين، كما في رواية ابن أبي لهيعة عن ابن الأسود، قال: لقيت رأس الجالوت، فقال: إن بيني وبين داود سبعين أبا، وإن اليهود إذا رأوني عظموني وعرفوا حقي وأوجبوا حفظي، وإنه ليس بينكم وبين نبيكم إلا أب واحد قتلتم ابنه (٤).

فإذا كان حال آل الرسول هذه، فكيف الحال وبقية أحكام الدين التي جاهد رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته الميامين من أجل تطبيقها لانتشال الأمة من براثن

الجاهلية إلى مواقع السمو والرفعة. وما كان على الحسين (عليه السلام) وهو حفيد رسول

---

(١) مناقب الخوارزمي: ١٦٥.

(٢) عن محمد بن خالد، قال: قال إبراهيم النخعي: لو كنت فيمن قتل الحسين ودخلت الجنة لاستحيت أن أنظر إلى وجه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم). انظر العقد الفريد ٤: ٣٨٢.

(٣) الإرشاد: ٢٥٤.

(٤) العقد الفريد ٤: ٣٨٢.

الجالوت: الجالية من اليهود، أي الذي جلوا عن أوطانهم ببيت المقدس.

ورأس الجالوت: رئيسهم، وكان من ولد داود (عليه السلام). انظر مفاتيح العلوم الخوارزمي: ٣٤.

الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أن يفعل وهو يرى أحكام الدين قد تعطلت، والانحراف والعودة إلى
الجاهلية التي أخذت تدب في أوصال أمة جده محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). قال (عليه السلام) في إحدى
خطبه: " إن هؤلاء قوم لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، فأظهروا الفساد، وعطلوا الحدود واستأثروا بالفئ " (١).

وما كان على الإمام الحسين (عليه السلام) وهو سيد قريش أن يفعل، وقد رقى منبر جده شخصية متهتكة مثل يزيد، الذي يجاهر بأفعاله المنكرة على مسمع ومرأى من الأمة، علاوة على رسل أهل العراق التي كانت تصل إلى الإمام الحسين تحثه على الخروج إليهم، والالتفاف حول قيادته الرشيدة، لانتشال الأمة من هاوية السقوط والعودة بها الإسلام المحمدي الأصيل، ومن جملة ما كتب له أهل الكوفة خمسين صحيفة، الصحيفة من الرجل والاثنين والثلاثة والأربعة، وكتبوا معهما:
" أما بعد فحي هلا، فإن الناس منتظرون لا إمام لهم غيرك، فالعجل، ثم العجل، ثم العجل، والسلام " (٢).

وكتب إليه أشراف الكوفة أيضا منهم شبث بن ربعي، وحجار بن أبجر، وعمرو بن الحجاج الزبيدي وغيرهم: " أما بعد، فقد اخضر الجناب، وأينعت الثمار، وطمت الجمام، فإذا شئت فأقدم علينا، فإنما تقدم على جند لك مجندة، والسلام " (٣).

بعد هذا، هل يعذر الحسين بعدم خروجه إلى العراق، والأمة هناك، وعدته في انتظاره ليبدأ بهم عملية التغيير الفعلي بعدما أصيب دين جده (صلى الله عليه وآله وسلم)، والعودة
للنهج الصحيح الذي شذ عنه بنو أمية منذ الوهلة الأولى لاستحواذهم على زمام

---

(١) أنساب الأشراف ٣: ٣٨١.
(٢) المصدر السابق ٣: ٣٧٠.
(٣) المصدر السابق ٣: ٣٧٠.

السلطة وقيادة الأمة.
لذلك لم يجد الإمام الحسين (عليه السلام) بدا من الموافقة على طلب أهل العراق بالخروج إليهم، على الرغم من المخاطر الجسيمة التي كانت تحف به، وهو على يقين بأن هؤلاء القوم لا يفون له، لكنه (عليه السلام) أراد أن يلقي الحجة على قوم عابوا على
أخيه الحسن من قبل بعد أن صالح معاوية عندما وجد فيهم التخاذل والتقاعس.
قرر الإمام الحسين (عليه السلام) الخروج إلى العراق على الرغم من تحذيرات بعض الناس له، ومنعه من الخروج، لكنه (عليه السلام) أصر على الخروج، لأنه كان يرى في أفق
لا ترى الناس مثله، فعندما منعته أم سلمة من الخروج، قال لها: " إني والله مقتول وإن لم أخرج للعراق ".
ثم سار الركب متوجها إلى العراق، إلى الأرض ذات التربة الحمراء التي
أبكت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، إلى أرض كربلاء التي كانت على موعد مع الملحمة
التاريخية التي أخبر عنها رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الأمين جبرئيل (عليه السلام).
لقد شهدت كربلاء دم آل الرسول يسيل على بطائحها وهم مجندلون على
رمضائها، لقد شهدت كربلاء أراذل عبيد الله بن زياد وهم يجولون على صدر الحسين، وآخرين يتسابقون لإحراق خيم آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)..
ومن بين صخب
القوم وضجيجهم يخرج صوت يشق عباب صحراء كربلاء: " يا محمداه، صلى عليك ملائكة السماء، هذا الحسين بالعراء، مرمل بالدماء، مقطع الأعضاء، وبناتك سبايا وذريتك مقتلة تسفي عليها الرياح " (١).
نعم لقد كان صوت العقيلة زينب (عليه السلام) يصك السمع، ويخترق الحجب، ولا زالت صحراء كربلاء تردد صداه على مر الزمن والتاريخ " واثكلاه، ليت الموت

---

(١) أنساب الأشراف ٤: ٨١.

أعدمني الحياة، ماتت فاطمة أمي وعلي أبي، والحسن أخي، يا خليفة الماضي وثمالة الباقي " (١).
وهكذا انتهت ملحمة كربلاء، وصار الانتصار المزعوم خزيا وعارا، وعاد القتلة تلاحقهم اللعنات أينما حلوا، وقد خسروا خسرانا مبينا (٢).
* * *

---

(١) أنساب الأشراف ٣: ٣٩٣.
(٢) ذكر الطبري قال: دخل زحر بن قيس على يزيد، فقال: ما وراءك؟ فقال: أبشر يا أمير المؤمنين بفتح الله ونصره، ورد علينا الحسين بن علي في ثمانية عشر من أهل بيته وستين من شيعته، فسرنا إليهم فسألناهم أن ينزلوا على حكم الأمير عبيد الله أو القتال، فاختاروا القتال، فعدونا عليهم مع شروق الشمس، فأحطنا بهم من كل ناحية حتى أخذت السيوف مأخذها من هام القوم جعلوا يهربون إلى غير وزر ويلوذون بالأكام والحفر، كما لاذ الحمام من صقر، فوالله ما كان إلا جزر جزور، أو نومة قائل، حتى أتينا على آخرهم فهاتيك أجسادهم مجردة وثيابهم مرملة، وخدودهم معفرة، تصهرهم الشمس، وتسفي عليهم الريح، زوارهم العقبان والرخم.
الطبري ٥: ٤٥٦.
وذكر ابن الأثير: قال الناس لسنان بن أنس النخعي: قتلت الحسين بن علي وابن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، قتلت أعظم العرب خطرا، أراد أن يزيل ملك هؤلاء، فأت أمراءك فأطلب ثوابك منهم فأنهم
لو أعطوك بيوت أموالهم في قتله كان قليلا.
فأقبل على فرسه، حتى وقف على باب فسطاط عمر بن سعد ثم نادى بأعلى صوته:
أوقر ركابي فضة أو ذهبا * إني قتلت السيد المحجبا
قتلت خير الناس أما وأبا * وخيرهم إذ ينسبون نسبا

فضل كربلاء والحائر الحسيني
فضل كربلاء
لقد أطلت كربلاء على أوسع نافذة من منافذ التاريخ، بعد قيام الحسين (عليه السلام) بمسيرته التاريخية إليها، وهي الثورة على الظلم ودك صروح الطغيان، حتى استشهد مع أهل بيته وأصحابه، ومن ذلك الحين حلت كربلاء محل الإجلال والتقديس لعامة المسلمين الذين اهتزت مشاعرهم لهول الجريمة الشنعاء، التي ارتكبها الطغاة في تنكيل عترة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) الطاهرة، حتى أصبحت كربلاء
المسرح الذي تمثلت فيه صورة الرفض والتحدي للواقع الفاسد الذي مثلته بنو أمية خير تمثيل.
ولا ريب فأن كربلاء التي تشرفت من دون بقاع العالم، وضمت بين جنباتها سبط الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم)، فما هو إلا تكريم من الله سبحانه وتعالى لهذه البقعة
الطاهرة، التي أصبحت محط أنظار المسلمين، ومهوى أفئدتهم، والتواقين منهم للثورة ضد التعسف والظلم.
ومن هنا جاءت روايات أهل البيت (عليهم السلام) في تشريف هذه البقعة المباركة التي
أصبحت مثوى للحسين (صلى الله عليه وآله وسلم) وأهل بيته وأصحابه، وقد ورد عن الصادق (عليه السلام) أنه
قال: " إن الله أتخذ بفضل قبره كربلاء حرما آمنا مباركا قبل أن يتخذ مكة

حرما " (١). ووصفها الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) كما في رواية الإمام الصادق (عليه السلام) عن
آبائه، عن أمير المؤمنين (عليه السلام)، أنه قال: قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): " هي البقعة التي كانت
فيها قبة الإسلام، التي نجا الله عليها المؤمنين الذين آمنوا مع نوح في الطوفان " (٢).
وفي بعض الروايات إن الله سبحانه وتعالى فضلها على بقاع الأرض، حتى
تجاوزت بفضلها أرض مكة كما ورد في رواية أبي عبد الله أنه قال:
" إن أرض كعبة قالت: من مثلي، وقد بنى الله بيته على ظهري ويأتيني من
كل فج عميق، وجعلت حرم الله وأمنه؟ فأوحى الله إليها كفي وقري، فوعزتي
وجلالي ما فضل ما فضلت به فيما أعطيت به أرض كربلاء إلا بمنزلة الإبرة غمست
في البحر فحملت من ماء البحر، ولولا تربة كربلاء ما فضلتك، ولولا ما تضمنته
أرض كربلاء لما خلقتك ولا خلقت البيت الذي افتخرت به، فقري واستقري وكوني
دنيا متواضعا ذليلا مهينا غير مستنكف ولا مستكبر لأرض كربلاء وإلا سخت بك
وهويت بك في نار جهنم " (٣). وفي رواية صفوان الجمال قال:
سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إن الله تبارك وتعالى فضل الأرضين والمياه
على
بعض، فمنها ما تفاخرت، ومنها ما بغت، فما من ماء ولا أرض إلا عوقبت لتركها
التواضع لله، حتى سلط الله المشركين على الكعبة فأرسل إلى زمزم ماء مالحا حتى
أفسد طعمه، وأن أرض كربلاء وماء الفرات (٤) أول أرض وأول ماء قدس الله تبارك

---

(١) كامل الزيارات: ٢٧٩.
(٢) المستدرك ١٠: ٣٢٤، بحار الأنوار ١٠١: ١٠٩.
(٣) كامل الزيارات: ٢٧٩، الوسائل ١٤: ٥١٥، بحار الأنوار ١٩: ١٠٦.
(٤) وروي عن الصادق (عليه السلام) في فضل ماء الفرات، قال فيه: " روي أن أبا عبد الله جعفر بن محمد الصادق
شرب من ماء الفرات ثم استزاد واستزاد، فحمد الله وقال: نهر ما أعظم بركته! ولو علم الناس ما فيه من البركة لضربوا على حافته القباب. ولولا ما يدخله من الخطائين ما اغتمس فيه ذو عاهة إلا برئ ".

وتعالى، فبارك الله عليها فقال لها: تكلمي بما فضلك الله تعالى فقد تفاخرت الأرضون والمياه بعضها على بعض، قالت: أنا أرض المقدسة المباركة، الشفاء في تربتي ومائي، ولا فخر، بل خاضعة ذليلة لمن فعل ذلك، ولا فخر على من دوني، بل شكرا لله، فأكرمها وزاد في تواضعها وشكرها الله بالحسين (عليه السلام) وأصحابه، ثم قال

أبو عبد الله (عليه السلام): " من تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله تعالى " (١).

وفي رواية عن ابن الجارود قال: قال علي بن الحسين (عليه السلام): " اتخذ الله أرض كربلاء حرما آمنا مباركا قبل أن يخلق الله أرض الكعبة ويتخذها حرما بأربعة وعشرين ألف عام، وأنه إذا زلزل الله تبارك وتعالى وسيرها رفعت كما هي بتربتها نورانية صافية، فجعلت في أفضل روضة من رياض الجنة، وأفضل مسكن في الجنة، لا يسكنها إلا النبيون والمرسلون، أو قال – أولوا العزم من الرسل – وإنها لتزهر بين رياض الجنة كما يزهر الكوكب الدري بين الكواكب لأهل الأرض يغشي نورها أبصار أهل الجنة جميعا، وهي تنادي: أنا أرض الله المقدسة الطيبة المباركة التي تضمنت سيد الشهداء وسيد شباب أهل الجنة " (٢).

ومثله روي عن الإمام محمد الباقر (عليه السلام) أنه قال: " خلق الله تبارك وتعالى أرض كربلاء قبل أن يخلق الكعبة بأربعة وعشرين ألف عام، وقدسها وبارك عليها، فما زالت قبل أن يخلق الله الخلق مقدسة مباركة، ولا تزال كذلك حتى جعلها الله أفضل أرض في الجنة، وأفضل منزل ومسكن يسكن الله فيه أولياءه في الجنة " (٣).

لقد جاءت الروايات متواترة عن أئمة أهل البيت (عليه السلام) بفضل أرض كربلاء التي

---

(١) أنظر: كامل الزيارات: ٢٨٤، الوسائل ١٤: ٥١٦، المستدرك ١٠: ٣٢٤، بحار الأنوار ١٠١: ١٠٩.
(٢) أنظر: التهذيب ٦: ٧٢، الوسائل ١٤: ٥١٦، البحار ١٠١: ١٠٧.
(٣) المستدرك ١٠: ٣٢٣، وبحار الأنوار ١٠١: ١٠٨.

استحقت هذه القدسية وهي تحث المسلمين على الإكثار من زيارة الحسين (عليه السلام) في
كربلاء والتبرك بتربته الطاهرة حتى ذكر عن الإمام الباقر (عليه السلام) أنه قال: " من بات ليلة
عرفة في كربلاء وأقام بها حتى يعيد وينصرف وقاه الله شر سنته " (١).
نعم هذه كربلاء التي قال عنها أمير المؤمنين (عليه السلام): " طوبى لك من تربة عليك تهرق دماء الأحبة " (٢)، ثم قال (عليه السلام) أيضا: " قبض فيها مائتا نبي ومائتا وصي ومائتا
سبط كلهم شهداء بأتباعهم " (٣).

فضل الحائر الحسيني

بعد أن تطرقنا إلى فضل كربلاء بشكل عام، وبينا ما لها من الفضل والتشريف على بقاع الدنيا، فلا بد أن يكون للموضع الذي حوى الجسد الطاهر للحسين السبط (عليه السلام) من حرمة وتشريف على أرض كربلاء بشكل عام.
إذا كانت كربلاء قد كرمت على بقاع العالم، فالحائر الذي ضم جدث الحسين قد فاق بالشرف والقدسية على كربلاء، التي شرفها الله سبحانه وتعالى على بقاع الأرض قاطبة.
لقد جاءت هذه المنزلة التي خصها الله تعالى لموضع قبر الحسين (عليه السلام) (الحائر)
على لسان الإمام الصادق (عليه السلام) كما جاء في رواية ابن قولويه، عن إسحاق بن عمار،
قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول:
" موضع الحسين (عليه السلام) منذ يوم دفن فيه روضة من رياض الجنة، وفي رواية قال:
موضع قبر الحسين (عليه السلام) ترعة من ترع الجنة " (٤).

---

(١) كامل الزيارات: ٢٨١.
(٢) كامل الزيارات: ٢٨١.
(٣) الوسائل ١٤: ٥١٦.
(٤) أنظر: كامل الزيارات: ٢٨٥، ثواب الأعمال: ١٢٠، المستدرك ١٠: ٣٢٤.

وعنه (عليه السلام) قال: " إن لموضع قبر الحسين (عليه السلام) حرمة معلومة من عرفها واستجار
بها أجير، ثم قال وقبره منذ يوم دخل روضة من رياض الجنة، ومنها يعرج فيه بأعمال زواره (عليه السلام) إلى السماء، وليس ملك ولا نبي في السماوات إلا ويسألون الله أن
يأذن لهم لزيارة الحسين (عليه السلام) ففوج ينزل وفوج يعرج " (١).

نستلخص من الروايات المذكورة فضل موضع قبر الحسين (عليه السلام) الذي أطلق على هذا الموضع بالحائر، وقد حدد الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) موضع الحائر وحث
شيعته على زيارته منذ انقراض دولة بني أمية، وزوال الخوف الذي كان يراود الشيعة في زمن دولتهم، وقبل أن ينحرف بنو العباس عن نهج الثورة التي بواسطتها أسقط النظام الأموي عام ١٣٢ ه وفي أثناء تلك الفترة أزداد التشيع بشكل ملحوظ، وأخذت الشيعة تتطلع إلى زيارة قبر الحسين (عليه السلام) بعدما أدى أئمة أهل البيت (عليهم السلام)
دورا فعالا في توجيههم نحو القيم والمثل العليا التي يتحلون بها، ومنها الادمان على زيارة قبر الحسين (عليه السلام)، وكان للإمام الصادق (عليه السلام) دور بارز في هذا المجال، وقد
قام بتحديد أبعاد الحائر الحسيني كما جاء في رواية ابن قولويه، عنه (عليه السلام) قال: " قبر
الحسين (عليه السلام) عشرون ذراعا في عشرين ذراعا مكسرا روضة من رياض الجنة " (٢).

إذن حدد الإمام أبعاد الحائر المقدس في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني من الهجرة، وبناء على ذلك فإن تحديد الحائر يرجع إلى عهد أول بناء وضع حول المشهد المقدس كما جاء في تحديد محمد بن أحمد بن إدريس الحلي للحائر، فقال: " المراد من الحائر ما دار سور المشهد والمسجد عليه، لأن ذلك هو الحائر حقيقة، لأن الحائر في لسان العرب الموضع المطمئن الذي يحار فيه

---

(١) أنظر: كامل الزيارات: ٢٨٥، التهذيب ٦: ٧١.
(٢) أنظر: كامل الزيارات: ٢٨٦، الوسائل ١٤: ٥١٢، ثواب الأعمال: ١١٩، الكافي ٤: ٥٨٨.

الماء " (١).
أما الحرم فهو أوسع من الحائر بكثير كما جاء في رواية عن الصادق (عليه السلام) قال:
" حريم قبر الحسين (عليه السلام) خمس فراسخ من جانب القبر " (٢).
وفي رواية أخرى قال (عليه السلام): " حرمة قبر الحسين فرسخ في فرسخ في أربعة جوانب القبر " (٣). من هنا جاء التمييز بين الحائر والحرم، وربما جاءت مساحة الحرم التي حددها الإمام الصادق (عليه السلام) بخمس فراسخ من جوانب القبر أو في فرسخ
من جهاته الأربعة، ضمن الأراضي التي ابتاعها الحسين (عليه السلام) أثناء نزوله بكربلاء
بقيمة ستين ألف درهم من أصحابها سكان الغاضرية ونينوى، وكانت مساحتها أربعة أميال في أربعة أميال وتصدق عليهم، وشرط أن يرشدوا إلى قبره وأن يضيفوا من زواره ثلاثة أيام، وقد أكد الإمام الصادق (عليه السلام) هذه الرواية حيث قال: " حرم
الحسين (عليه السلام) الذي اشترى أربعة أميال في أربعة أميال فهو حلال لولده ومواليه،
حرام على غيرهم ممن خالفهم، وفيه البركة " (٤).
أما الحائر فقد وردت فيه روايات مرفوعة إلى الإمام الصادق (عليه السلام)، بأن له حرمة وفضلا عند الله سبحانه وتعالى، ففي رواية إسماعيل بن جابر، مرفوعة إلى الإمام الصادق (عليه السلام) قال: " تتم الصلاة في أربعة مواضع: في المسجد الحرام، وفي
مسجد الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وفي مسجد الكوفة، وفي حائر الحسين (عليه السلام) " (٥).
وروى أبو زياد القندي، قال: قال أبو الحسن (عليه السلام): " أحب لك ما أحب لنفسي

---

(١) الحدائق الناظرة ٢: ٣٤٥.
(٢) التهذيب ٦: ٧١، بحار الأنوار ١٠١: ١١١.
(٣) أنظر: كامل الزيارات: ٢٨٥، الوسائل ١٤: ٥١٠، المستدرك ١٠: ٣٢٠.
(٤) تاريخ كربلاء وحائر الحسين: ٤٤.
(٥، ٤) مصباح المتهجد: ٧٣١، بحار الأنوار ٨٩: ٧٧.

وأكره لك ما أكره لنفسي، تتم الصلاة في الحرمين، وبالكوفة، وعند حرم الحسين " (١).

وروي أبو حذيفة بن منصور قال: حدثني من سمع أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: " تتم الصلاة في المسجد الحرام، ومسجد الرسول، ومسجد الكوفة، وحرم الحسين "، وفي خبر آخر وفي حرم الله وحرم رسوله، ومسجد الكوفة، وحرم الحسين (٢).

لقد حاز الحائر الحسيني هذه الفضيلة العظيمة بإتمام الصلاة فيه كما تتم الصلاة في الحرمين، ومسجد الكوفة، لكن الإمام الصادق (عليه السلام) في روايته السالفة

تجاوز الحائر حتى شمل الحرم جميعه بإتمام الصلاة فيه، وهذا دليل على أن الحرم الحسيني هو مستقر لعامة المسلمين، كما أصبح الحرمين مستقرا لهم، ومن هذه الحالة تتم الصلاة فيهما.

وكان أئمة أهل البيت (عليهم السلام) يعلمون ما للحائر الحسيني من فضل عظيم وهو بقعة مطهرة، فكانوا (عليهم السلام) عند ضنك الحياة يلجأون إلى الحائر الحسيني بالدعاء

والتوسل إلى الله تعالى، فلعمري إذا كان موضع قبر الحسين روضة من رياض الجنة، وتتم الصلاة فيه فإنه حري على الله وهو يحب أن يدعى فيه والدعاء فيه مقبول، ويضاعف فيه الأجر والثواب.

ففي رواية ابن قولويه، عن أبي هاشم الجعفري قال: " بعث إلي أبو الحسن (عليه السلام) في مرضه، وإلى محمد بن حمزة، فسبقني إليه محمد بن حمزة، وأخبرني أنه ما زال يقول: ابعثوا إلى الحائر [ابعثوا إلى الحائر]، فقلت لمحمد: ألا قلت: أنا أذهب إلى الحائر؟!

---

(٢) مصباح المتهجد: ٧١٣، بحار الأنوار ١٠١: ١١١.

ثم دخلت عليه فقلت: جعلت فداك أنا ذاهب إلى الحائر؟ فقال: انظروا في ذلك، ثم قال: إن محمدا ليس له سر من زيد بن علي، وأنا أكره أن يسمع ذلك قال: فذكرت ذلك لعلي بن بلال، فقال: ما كان يصنع بالحائر وهو الحائر!
فقدمت العسكر فدخلت عليه، فقال لي: اجلس (أردت القيام)، فلما رأيته أنس بي وذكرت قول علي بن بلال، فقال لي: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كان يطوف
بالبيت ويقبل الحجر، وحرمة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والمؤمن أعظم من حرمة البيت، وأمره الله
أن يقف بعرفة، وإنما هي مواطن يذكر فيها، فأنا أحب أن يدعى لي حيث يحب الله أن يدعى فيها، والحائر من تلك المواضع " (١).
وفي رواية أخرى عن أبي هاشم الجعفري قال: " دخلت أنا ومحمد بن حمزة عليه (أي الحسن العسكري) نعوده وهو عليل، فقال: لنا وجهوا قوما إلى الحائر من مالي، فلما خرجنا من عنده، قال لي محمد بن حمزة: أنسير بوجهنا إلى الحائر وهو بمنزلة من في الحائر. قال: فعدت إليه فأخبرته، فقال لي: ليس هو هكذا (إن لله مواضع يحب أن يعبد فيها، وحائر الحسين من تلك المواضع) " (٢).
وعنه أيضا قال: دخلت على أبي الحسن علي بن محمد (عليهما السلام) وهو محموم عليل فقال لي: يا أبا هاشم ابعث رجلا من موالينا يدعو الله لي، فخرجت من عنده فاستقبلني علي بن بلال فأعلمته ما قال لي، وسألته أن يكون الرجل الذي يخرج، فقال: السمع والطاعة، ولكني أقول: إنه أفضل من الحائر، إذ كان بمنزلة من في الحائر، ودعاؤه لنفسه أفضل من دعاءنا له بالحائر.. فأعلمته (عليه السلام) بما قال، فقال

---

(١) أنظر: كامل الزيارات: ٢٨٦، الوسائل ١٤: ٣٤٦، الكافي ٤: ٥٦٧، المستدرك ١٠: ٣٤٦، بحار الأنوار ١. ١: ١١٢.
(٢) أنظر: كامل الزيارات: ٢٨٧، المستدرك ١٠: ٣٤٦، بحار الأنوار ١٠١: ١١٣.

لي: قل له: كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أفضل من البيت والحجر، وكان يطوف بالبيت
ويستلم الحجر، وإن لله بقاعا يحب أن يدعى فيها فيستجيب لمن دعاه والحائر منها.
نستلخص من هذه الرواية وإن تعددت أساليب الرواة، أن الحائر من البقاع المطهرة، وأن الله تعالى يحب أن يذكر فيه، ويقبل الدعاء من هذا الموضع الشريف (١).
فضل تربة قبر الحسين (عليه السلام)
(التربة) لغة بمعنى مطلق التراب، فالترب والتربة، والتراب، لها معنى واحد معروف. لكنها صارت حقيقة عرفية في بعض أقسام التراب وهو (التربة الحسينية)، وهو التراب المأخوذ من القبر، أو الموضوع على الصندوق، أو الموضوع في الحائر، وهو ما يصح إطلاق العرف على الطين المأخوذ من القبر لو وجد. بل أطلقت التربة على كون المقصود فيها طين القبر، ومنه قول الصادق (عليه السلام): " وقد
بلغني أن بعض من يأخذ من التربة شيئا يستخف فيها " (٢).
لقد حث الأئمة الأطهار شيعتهم بالتبرك بتربة الحسين (عليه السلام)، حتى صاروا يحلمونها معهم للتبرك أو للسجود عليها عند كل صلاة، وقد انتشرت هذا العادة بين المسلمين منذ بداية الدعوة أي في السنة الثالثة للهجرة، عندما وقعت الحرب بين المسلمين والمشركين في موقعة أحد، وقد انهد فيها أعظم ركن للإسلام، وأقوى حامية من حماته، وهو حمزة بن عبد المطلب عم رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأخوه من

---

(١) كامل الزيارات: ٢٨٧، بحار الأنوار ١٠١: ١١٣.
(٢) الأرض والتربة الحسينية: ٢٨.

الرضاعة، فعظمت مصيبته على النبي وعلى عموم المسلمين، لا سيما وقد مثلت هندا أم معاوية تلك الشنيعة التي قطعت أعضاءه واستخرجت كبده فلاكتها ثم لفظتها، وأمر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) نساء المسلمين بالنياحة عليه في كل مأتم، واتسع الأمر
في تكريمه إلى أن صاروا يأخذون من تراب قبره فيتبركون به ويسجدون عليه لله تعالى، ويعملون المسبحات منه. وتنص بعض المصادر أن فاطمة بنت
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) جرت على ذلك، ولعلها أول من ابتدأ بهذا العمل في حياة أبيها
رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ولعل بعض المسلمين اقتدى بها، وكان لقب حمزة يومئذ سيد
الشهداء، وسماه النبي أسد الله وأسد رسوله (١).
ويؤيد ما ذكره الشيخ المجلسي: عن محمد بن إبراهيم الثقفي، عن أبيه، عن الصادق جعفر بن محمد (عليه السلام) قال: إن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) كانت سبحتها من
خيط صوف مفتل معقود عليه عدد التكبيرات، وكانت تديرها بيدها تكبر وتسبح حتى قتل حمزة بن عبد المطلب، فاستعملت تربته وعملت منها المسابح فاستعملها الناس (٢).
فكانت عادة الناس تقديس تربة الشهداء، وتربة قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، وتربة
بعض الصحابة أيضا، والاستشفاء بها عادة مألوفة عند المسلمين الأولين، فعندما استشهد حمزة سيد الشهداء صاروا يأخذون من تربته للاستشفاء ومعالجة الصداع.
وكذلك كانوا يتبركون ويتداوون بتراب حرم الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) (٣).
فعندما توفي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) صاروا يأخذون من تربته الشريفة كما يستفاد ذلك

---

(١) الأرض والتربة الحسينية: ٦٠.
(٢) بحار الأنوار: ١٤٦.
(٣) كربلاء وفضل الحائر: ١١٩.

مما نقله السيد نور الدين الشافعي بما نصه: " كانوا يأخذون من تراب القبر (يعني قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)) فأمرت عائشة بجدار فضرب عليه، وكانت في الجدار كوة فكانوا
يأخذون منها، فأمرت بالكوة فسدت " (١).
وقد تعدت هذه العادة حدود تربة الشهداء والنبيين إلى تربة بعض من الصحابة، فكانوا يتبركون ويتداوون بتربة صهيب الرومي وغيره.
ويظهر أن أول من صلى من المسلمين، بل من أئمة المسلمين على تربة الإمام الحسين (عليه السلام)، هو زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام)، بعد أن فرغ من دفن أبيه
وأهل بيته وأنصاره، أخذ قبضة من التربة التي وضع عليها الجسد الشريف الذي بضعته السيوف، فشد تلك التربة في صرة وعمل منها سجادة، ومسبحة، وهي السبحة التي كان يديرها بيده حين أدخلوه على يزيد، فسأله: ما هذه التي تديرها بيدك؟ فروى له عن جده رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) خبرا محصله: " أن من يحمل السبحة
صباحا ويقرأ الدعاء المخصوص، لا يزال يكتب له ثواب التسبيح وإن لم يسبح ".
ولما رجع الإمام (عليه السلام) وأهل بيته إلى المدينة صار يتبرك بتلك التربة ويسجد عليها
ويعالج بعض مرضى عائلته بها، فشاع هذا عند العلويين وأتباعهم ومن يقتدي بهم، فأول من صلى على هذه التربة واستعملها هو زين العابدين (عليه السلام)، ثم تلاه ولده الباقر (عليه السلام)، فبالغ في حث أصحابه عليها ونشر فضلها وبركاتها، ثم زاد على ذلك
ولده جعفر الصادق (عليه السلام)، فإنه نوه بها لشيعته، وكانت الشيعة قد ازدادت في عهده
وصارت من كبريات طوائف المسلمين وحملة العلم والآثار (٢).
وقد ذكر الشيخ الطوسي: إنه كان لأبي عبد الله الصادق (عليه السلام) خريطة من ديباج

---

(١) كربلاء وفضل الحائر: ١١٩.
(٢) الأرض والتربة الحسينية: ٦١.

صفراء فيها تربة أبي عبد الله الحسين (عليه السلام)، فكان إذا حضرته الصلاة صبه على سجادته وسجد عليه، ثم قال: إن السجود على تربة أبي عبد الله (عليه السلام) يخرق الحجب

السبع: ولعل المراد بالحجب السبع هي الحاءات السبع من الرذائل التي تحجب النفس عن الاستضاءة بأنوار الحق وهي: (الحقد، والحسد، والحرص، والحدة، والحماقة، والحيلة، والحقارة).

فالسجود على التربة من عظيم التواضع والتوسل بأصفياء الحق، يمزقها ويخرقها ويبدلها بالحاءات السبع من الفضائل وهي: (الحكمة، والحزم، والحلم، والحنان، والحصافة، والحياء، والحب) (١).

ولم تزل الأئمة تحرك العواطف، وتحفز الهمم، وتوفر الدواعي إلى السجود عليها والالتزام بها، وبيان تضاعف الأجر والثواب في التبرك بها والمواظبة عليها، حتى التزمت بها الشيعة إلى اليوم، هذا الالتزام مع عظيم الاهتمام، ولم يمض على زمن الصادق (عليه السلام) قرن واحد حتى صارت الشيعة تضعها ألواحا في جيوبها كما هو

المتعارف عليه اليوم.

حرمة الطين إلا طين قبر الحسين (عليه السلام)

لقد تعددت الأخبار الواردة عن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) في حرمة الطين بشكل عام إلا تربة الحسين بن علي (عليه السلام)، كما ذكر الصدوق بسنده عن الكاظم (عليه السلام):

" لا تأخذوا من تربتي شيئا لتتبركوا به، فأن كل تربة لنا محرمة إلا تربة جدي الحسين (عليه السلام)، فأن الله عز وجل جعلها شفاء لشيعتنا ولأوليائنا " (٢).

---

(١) مصباح المتهجد: ٧٢٢.

(٢) عيون أخبار الرضا ١: ١٠٤.

وعنه في العلل بسنده عن يحيى الواسطي، عن رجل، عن أبي عبد الله (عليه السلام): " الطين حرام أكله، كلحم الخنزير " (١).
وعن الصادق (عليه السلام) قال: قال رسول الله: " من أكل الطين فهو ملعون " (٢).
وعنه (عليه السلام) قال: " إن الله خلق آدم من طين، وحرم أكل الطين على ذريته " (٣).
وفي المحاسن بسند عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: " أكل الطين حرام مثل الميتة والدم ولحم الخنزير إلا طين قبر الحسين (عليه السلام) فأن فيه الشفاء من كل داء وأمنا من كل
خوف " (٤).
وبسند أيضا عن الرضا (عليه السلام) قال: " كل طين كالميتة وما أهل لغير الله به، ما خلا طين قبر الحسين (عليه السلام) فإنه شفاء من كل داء " (٥).
وذكر الشيخ الطوسي، عن حنان بن سدير، عن الصادق (عليه السلام) قال: " من أكل من طين قبر الحسين (عليه السلام)، غير مستشفي به فكأنما أكل من لحومنا " (٦).
نستلخص مما تقدم كما ورد عن الأئمة الأطهار بحرمة الطين عامة، إلا طين قبر الحسين (عليه السلام) لغرض الاستشفاء فقط، أما غير ذلك فلا يجوز وتوجب الحرمة.
لكن حرمة الطين في بعض الروايات تقتضي الكراهية، كما ورد في (الخصال) بالإسناد عن الإمام الصادق (عليه السلام)، عن آبائه، وفي وصايا النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) لعلي (عليه السلام): " يا
علي ثلاث من الوسواس: أكل الطين، وتقليم الأظافر بالأسنان، وأكل اللحية " (٧).

---

(١، ٣) علل الشرايع: ١٧٩.
(٣) الكافي ٢: ١٥٩.
(٤) المحاسن: ٥٦٥.
(٥) أمالي الطوسي ١: ٣٢٦.
(٦) مصباح المتهجد: ٥١٠.
(٧) الخصال ١: ٦٢.

تربة الحسين (عليه السلام) شفاء من كل داء
أجمع أئمة أهل البيت (عليهم السلام)، على أن تربة الإمام الحسين (عليه السلام) هي شفاء من كل
داء. وقد انتشرت فكرة الاستشفاء بتربة الإمام الحسين (عليه السلام) في عهد الإمام الصادق (عليه السلام)، بعدما أصبح للشيعة كيان خاص، وصارت طائفة كبيرة من طوائف
المسلمين، فأخذ الإمام الصادق (عليه السلام) يحث أصحابه وشيعته على لزوم التداوي بتربة
الحسين (عليه السلام)، فقد وصف (عليه السلام) طين قبر الحسين بأنه شفاء من كل داء، وهو الدواء
الأكبر (١)، وفي رواية أخرى: أمانا من كل خوف، وروي الحسن بن أبي العلاء قال: سمعت أبا عبد الله (عليه السلام)، يقول: " حنكوا أولادكم بتربة الحسين فإنها أمان " (٢).
وفي رواية ابن قولويه قال: حدثني محمد بن عبد الله، عن أبيه، عن عبد الله البرقي، عن بعض أصحابنا، قال: " دفعت إلي امرأة غزلا وقالت: ادفعه إلى حجبة مكة ليخاط به كسوة للكعبة، قال: كرهت إلى الحجبة وأنا أعرفهم، فلما أن صرنا إلى المدينة دخلت على أبي جعفر (عليه السلام) وقلت له: جعلت فداك أن امرأة أعطتني غزلا
فقالت: ادفعه إلى حجبة مكة ليخاط به كسوة للكعبة، فقال: أشتر به عسلا وزعفرانا، وخذ من طين قبر الحسين (عليه السلام) واعجنه بماء السماء، واجعل فيه من العسل والزعفران، وفرقه للشيعة ليداووا مرضاهم " (٣).
وذكر ابن قولويه رواية بسند إلى محمد بن زياد، عن عمته قالت: " سمعت أبا عبد الله (عليه السلام) يقول: إن في طين الحائر الذي فيه الحسين (عليه السلام) شفاء من كل داء،
وأمانا من كل خوف " (٤).
وكان الإمام الصادق (عليه السلام) بحكم موقعه القيادي للشيعة، كان له موضع خاص

---

(١، ٢) مصباح المتهجد: ٧٣٢، بحار الأنوار ١٠١: ١٢٤.
(٣) كامل الزيارات: ٢٨٨، الوسائل ١٤: ٥٢٢، المستدرك ١٠: ٣٢٩، الكافي ٤: ٥٨٨.
(٤) كامل الزيارات: ٢٩٢، بحار الأنوار ١٠١: ١٢٥، فقه الرضا: ٤٦.

ومقام فريد في نفوس أصحابه الذين عاصروه، فهو كان لهم قائدا وموجها ورادا على استفساراتهم وما أشكل من أمورهم، فقد روي عن ابن أبي يعفور قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام): (يأخذ الإنسان من طين قبر الحسين (عليه السلام) فينتفع به ويأخذ غيره فلا
ينتفع به! فقال: لا، والله الذي لا إله إلا هو، ما يأخذه أحد وهو يرى أن الله ينفعه به إلا نفعه الله به " (١).
وعنه (عليه السلام) قال: " من أصابته علة فبدء بطين قبر الحسين (عليه السلام) شفاه الله من تلك
العلة، إلا أن تكون علة السام " (٢).
ولنستمع إلى شهادة أحد الذين عولجوا بطين قبر الحسين (عليه السلام) (٣) وبرأوا بأذن
الله تعالى، فقد ذكر ابن قولويه رواية بسند إلى محمد بن مسلم، قال: " خرجت إلى المدينة وأنا وجع، فقيل له [أي الإمام الباقر (عليه السلام)] محمد بن مسلم وجع، فأرسل إلي
أبو جعفر (عليه السلام) بشراب مع غلام مغطى بمنديل، فناولنيه الغلام وقال لي: أشربه، فإنه
قد أمرني أن لا أبرح حتى تشربه، فتناولته فإذا رائحة المسك منه، وإذا بشراب طيب الطعم بارد، فلما شربته قال لي الغلام: يقول لك مولاك: إذا شربته فتعال.
ففكرت فيما قال لي وما أقدر على النهوض قبل ذلك على رجلي، فلما
استقر الشراب في جوفي فكأنما نشطت من عقال، فأتيت بابه فاستأذنت عليه فصوت بي: صح الجسم أدخل. فدخلت عليه وأنا باك، فسلمت عليه وقبلت يده

---

(١) كامل الزيارات: ٢٨٨، بحار الأنوار ١٠١: ١٢٢، الوسائل ١٤: ٥٢٢، المستدرك ١٠: ٣٢٩، الكافي ٤: ٥٨٨.
(٢) الوسائل ١٤: ٥٢٦، بحار الأنوار ١٠١: ١٢٤.
علة السام: يعني الموت.
(٣) عن علي بن أسباط قال: لما بلغ أهل البلدان ما كان من أبي عبد الله (عليه السلام) قدمت لزيارته ألف امرأة ممن
كانت لم تلد، فولدن كلهن. نوادر علي بن أسباط: ١٢٣، بحار الأنوار ١٠١: ٧٥.

ورأسه. فقال لي: ما يبكيك يا محمد؟! قلت: جعلت فداك أبكي على اغترابي وبعد الشقة وقلة القدرة، على المقام عندك أنظر إليك.
فقال لي: أما قلة القدرة فكذلك جعل الله أولياءنا وأهل مودتنا وجعل البلاء إليهم سريعا، وأما ما ذكرت من الغربة، فإن المؤمن في هذه الدنيا غريب وفي هذا الخلق المنكوس حتى يخرج من هذه الدار إلى رحمة الله، وأما ما ذكرت من بعد الشقة فلك بأبي عبد الله (عليه السلام) أسوة بأرض نائية عنا بالفرات، وأما ما ذكرت من حبك
قربنا والنظر إلينا، وإنك لا تقدر على ذلك، فالله يعلم ما في قلبك وجزاؤك عليه.
ثم قال لي: هل تأتي قبر الحسين (عليه السلام)؟ قلت: نعم، على الخوف ووجل، فقال لي: ما كان في هذا أشد بالثواب فيه على قدر الخوف، ومن خاف في إتيانه أمن الله روعته يوم يقوم الناس لرب العالمين، وانصرف بالمغفرة، وسلمت عليه الملائكة، ورآه النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وما يصنع، ودعا له، وانقلب بنعمة من الله وفضل لم
يمسه سوء واتبع رضوان الله، ثم قال لي: كيف وجدت الشراب؟ فقلت: أشهد أنكم أهل بيت الرحمة وأنك وصي الأوصياء، ولقد أتاني الغلام بما بعثته وما أقدر على أن أستقل على قدمي، ولقد كنت آيسا من نفسي، فناولني الشراب فشربته فما وجدت مثل ريحه ولا أطيب من ذوقه ولا طعمه ولا أبرد منه، فلما شربته قال لي الغلام: إنه أمرني أن أقول لك: إذا شربته فأقبل إلي، وقد علمت من عقال، فالحمد لله الذي جعلكم رحمة لشيعتكم [ورحمة علي]! فقال: يا محمد إن الشراب الذي شربته فيه من طين قبر الحسين (عليه السلام)، وهو أفضل ما استشفي به، فلا
تعدل به، فإنا نسقيه صبياننا ونساءنا فنرى فيه كل خير، فقلت له: جعلت فداك إنا لنأخذ منه ونستشفي به، فقال: يأخذه الرجل يخرجه من الحائر وقد أظهره فلا يمر بأحد من الجن به عاهة، ولا دابة ولا شئ فيه آفة إلا شمه، فتذهب بركته فيصير بركته لغيره، وهذا الذي نتعالج به ليس هكذا، ولولا ما ذكرت ما يمسح به شئ

ولا شرب منه شئ إلا أفاق من ساعته، وما هو إلا كحجر الأسود أتاه صاحب العاهات والكفر والجاهلية، وكان لا يتمسح به أحد إلا أفاق، وكان كأبيض ياقوتة فأسود حتى صار ما رأيت. فقلت: جعلت فداك كيف أصنع به؟ فقال: تصنع به مع إظهارك إياه ما يصنع غيرك مستخف به فتطرحه في خرجك وفي أشياء دنية فيذهب ما فيه مما تريده له، فقلت: صدقت جعلت فداك، قال: ليس يأخذه أحد إلا وهو جاهل بأخذه لا يكاد يسلم بالناس، فقلت: جعلت فداك وكيف لي أن آخذه كما تأخذه؟ فقال لي: أعطيك منه شيئا، فقلت: نعم، قال: إذا أخذته فكيف تصنع؟ فقلت: أذهب به معي، فقال لي: في أي شيئا تجعله؟ فقلت: في ثيابي، قال: قد رجعت إلى ما كنت تصنع، اشرب عندنا منه حاجتك ولا تحمله، فإنه لا يسلم لك، فسقاني منه مرتين، فما أعلم أني وجدت شيئا مما كنت أجد حتى انصرفت " (١).

ثم بين الإمام الصادق (عليه السلام) كمية الطين المستخدم لغرض التداوي والعلاج، فذكر الكمية فقال: مثل رأس الأنملة، كما جاء في رواية أبو بكر الحضرمي عن الصادق (عليه السلام) قال: (لو أن مريضا من المؤمنين يعرف حق أبي عبد الله (عليه السلام) وحرمته،

أخذ له من طين قبر الحسين (صلى الله عليه وآله وسلم) مثل رأس الأنملة كان له دواء وشفاء) (٢).

ومرة أخرى كما جاء في بعض الروايات يقول (عليه السلام) في كمية الطين بقدر الحمصة كما في رواية الحسن بن علي بن فضال عنه (عليه السلام) قال: (إن الله تعالى خلق

آدم من الطين، فحرم الطين على ولده، قال: قلت: فما تقول في طين قبر الحسين (عليه السلام)؟ قال: حرم على الناس أكل لحومهم، ويحل لهم أكل لحومنا، ولكن

اليسير منه مثل الحمصة) (٣).

---

(١) أنظر: كامل الزيارات: ٢٨٩، بحار الأنوار ٦٠: ١٥٧ - ١٠١: ١٢١، الوسائل ١٤: ٥٢٦.
(٢) مصباح المتهجد: ٧٣٢، بحار الأنوار ١٠١: ١١٢.
(٣) أنظر: مصباح المتهجد: ٧٣٢، بحار الأنوار ١٠١: ١٣٤، الأمالي ١: ٣٢٦.

ثم ذكر الإمام الصادق (عليه السلام) لشيعته بأن هناك آداب في استعمال طين قبر الحسين (عليه السلام) كما جاء في رواية ابن قولويه، قال (عليه السلام): " الطين أكله حرام، كلحم
الخنزير، ومن أكله ثم مات لم أصل عليه، إلا طين قبر الحسين (عليه السلام)، فأن فيه شفاء
من كل داء، ومن أكله بشهوة لم يكن فيه شفاء " (١).

ثم علم الإمام الصادق (عليه السلام) أصحابه، الأدعية التي تقرأ عند تناول طين قبر الحسين (عليه السلام) لغرض عرض الاستشفاء به، كذلك بين (عليه السلام) الأماكن التي يؤخذ منها
الطين، ففي رواية يؤخذ الطين من قبره (عليه السلام) على مقدار رأس ميل كما ذكر ابن
قولويه، عن أبي بكر الحضرمي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: " لو أن مريضا من المؤمنين يعرف حق أبي عبد الله (عليه السلام) وحرمته وولايته أخذ له من طين قبره على
رأس ميل كان له دواء وشفاء " (٢).

وفي رواية أخرى يذكر الإمام الصادق بأن طين التداوي يجب أن يؤخذ من عند رأس الشريف.

ففي رواية يونس بن ربيع، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: " إن عند رأس الحسين بن علي (عليهما السلام) لتربة حمراء فيها شفاء من كل داء إلا السام، قال: فأتينا القبر بعد ما
سمعنا هذا الحديث، فاحتفرنا عند رأس القبر، فلما حفرنا قدر ذراع انحدرت علينا من رأس القبر مثل السهلة حمراء قدر درهم، فحملناه إلى الكوفة فمزجناه فأقبلنا نعطي يتداوون به " (٣).

ويظهر من هذه الرواية بأن الطين الذي عند رأس الإمام الحسين (عليه السلام) يتصف باللون الأحمر وله رائحة زكية، وكان الأئمة الأطهار إذا عرضت لهم تربة الإمام

---

(١) أنظر كامل الزيارات: ٢٩٩، علل الشرائع: ٥٣٢، البحار ١٠١: ١٢٩.
(٢) أنظر: كامل الزيارات: ٢٩٢، الوسائل ١٤: ٥٣٠، بحار الأنوار ١٠١: ١٢٢.
(٣) أنظر: كامل الزيارات: ٢٩٣، المستدرك ١٠: ٣٣١، الكافي ٤: ٥٨٨، بحار الأنوار ١٠١: ١٢٣.

الحسين (عليه السلام) يعرفونها من لونها ورائحتها، ففي رواية بسند عن أبي بكار قال: " أخذت من التربة التي عند رأس قبر الحسين بن علي (عليه السلام)، فإنها طينة حمراء، فدخلت على الرضا (عليه السلام) فعرضتها عليه فأخذها في كفه، ثم شمها ثم بكى حتى
جرت دموعه، ثم قال: هذه تربة جدي " (١).
أما مسألة الدعاء مع استعمال طين قبر الحسين (عليه السلام)، فقد أكد الإمام الصادق (عليه السلام) على قراءة الأدعية المأثورة والتوسل بالله تعالى بأن يجعل هذا الطين
شفاء من كل داء، وبدون الدعاء فأن صاحب الحاجة لا ينتفع به، روي أن رجلا سأل الصادق (عليه السلام) فقال: إني سمعتك تقول: إن تربة الحسين (عليه السلام) من الأدوية المفردة،
وإنها لا تمر بداء إلا هضمته، فقال: قد كان، قلت ذلك: فما بالك؟ فقال: إني تناولتها فما انتفعت بها. فقال: أما إن لها دعاء فمن تناولها ولم يدع به واستعملها لم يكد ينتفع بها، قال: فقال له: ما يقول إذا تناولها؟ قال: تقبلها قبل كل شئ
وتضعها على عينك، ولا تناول أكثر من حمصة، فإن من تناول أكثر فكأنما أكل من لحومنا ودماءنا، فقل: " اللهم إني أسألك بحق الملك الذي قبضها، وبحق الملك الذي خزنها، وأسألك بحق الوصي الذي حل فيها، أن تصلي على محمد وآل محمد، وأن تجعله شفاء من كل داء، وأمانا من كل خوف، وحفظا من كل سوء ".
فإذا قلت ذلك فاشددها في شئ، واقرأ عليها إنا أنزلناه في ليلة القدر، فإن
الدعاء الذي تقدم لأخذها هو الاستيذان عليها وأقرأ إنا أنزلناه ختمها (٢).
وجاء رجل إلى الإمام الصادق (عليه السلام) وقال له: إني رجل كثير العلل والأمراض، وما تركت دواء إلا تداويت به، فقال لي: فأين أنت عن تربة الحسين (عليه السلام) فإن فيها

---

(١) المستدرك ١١: ٣٣٤، بحار الأنوار ١٠١: ١٣١.
(٢) مصباح المتهجد: ٧٣٤، بحار الأنوار ١٠١: ١٣٥.

الشفاء من كل داء، والأمن كل كل خوف وقل إذا أخذته:
" اللهم إني أسألك بحق هذه الطينة، وبحق الملك الذي أخذها، وبحق بيته، واجعل لي فيها شفاء من كل داء وأمانا من كل خوف " (١).
قال: ثم قال: إن الملك الذي أخذها جبرئيل وأراها النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) فقال: هذه
تربة ابنك هذا، تقتله أمتك من بعدك، والنبي الذي قبضها فهو محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وأما
الوصي الذي حل فهو الحسين بن علي سيد الشهداء، قلت: قد عرفت الشفاء من كل داء، فكيف الأمان من كل خوف؟
قال: إذا خفت سلطانا أو غير ذلك فلا تخرج من منزلك إلا ومعك من طين قبر الحسين (عليه السلام)، وقل إذا أخذته: " اللهم إن هذه طينة قبر الحسين وليك وابن وليك،
اتخذتها حرزا لما أخاف ولما لا أخاف " فإنه يرد عليك ما لا تخاف.
قال الرجل: فأخذتها ما قال فصح بدني، وكان لي أمانا من كل ما خفت وما لم أخف كما قال، فما رأيت بحمد الله بعدها مكروها (٢).
كما ورد عن الإمام الصادق (عليه السلام) رواية عن حمل الطين من قبر الحسين (عليه السلام) وما
يلزم من قراءة بعض السور من القرآن الكريم، وبعض الأدعية حتى تتم الفائدة وتعم البركة بفضل تربته الطاهرة، ففي رواية أبو حمزة الثمالي، قال: قال
الصادق (عليه السلام): إذا أردت حمل الطين من قبر الحسين (عليه السلام) فأقرأ: (فاتحة الكتاب)، و
(والمعوذتين)، و (قل هو الله أحد)، و (إنا أنزلناه في ليلة القدر)، و (يس)، و (آية الكرسي) وتقول:
" اللهم بحق محمد عبدك ورسولك وحبيبك ونبيك وأمينك، وبحق

---

(١) أنظر: كامل الزيارات: ٢٩٦، الأمالي ١: ٣٢٥، التهذيب ٦: ٧٤، بحار الأنوار ١٠١: ١١٨.
(٢) أنظر: كامل الزيارات: ٢٩٦، الأمالي ١: ٣٢٥، التهذيب ٦: ٧٤، بحار الأنوار ١٠١: ١١٨.

أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عبدك وأخي رسولك، وبحق فاطمة بنت نبيك وزوجة وليك، وبحق الحسن والحسين، وبحق الأئمة الراشدين، وبحق هذه التربة، وبحق الملك الموكل بها، وبحق الذي ضمنت، وبحق جميع ملائكتك وأنبيائك ورسلك، صل على محمد وآل محمد، واجعل لي هذا الطين شفاء من كل داء، وأن يستشفي به من كل داء وسقم ومرض، وأمانا من كل خوف، اللهم بحق محمد وأهل بيته، اجعله علما نافعا ورزقا واسعا، وشفاء من كل داء وسقم وآفة وعاهة وجميع الأوجاع كلها، إنك على كل شئ قدير ".

وتقول: " اللهم رب هذه الترب المباركة الميمونة، والملك الذي هبط بها، والوصي الذي هو فيها، صل على محمد وآل محمد وسلم، وانفعني بها، إنك على كل شئ قدير " (١).

وكما بينا من الروايات السالفة عن الإمام الصادق (عليه السلام) بأن الدعاء عند أخذ طين قبر الحسين (عليه السلام) أو عند حمله أو استعماله مع اليقين والاعتقاد فهو يعتبر من

الأدوية الشافية من كل داء، وأمانا من كل خوف، وأما ما يفسد الطين ولم ينتفع به كما جاء في رواية أبو حمزة الثمالي، عن الإمام الصادق (عليه السلام) ما يخالطها من أوعيتها،

والاستخفاف وعدم اليقين بصاحب القبر، قال أبو حمزة الثمالي: كنت بمكة، وذكر في حديثه [الإمام الصادق] قلت: جعلت فداك إني رأيت أصحابنا يأخذون من طين الحائر يستشفون به، هل في ذلك شئ مما يقولون من الشفاء؟ قال: قال: يستشفي بما بينه وبين القبر على رأس أربعة أميال، وكذلك قبر جدي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكذلك طين القبر الحسين وعلي ومحمد، فخذ منها فإنها شفاء من كل

سقم، وجنة مما يخاف، ولا يعد لها شئ من الأشياء التي يستشفي بها إلا الدعاء،

---

(١) أنظر: كامل الزيارات: ٢٩٨، الوسائل ١٤: ٥٣١، بحار الأنوار ١٠١: ١٢٨.

وإنما يفسدها ما يخالطها من أوعيتها وقلة اليقين لمن يعالج بها، فأما من أيقن أنها له شفاء إذا يعالج بها كفته بأذن الله من غيرها مما يتعالج به، ويفسدها الشياطين والجن من أهل الكفر من هم يتمسحون بها، وما تمر بشئ إلا شمها، وأما الشياطين وكفار الجن فأنهم يحسدون بني آدم عليها، فيتمسحون بها فيذهب عامة طيبها، ولا يخرج الطين من الحائر إلا وقد استعد له ما لا يحصى منهم وأنه لفي يد صاحبها، وهم يتمسحون بها، ولا يقدرون مع الملائكة أن يدخلوا الحائر، ولو كان من التربة شئ سلم ما عولج به أحد إلا برئ من ساعته، فإذا أخذتها فاكتمها، وأكثر عليها من ذكر الله تعالى، وقد بلغني أن بعض من يأخذ التربة شيئا يستخف به، حتى أن بعضهم ليطرحها في مخلاة الإبل والبغل والحمار أو في وعاء الطعام، وما يمسح به الأيدي من الطعام، والخرج والجوالق، فكيف يستشفي به من هذا حاله عنده؟! ولكن القلب الذي ليس فيه اليقين من المستخف بما فيه صلاحه ليفسد عليه عمله (١).

ووردت روايات أخرى عن الإمام الصادق (عليه السلام) بخصوص الاستشفاء بطين قبر الحسين (عليه السلام)، وقراءة أدعية التوسل بالله عز وجل خلال تناول بعضا من طين القبر، فقد ورد عنه (عليه السلام) قال: إذا تناول أحدكم من طين قبر الحسين (عليه السلام) فليقل:

" اللهم إني أسألك بحق الملك الذي تناوله، والرسول الذي بوأه، والوصي الذي ضمن فيه، أن تجعله شفاء من كل داء (كذا وكذا) ويسمي ذلك الداء " (٢).

وروي عنه (عليه السلام) قال: إذا أخذته فقل: " اللهم بحق هذه التربة الطاهرة، وبحق البقعة الطيبة وبحق الوصي الذي تواريه، وبحق جده وأبيه، وأمه وأخيه، والملائكة

---

(١) أنظر: كامل الزيارات: ٢٩٥، المستدرك ١٠: ٣٣٢، بحار الأنوار ٦٠: ١٥٦.

(٢) أنظر: كامل الزيارات: ٢٩٤، المستدرك ١٠: ٣٤٠، بحار الأنوار ١٠١: ١٢٧.

الذين يحفون به، والملائكة العكوف على قبر وليك، ينتظرون نصره صلى الله عليهم أجمعين، وأجعل لي فيه شفاء من كل داء، وأمانا من كل خوف، وغنى من كل فقر، وعزا من كل ذل، وأوسع به علي في رزقي، وأصح جسمي " (١).
وعنه أيضا (عليه السلام) قال: فإذا أحتاج أحدكم الأكل منه [طين قبر الحسين (عليه السلام)]
يستشفي به فليقل:
" بسم الله وبالله، اللهم رب التربة المباركة الطاهرة، ورب النور الذي أنزل فيه، ورب الجسد الذي سكن فيه، ورب الملائكة الموكلين به، أجعله لي شفاء من كل داء كذا وكذا ".
واجرع من الماء جرعة خلفه وقل:
" اللهم اجعله رزقا واسعا وعلما وشفاء من كل داء وسقم ".
فأن الله تعالى يدفع عنك بها كل ما تجد من السقم والهم والغم إن شاء الله تعالى (٢).
وفي رواية يونس بن ظبيان عن الإمام الصادق (عليه السلام)، قال: " طين قبر الحسين شفاء من كل داء فإذا أكلته فقل:
بسم الله وبالله، اللهم اجعله رزقا واسعا، وعلما نافعا، وشفاء من كل داء، إنك على كل شئ قدير، رب التربة المباركة، ورب الوصي الذي وارته صلي على محمد وآل محمد، واجعل هذا الطين شفاء من كل داء، وأمانا من كل خوف " (٣).
ومن ذلك صار طين قبر الحسين (عليه السلام) علاجا ناجعا، تتخذه الشيعة للتبرك

---

(١) كامل الزيارات: ٢٩٦.
(٢) مصباح المتهجد: ٧٣٣، بحار الأنوار ١٠١: ١٣٦.
(٣) مصباح المتهجد: ٧٣٣، بحار الأنوار ١٠١: ١٣٤.

والمعالجة، يتداولونه فيما بينهم، حتى تعدى ذلك إلى عامة المسلمين، وشهد ببركة وفضل طين قبر الحسين (عليه السلام) بعض المعاندين والمخالفين، ففي رواية الحسين بن
محمد الأزدي، عن أبيه قال:
" صليت في جامع المدينة وإلى جانبي رجلان على أحدهما ثياب السفر،
فقال أحدهما لصاحبه: يا فلان أما علمت أن طين قبر الحسين (عليه السلام) شفاء من كل
داء؟ وذلك أنه كان بي وجع الجوف، فتعالجت بكل دواء فلم أجد فيه عافية،
وخفت على نفسي وآيست منها، وكانت عندنا امرأة من أهل الكوفة عجوز كبيرة،
فدخلت إلي وأنا في أشد ما بي من العلة، فقالت لي: يا سالم ما أرى علتك إلا كل
يوم زائدة؟! فقلت لها: نعم، فقالت: فهل لك أن أعالجك فتبرأ بأذن الله عز وجل؟
فقلت لها: ما أنا إلى شئ أحوج مني إلى هذا، فسقتني ماء في قدح فسكنت عني
العلة وبرئت حتى كأن لم يكن بي علة قط.
فلما كان بعد شهر دخلت علي العجوز، فقلت لها: بالله عليك يا سلمة (وكان
اسمها سلمة) بماذا داويتني؟ فقالت: بواحدة مما في هذه السبحة، من سبحة كانت
في يدها، فقلت: وما هذه السبحة؟
فقالت: إنها من طين قبر الحسين (عليه السلام)، فقلت لها: يا رافضية داويتني بطين
قبر الحسين (عليه السلام)؟ فخرجت من عندي مغضبة ورجعت والله علتي كأشد ما
كانت،
وأنا أقاسي منها الجهد والبلاء، وقد والله خشيت على نفسي، ثم أذن المؤذن فقاما
يصليان وغابا عني " (١).
نستدل من الرواية المذكورة بأن الرجل كان من أهل السنة، وخاطب العجوز
بكلمة (يا رافضية) وهذا المصطلح كان يطلقه العامة على شيعة أمير المؤمنين، أما

---

(١) العوالم ١٧: ٧١٦، أمالي الشيخ الطوسي ١: ٣٢٧.

الوجه الثاني في الرواية فيظهر أن الشيعة أقبلت على طين القبر تستعمله لغرض الاستشفاء والعلاج أو للتبرك فحملوه على هيئة لوح صغير يضعونه في جيوبهم، وتعمل منه أيضا المسبحات.

وفي رواية موسى بن عبد العزيز كما ذكرها الشيخ الطوسي قال: لقيني يوحنا بن سراقيون النصراني المتطبب في شارع أبي أحمد، فاستوقفني وقال لي: بحق نبيك ودينك من هذا الذي يزور قبره قوم منكم بناحية قصر ابن هبيرة؟! من هو من أصحاب نبيكم؟ قلت: ليس هو من أصحابه هو ابن بنته، فما دعاك إلى المسألة عنه؟ فقال له: عندي حديث طريف، فقلت: حدثني به، فقال: وجه إلي سابور الكبير الخادم الرشيدي في الليل، فصرت إليه، فقال لي: تعالى معي، فمضى وأنا معه حتى دخلنا على موسى بن عيسى الهاشمي، فوجدناه زائل العقل متكئا على وسادة وإذا بين يديه طست فيها حشو جوفه، وكان الرشيد استحضره من الكوفة.

فأقبل سابور على خادم كان من خاصة موسى، فقال له: ويحك ما خبره! فقال له: أخبرك أنه كان من ساعة جالسا وحوله ندماؤه، وهو من أصح الناس جسما وأطيبهم نفسا، إذ جرى ذكر الحسين (عليه السلام)، قال يوحنا: هذا الذي سألتك عنه؟ فقال موسى: إن الرافضية ليغلون فيه حتى أنهم فيما عرفت يجعلون تربته دواء يتداوون به، فقال له رجل من بني هاشم كان حاضرا: قد كان بي علة عليلة فتعالجت بها كل علاج فما نفعني، حتى وصف لي كاتبي أن آخذ من هذه التربة فأخذتها فنفعني الله بها وزال عني ما كنت أجده.

قال: فبقي عندك منها شئ؟ قال: نعم، فوجه فجاءه منها بقطعة، فناولها موسى بن عيسى، فأخذها موسى فاستدخلها دبره استهزاء بمن تداوى بها، واحتقارا وتصغيرا لهذا الرجل هي تربته (يعني الحسين (عليه السلام)) فما هو إلا أن استدخلها

دبره حتى صاح: النار النار، الطست الطست، فجئنا بالطست فأخرج فيها ما ترى. فانصرف الندماء، فصار المجلس مأتما، فأقبل علي سابور فقال: انظر هل لك فيه حيلة؟ فدعوت بشمعة فنظرت فإذا كبده وطحاله وريته وفؤاده خرج منه في الطست، فنظرت إلى أمر عظيم فقلت: ما لأحد في هذا أصنع إلا أن يكون لعيسى الذي كان يحيي الموتى، فقال لي سابور: صدقت، ولكن كن هاهنا في البيت إلى أن يتبين ما يكون من أمره، فبت عندهم وهو بتلك الحال ما رفع رأسه، فمات في وقت السحر (١).

وكان يوحنا يزور قبر الحسين (عليه السلام) وهو على دينه، ثم أسلم بعد هذا وحسن إسلامه.

وروي أن علي بن محمد النوفلي قال لأبي الحسن (عليه السلام) إني أفطرت يوم الفطر على طين القبر وتمر فقال له: جمعت بين بركة وسنة (٢).

خلاصة البحث

بعد أن أسهبنا في بيان فضل تربة قبر الحسين (عليه السلام) بما أوردناه من الروايات المعتبرة عن الأئمة المعصومين (عليهم السلام) حتى غدت الشيعة منذ نهاية القرن الأول الهجري وبداية القرن الثاني يعولون في علاجهم على طين القبر الذي حقق معاجزا في عالم الطب والعلاج من الأمراض المستعصية، حتى ذاعت شهرته في الآفاق.

وقد وصف المرحوم المرجع الكبير، محمد حسين آل كاشف الغطاء بقوله:

وإن أسمى تلك البقاع وأنقاها تربة، وأطيبها طينة، وأزكاها نفحة هي تربة كربلاء،

---

(١) أمالي الطوسي ١: ٣٢٧.

(٢) من لا يحضره الفقيه ٢: ١٧٤.

تلك التربة الحمراء الزكية، كانت قبل الإسلام قد اتخذت نواويس ومعابد ومدافن للأمم الغابرة، كما يشعر به كلام الحسين (عليه السلام) في إحدى خطبه المشهورة حيث
يقول: " وكأني بأوصالي تقطعها عسلان الفلوت بين النواويس وكربلاء " (١).
ثم يستمر في التعليل بأن كيف تسامت هذه التربة بانضمام شرفها الجوهري إلى طيبها العنصري فأصبحت بذلك أشرف بقاع الأرض بالضرورة والفطرة بقوله:
أليس من صميم الحق والحق الصميم، أن تكون أطيب بقعة في الأرض مرقدا وضريحا لأكرم شخصية في الدهر؟ نعم، لم تزل الدنيا تمخض لتلد أكمل فرد في الإنسانية، وأجمع ذات لأحسن ما يمكن من مزايا العبقرية في الطبيعة البشرية، واسمي روح ملكوتية في أصقاع الملكوت وجوامع الجبروت، فولدت نورا واحدا شطرته نصفين: سيد الأنبياء محمدا، وسيد الأوصياء عليا، ثم جمعتها ثانيا فكان الحسين مجمع النورين وخلاصة الجوهرين كما قال (صلى الله عليه وآله وسلم):
" حسين مني وأنا من حسين ". ثم عقمت أن تلد لهم الأنداد أبد الآباد.
وإذا كان من حق الأرض السجود عليها، وعدم السجود على غيرها، أفليس من الأفضل والأحرى أن يكون السجود على أفضل وأطهر من الأرض؟ وهي التربة الحسينية، وما ذاك إلا لأنها أكرم مادة، وأطهر عنصرا، وأصفى جوهرا من سائر البقاع، فكيف وقد انضم شرفها الجوهري إلى طيبها العنصري، ولما تسامت الروح والمادة، وتساوت الحقيقة والصورة صارت هي أشرف بقاع الأرض بالضرورة.
* * *

---

(١) أمالي الطوسي ١: ٣٢٧.

تاريخ زيارة قبر الحسين (عليه السلام) وفضلها
أول من زار القبر الشريف:
بعد وقعة الطف واستشهاد الإمام الحسين (عليه السلام)، أصبح الاحساس بالخيبة والندم مسيطرا على المجتمع الكوفي أنذاك بتركه نصرة الإمام الحسين (عليه السلام)، وقد
كانوا هم الذين تسببوا في الفاجعة التي ألمت بعترة الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) من دعوتهم
الإمام (عليه السلام) بالقدوم عليهم، ثم تركه عرضة للرماح والسهام.
فكان ندم أهل الكوفة يتجلى في كثير من المواقف سواء بعد انتهاء وقعة الطف، أو بعدها بحين، فهرعوا إلى قبره يلتمسون التوبة، ويجددون العهد بالانتقام من القتلة.
وأول من زار مصارع الشهداء ووقف عليهم وبكى، هو عبيد الله بن الحر الجعفي الذي ندم على تركه نصرة الإمام الحسين، وندمه هذا يتجلى من خلال قصيدته التي رثى بها الإمام الحسين (١):
يا لك حسرة ما دمت حيا * يردد بين حلقي والتراقي
حسينا حين يطلب بذل نصري * على أهل العداوة والنفاق
مع ابن المصطفى نفسي فداه * فيا لله من ألم الفراق

---

(١) خزانة الأدب: ١٥٩.

غداة قول لي بالقصر قولا * أتتركنا وتزمع بانطلاق
فلو فلق التلهف قلب حي * لهم اليوم قلبي بانفلاق
فقد فاز الأولى نصروا حسينا * وخاب الآخرون أولوا النفاق
ثم زاره الصحابي جابر بن عبد الله الأنصاري في ٢٠ / صفر، والتقى بالإمام زين العابدين علي بن الحسين (عليه السلام) في هذا المكان (١).
كما زاره التوابين وهم في طريقهم إلى عين الوردة، للتصدي لقوات عبيد الله بن زياد، فلما وصلوا إلى قبر الحسين (عليه السلام) صاحوا صيحة واحدة، فما رأى باكيا أكثر
من ذلك اليوم، وجعلوا يدورون حول القبر مستغفرين نادمين:
" اللهم إنا خذلنا ابن بنت نبيك، وقد أسأنا وأخطأنا، فاغفر لنا ما قد قضى من ذنوبنا وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم، اللهم إن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين " (٢). حتى بلغ الحماس أشده، فانطلقت الألسن تمجد الحسين وتلعن قاتليه، فهب رجل منهم يدعى وهب بن زمعة الجعفي فوقف على القبر باكيا ثم قال:
" والله لقد جعله الأعداء للسيل عرضا، وللسباع طمعا، فلله يوم الحسين، لقد تمادروا منه يوم وافوه ذا وفاء وصبر وعفاف وبأس وشدة وأمانة ونجدة، ابن أول المؤمنين وبنت نبي رب العالمين، قلت حماته وكثرت عداته، فويل للقائل، وملامة للخاذل، إن الله تبارك وتعالى لم يجعل للقاتل حجة، ولا للخاذل معذرة، إلا أن ينصح الله في التوبة فيجاهد الفاسقين، فعسى الله عند ذلك أن يقبل التوبة ويقيل العثرة " ثم أنشأ يقول:

---

(١) تراث كربلاء: ٣٣.
(٢) الفتوح ٣: ٢٣٧.

تبيت نساء أمية نوما * وبالطف قتلى لا ينام حميمها
وما ضيع الإسلام إلا قبيلة * بأمر فزكاها ودام نعيمها
وعادت قتادة الدين في كف ظالم * إذا مال منها جانب لا يقيمها
فأقسم لا تنفك نفسي حزينة * وعيني مسفوحا لا يجف سجومها
حياتي أو تلقى أمية وقعة * ينال بها حتى الممات قروحها

ثم زاره المختار بن عبيد الثقفي عندما فارق عبد الله بن الزبير، ورجع من مكة، فلما وصل إلى القادسية عدل عنها إلى كربلاء، ثم اغتسل ولبس ثياب الزيارة، فلما دنا من القبر انكب عليه، معتنقا له باكيا، ومجددا له العهد للانتقام، وقتل من قتلهم وسفك دمائهم فقال:

" يا سيدي آليت بجدك المصطفى وأبيك المرتضى، وأمك الزهراء، وأخيك المجتبى، ومن قتل من أهل بيتك وشيعتك في كربلاء، لا أكلت طيب الطعام، ولا شربت لذيذ الشراب، ولا نمت على وطئ الوهاد، وخلعت عن جسدي هذه الابراد، حتى انتقم لك من قتلك، أو أقتل كما قتلت، فقبح الله العيش بعدك " (١).

وقيل إن مصعب بن الزبير لما توجه إلى عبد الملك بن مروان لقتاله، فلما بلغ الحيرة دخل فوقف على قبر أبي عبد الله (عليه السلام)، ثم قال: يا أبا عبد الله، أما والله لئن
كنت غصبت نفسك ما غصبت دينك، ثم انصرف وهو يقول:

وإن الأولى بالطف من آل هاشم * تأسوا فسنوا للكرام التأسيا (٢)

فضل زيارة الحسين (عليه السلام)

لقد نال الإمام الحسين (عليه السلام) أعظم وسام خصه الله سبحانه وتعالى لعباده

---

(١) مقتل الحسين للخوارزمي ٢: ١٨٦.
(٢) نوادر علي بن أسباط: ١٢٣.

المخلصين، وهو وسام الشهادة في سبيل رفع كلمة التوحيد ومحاربة الظلم والجور، ومن ذلك الحين تربع الحسين (عليه السلام) على عرش الشهادة ولم يدانيه أحدا،

وسجل أعظم ملحمة من ملاحم البطولة والفداء في التاريخ، وشهدت كربلاء هذه الملحمة التاريخية التي لم يخبرنا التاريخ عن وقع ملحمة أعظم منها، ولم يخبرنا التاريخ أيضا عن بطولة كبطولة الحسين (عليه السلام)، لقد شاهد أهل بيته وأصحابه يتهاوون

صرعى على رمضاء كربلاء وهو قوي الجنان رابط الجأش، فحاز الإمام الشهيد (عليه السلام)

منزلة الشرف والتقديس، حتى غدت كربلاء التي سال على رمضائها دم الحسين (عليه السلام) تضاهي بقاع العالم قدسية وشرفا، وأصبحت مهوى لقلوب المسلمين،

وغدا قبره الشريف (عليه السلام) وسام عز وشرف لكربلاء، وصار مسجده أفضل مسجد

أسس على التقوى، ومشهده أشرف مشهد، فأن يكون بيت الحرام قبلة للأنام ومعدن البركات، فكربلاء بحلول سبط المصطفى في تربتها حازت شرفا لا يعلوه شرف، وفخرا لا يعلوه فخر.

فشرف الكعبة بمولد سيد الوصيين كان مقدار ساعة، وشرف كربلاء بضريح سبط خاتم النبيين إلى قيام الساعة، إن يكون الطواف بالكعبة به تمام الحج والعمرة، فالطواف بضريحه يعدل ثوابه ثواب ذلك ألف مرة، إن تكن الكعبة قبلة جباه المسلمين، فكربلاء وجهة قلوب المؤمنين، إن تكن الصلاة عزيمة وفريضة، فبغير ولايته وولاية آبائه وأبنائه لا تعادل عند الله جناح يعوضه، إن يكن البيت العتيق عتيق من الطوفان والغرق، فمقامه (صلوات الله عليه) لما أجرى الماء عليه حار وما انطلق، إن تكن أفئدة من الناس تهوي إلى البيت، فقلوب المؤمنين تحن على زيارته على الدوام (١).

---

(١) تسلية المجالس: ٥١٢.

ولله در الشاعر دعبل الخزاعي حيث يقول في زيارة قبر سيد الشهداء:
زر خير قبر بالعراق يزار * واعص الحمار فمن نهاك حمار
لم لا أزورك يا حسين لك الفدى * قومي ومن عطفت عليه نزار
ولك المودة في قلوب أولي النهي * وعلى عدوك مقتة ودثار
لقد أصبح قبر الحسين (عليه السلام) محط أنظار المسلمين وكان لأهل البيت (عليهم السلام) دورا
بارزا في توجيههم وحثهم على زيارة القبر الشريف، وما لزيارته من فضل عظيم عند الله سبحانه وتعالى، ومن قبلهم كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) يخبر بفضل زيارته (عليه السلام) وأن
زواره هم الصديقون من أمته، كما جاء عن أبي جعفر (عليه السلام) قال: " كان رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) إذا دخل الحسين (عليه السلام) اجتذبه إليه ثم يقول لأمير المؤمنين (عليه السلام): أمسكه، ثم
يقع عليه فيقبله ويبكي، يقول: يا أبه لم تبكي؟ فيقول: يا بني أقبل موضع السيوف منك وابكي، قال: يا أبه وأقتل؟ قال: إي والله وأبوك وأخوك وأنت، قال: يا أبه فمصارعنا شتى؟ قال: نعم يا بني، قال: فمن يزورنا من أمتك؟ قال: لا يزورني ويزور أباك وأخاك وأنت إلا الصديقون من أمتي " (١).
وفي رواية ابن قولويه بسند عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: " كان الحسين بن علي في حجر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) يلاعبه ويضاحكه، فقالت عائشة: يا رسول الله ما أشد
إعجابك بهذا الصبي؟ فقال لها: ويلك وكيف لا أحبه ولا أعجب به، وهو ثمرة فؤادي وقرة عيني، أما إن أمتي ستقتله، فمن زاره بعد وفاته كتب الله حجة من حججي، قالت: يا رسول الله حجة من حججك؟ قال: نعم وحجتين من حججي، قالت: يا رسول الله حجتين من حججك؟ قال: نعم، وأربعة، قال: فلم تزل تزاده ويزيد ويضعفه حتى بلغ تسعين حجة من حجج رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) بأعمارها " (٢).

---

(١) العوالم ١٧: ١٨٣.
(٢) أمالي الطوسي ٢: ٢٨٠.

ومن حديث له (صلى الله عليه وآله وسلم) مع أبنته الزهراء (عليها السلام) عندما أخبرها بمقتل فلذة كبدها
الحسين (عليه السلام) وبكت قال لها من جملة ما قال: أما ترضين أن يكون من أتاه زائرا في
ضمان الله، ويكون من أتاه بمنزلة من حج إلى بيت الله الحرام واعتمر، ولم يخل من الرحمة طرفة عين، وإذا مات مات شهيدا، وإن بقي لم تزل الحفظة تدعو له ما بقي، ولم يزل في حفظ الله وأمنه حتى يفارق الدنيا (١).
فكان الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله وسلم) يصف زوار الحسين بالصديقين من أمته، ومرة
أخرى يعتبر زيارة الحسين (صلى الله عليه وآله وسلم) تعادل تسعين حجة وعمرة من حجج رسول
الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، وإذا مات زائر الحسين مات شهيدا، عن ابن عباس عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في
حق الحسين (عليه السلام): " يا ابن عباس من زاره عارفا بحقه كتب له ثواب ألف حجة وألف
عمرة، ألا ومن زاره فكأنما زارني، ومن زارني فكأنما قد زار الله، وحق الزائر على الله أن لا يعذبه بالنار " (٢).
هذه منزلة الحسين (عليه السلام) عند رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ورسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) لا ينطق عن
الهوى، ثم جاء ولده الأئمة من بعده بكشف الحجاب المرخى على فضائل هذا القبر الشريف، فقال المرحوم الدكتور جواد الكليدار عن هذا المعنى: " ولذلك جاءت الأحاديث عن الأئمة وكلها ناطقة بهذا المعنى، فجعلوا لزيارة بطل الإسلام الشهيد ابن الشهيد أبي الشهداء، وزيارة مرقده الخالد مناسك مثل ما لحج بيت الله الحرام، لأن الزائر بحضرته أمام شخصية إسلامية عظيمة لم تمت بمنطوق الآية الكريمة: * (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا بل أحياء عند ربهم يرزقون) * وآي شهيد أعظم منزلة، وأعلى قدرا ومكانة عند الله من الحسين سيد الشهداء وأبي

---

(١) تفسير فرات: ٥٥، العوالم ١٧: ١٤١.
(٢) كفاية الأثر: ١٧.

أئمة العرب الأطهار ومن أصحابه؟ وهم شهداء ليس مثلهم شهداء إلا شهداء بدر الذين ضحوا بأنفسهم لتثبت دعائم الدعوة الإسلامية (١).
حتى أصبحت زيارة الحسين فرض على كل مسلم، فالتزم بها الشيعة بشكل دقيق، وهم ينصتون للإمام الباقر (عليه السلام) يقول: " مروا شيعتنا بزيارة قبر الحسين (عليه السلام)،
فأن إتيانه مفترض على كل مؤمن يقر للحسين بالإمامة من الله عز وجل " (٢).
من هنا أصبحت زيارة الحسين فريضة على كل من يقر للحسين (عليه السلام) بالإمامة، وكان عارفا له حقه وحرمته وولايته، أما الجاحدون لأهل البيت (عليهم السلام) فهم
خارجون عن شرط الزيارة، ففي حديث هارون بن خارجه، قال: قلت لأبي عبد الله (عليه السلام):
" إنهم يرون إنه من زار الحسين كانت له حجة وعمرة؟ قال: ومن زاره – والله – عارفا بحقه غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر " (٣). وعن مولانا موسى بن جعفر الكاظم (عليه السلام): " أدنى ما يثاب به زائر أبي عبد الله (عليه السلام) بشط الفرات إذا عرف حقه
وحرمته وولايته، أن يغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر " (٤).
وفي حديث الوشاء، قال: سمعت الرضا (عليه السلام) يقول: " إن لكل إمام عهدا في عنق أوليائه وشيعته، وإن من تمام الوفاء بالعهد وحسن الأداء زيارة قبورهم، فمن زارهم رغبة في زيارتهم وتصديقا لما رغبوا فيه كان أئمتهم شفعاؤهم يوم القيامة " (٥).

---

(١) تاريخ كربلاء: ١٣٨.
(٢) كامل الزيارات: ١٣٠.
(٣) المصدر السابق: ١٤٩.
(٤) تسلية المجالس ٢: ٥٢٣، ثواب الأعمال: ١١١.
(٥) كامل الزيارات: ١٣١.

وكان الإمام الصادق (عليه السلام) يصرح بثواب زيارة الحسين (عليه السلام) بقوله: كمن حج ثلاث حجج مع رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) (١).

الإمام الصادق (عليه السلام) وزوار القبر الشريف

أصبحت الشيعة في عهد الإمام الصادق (عليه السلام) تأخذ منحا جديدا سواء من الناحية الفكرية أو العددية، خصوصا في نهاية الدولة الأموية وبداية الدولة العباسية، وقد استطاع الإمام الصادق (عليه السلام) وهو القائد الروحي للشيعة أن يوجه أصحابه نحو المسار الصحيح الذي يتبناه أئمة الهدى (عليهم السلام) في تطبيق الشريعة المحمدية الأصيلة، بعيدا عن الزيف والانحراف الذي أخذ يدب في أوصال الأمة عند ولادة المذاهب التي انحرفت عن مسار أهل البيت (عليهم السلام) وكانت بتشجيع من حكام السوء.

ففي هذا الجو المشحون بالمتناقضات كانت الشيعة تلتف حول قيادة الإمام الصادق (عليه السلام) يأخذون عنه الحديث، ويدونون الرواية، ويستفسرون عما أشكل عليهم من أمورهم الدينية، ومنها الأسئلة التي تدور حول فضل وثواب زيارة قبر سيد الشهداء (عليه السلام).

ففي رواية هشام بن سالم قال: أتيت الإمام الصادق فقلت له: يا ابن رسول الله هل يزار والدك؟ قال: نعم ويصلى عنده، قال: فما لمن تركه رغبة عنه؟ قال: الحسرة يوم الحسرة، قال: فما لمن أقام عنده؟ قال: وكل يوم بألف شهر، قال: فما للمنفق في خروجه إليه والمنفق عنده؟ قال: درهم بألف درهم، قال: فما لمن مات في سفره إليه؟ قال: تشيعه الملائكة وتأتيه بالحنوط والكسوة من الجنة،

---

(١) المصدر السابق: ١٥.

وتصلي عليه إذا كفن فوق أكفانه، وتفرش له الريحان تحته، وتدفع الأرض حتى تصور من بين يديه مسيرة ثلاثة أميال، ومن خلفه مثل ذلك، وعند رأسه مثل ذلك، وعند رجليه مثل ذلك، ويفتح له باب من الجنة إلى قبره، ويدخل عليه روحها وريحانها حتى تقوم الساعة!

قلت: فما لمن صلى عنده؟ قال: من صلى عنده ركعتين لم يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه، قلت: فما لمن اغتسل من ماء الفرات، ثم أتاه؟ قال: إذا اغتسل من ماء الفرات وهو يريده تساقطت عنه خطاياه كيوم ولدته أمه، قال: قلت: فما لمن يجهز إليه ولم يخرج لعلة تصيبه؟ قال: يعطيه الله بكل درهم أنفقه مثل أحد من الحسنات، ويخلف عليه أضعاف ما أنفقه، ويصرف عنه من البلاء مما قد نزل يدفع عنه، ويحفظ في ماله.

قال: قلت: فما لمن قتل عنده، جار عليه سلطان فقتله؟ قال: أول قطرة من دمه يغفر له بها كل خطيئة، وتغسل طينة التي خلق منها الملائكة حتى تخلص كما خلصت الأنبياء المخلصين، ويذهب عنها ما كان خالطها من أجناس طين أهل الكفر، ويغسل قلبه ويشرح صدره ويملأ إيمانا فيلقي الله وهو مخلص من كل ما تخالطه الأبدان والقلوب، ويكتب له شفاعة في أهل بيته وألف من إخوانه، وتولى الصلاة عليه الملائكة مع جبرئيل وملك الموت، ويؤتي بكفنه وحنوطه من الجنة، ويوسع قبره عليه ويوضع له مصابيح في قبره ويفتح له باب من الجنة، وتأتيه الملائكة بالطرف من الجنة، ويرفع بعد ثمانية عشر يوما إلى حظيرة القدس، فلا يزال فيها مع أولياء الله حتى تصيبه النفخة التي لا تبقي شيئا، فإذا كانت النفخة الثانية وخرج من قبره كان أول من يصافحه رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) وأمير المؤمنين

والأوصياء (عليهم السلام) ويبشرونه ويقولون له: ألزمنا، ويقيمونه على الحوض فيشرب منه

ويسقي من أحب.

قلت: فما لمن حبس في إتيانه؟ قال: له بكل يوم يحبس ويغتم فرحة إلى يوم القيامة، فإن ضرب بعد الحبس في إتيانه كان له بكل ضربة حوراء وبكل وجع يدخل على بدنه ألف ألف حسنة، ويمحى بها عنه ألف ألف سيئة، ويرفع له ألف ألف درجة، ويكون من محدثي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى يفرغ من الحساب، فيصافحه
حملة العرش ويقال له: سل ما أحببت، ويؤتى ضاربه للحساب فلا يسأل عنه شئ ولا يحتسب بشئ ويؤخذ بضبعيه حتى ينتهي به يحبوه ويتحفه بشربة من الحميم، وشربة من الغسلين، ويوضع على مقال في النار، فيقال له: ذق ما قدمت يداك فيما أتيت إلى هذا الذي ضربته، وهو وفد الله ووفد رسوله، ويأتي بالمضروب إلى باب جهنم فيقال له: انظر إلى ضاربك وإلى ما قد لقي فهل شفيت صدرك، وقد أقتص لك منه؟ فيقول: الحمد لله الذي انتصر لي ولولد رسول الله منه " (١).
لقد أعطى الإمام الصادق (عليه السلام) جوابا شافيا لكل ما يتعلق بزيارة قبر الإمام الحسين (عليه السلام) وأصبح دستورا عمليا للشيعة يتوارثونه فيما بينهم أبا عن جد، حتى
غدت زيارة سيد الشهداء (عليه السلام) فريضة واجبة على المؤمنين الموالين الذين لم تمنعهم
تهديدات السلطان وتعليقاته بعدم زيارة القبر الشريف، وعلى الرغم من هذا كله فهم يزدادون لهفة وشوقا لزيارته والتمسك بحبل ولايته، ويزدادون أيضا أكثر ولاء وقربا للإمام الصادق الذي يطرق أسماعهم مرة تلو الأخرى بفضل زيارة القبر الشريف، فهو يقول: " من أتى قبر الحسين (عليه السلام) تشوقا إليه كتبه الله من الآمنين يوم
القيامة، وأعطى كتابه بيمينه، وكان تحت لواء الحسين (عليه السلام) حتى يدخل الجنة فيسكنه في درجته، إن الله عزيز حكيم " (٢).
فهل يبقي بعد مجال للشيعة، ومحبي آل البيت (عليهم السلام) أن يتركوا زيارة قبر

---

(١، ٢) كامل الزيارات: ١٣٣.

الحسين (عليه السلام) وهم يسمعون بكرامات وفضائل القبر الشريف؟ ولنستمع أيضا للإمام
الصادق (عليه السلام) وهو يحدثهم بكرامات وفضائل القبر الشريف؟ حيث قال ردا على
سؤال لمحمد بن مسلم حينما سأله: ما لمن أتى قبر الحسين (عليه السلام)؟ قال: من أتاه
تشوقا إليه كان من عباد الله المكرمين، وكان تحت لواء الحسين بن علي (عليه السلام) حتى
يدخلهما الله جميعا الجنة " (١).
إذن كيف تصبر شيعة آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) على ترك زيارة سيد شهداء البيت
العلوي، ولزيارته ما لا يحصى من الأجر والثواب؟ وهل كانت معرقلات وموانع السلطان التي وضعها في وجه زائري الحسين تنفع في صد زائريه؟ الجواب كما هو معروف أن جميع ما فعلته السلطة الحاكمة، سواء كانت أموية، أو عباسية، بمنع زوار الحسين (عليه السلام) وطمس قبره الشريف باءت بالفشل، فالقبر أخذت تتضح معالمه
يوما بعد يوم، وزواره في زيادة مطردة، والسلطة تقف عاجزة، ومبهورة أمام السر العجيب، حتى أصبح حديثا للعام والخاص، يتذاكرون فضله وكراماته وثواب زيارته، وبعد ما شاهدوا كرامات القبر الشريف، ففي رواية الحسين بن بنت أبي حمزة الثمالي قال: " خرجت في آخر زمان بني مروان إلى زيارة الحسين بن علي (عليه السلام) مستخفيا من أهل الشام حتى انتهيت إلى كربلاء، فاختفيت في ناحية
القرية، حتى إذا ذهب من الليل نصفه، أقبلت نحو القبر فلما دنوت منه، أقبل نحوي رجل فقال لي: انصرف مأجورا فإنك لا تصل إليه، فرجعت فزعا، حتى إذا طلع الفجر أقبلت نحوه حتى إذا دنوت منه خرج إلي الرجل فقال لي: يا هذا إنك لن تصل إليه، فقلت له: عافاك الله ولم لا أصل إليه وقد أقبلت من الكوفة أريد
زيارته؟ فلا تحل بيني هاهنا، قال: فقال لي: اصبر قليلا فإن موسى بن عمران (عليه السلام)

---

(١) كامل الزيارات: ١٥٥.

سأل الله أن يأذن له في زيارة قبر الحسين (عليه السلام)، فأذن له فهبط من السماء في سبعين
ألف ملك فهم بحضرته من أول الليل ينتظرون طلوع الفجر، ثم يعرجون.
قال: فقلت له: فمن أنت عافاك الله، قال: أنا من الملائكة الذين أمروا
بحرس قبر الحسين (عليه السلام) والاستغفار لزواره، فانصرفت وقد كاد أن يطير عقلي لما
سمعت منه، قال: فأقبلت نحوه فلم يحل بيني وبينه أحد فدنوت منه فسلمت
عليه، ودعوت الله على قتلته وصليت الصبح، وأقبلت مسرعا مخافة أهل
الشام " (١).
فإذا كان قبر الحسين (عليه السلام) تزوره الأنبياء والملائكة تقربا لله تعالى، فما بال أهل الدنيا وهم يتلمسون فضائل وكرامات هذا القبر الشريف لا يهرعون لزيارته أفواجا ووحدانا، أليس أجدر بالتقرب إلى الله تعالى، وأقرب بالزلفى لديه، زيارة الضريح الطاهر لأبي الشهداء سبط رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، والصلاة والدعاء تحت قبته
التي وكل الله تبارك وتعالى بها ملائكة يبكون الحسين (عليه السلام) إلى يوم القيامة، كما جاء
في رواية أبان بن تغلب قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): " أربعة آلاف ملك عند قبر
الحسين (عليه السلام) شعث غبر يبكون إلى يوم القيامة، رئيسهم ملك يقال له: منصور، ولا
يزوره زائر إلا استقبلوه، ولا يودعه مودع إلا شيعوه، ولا يمرض إلا عادوه، ولا يموت إلا صلوا عليه وعلى جنازته، واستغفروا له بعد موته " (٢).
وفي رواية بكر بن محمد الأزدي، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: " وكل الله تعالى
بقبر الحسين (عليه السلام) سبعين ألف ملك شعثا يبكونه إلى يوم القيامة، يصلون عنده، الصلاة الواحدة من صلاة أحدهم تعدل ألف صلاة من صلاة الآدميين، يكون ثواب

---

(١) أنظر: العوالم ١٧: ٧١٤، بحار الأنوار ٤٥: ٤٠٨.
(٢) كامل الزيارات: ١٢٨.

صلاته وأجر ذلك لمن زار قبره (عليه السلام) " (١).
فبعد هذا البيان الضافي يتضح لدى الباحث النابه سر فضيلة زيارة قبر الحسين (عليه السلام) ومبلغ انتسابها إلى الله تعالى، الذي أصبح صاحبها أكثر دنوا واقترابا من العلي الأعلى، أليس هذا القبر هو مثوى حبيبه وابن حبيبه والداعي إليه، والدال عليه، والباذل دون سبيله أهله ونفسه ونفيسه، والواضع دم مهجته في كفه تجاه إعلاء كلمته، ونشر توحيده، وتحكيم معالمه، وتوطيد طريقه وسبيله؟
لقد أصبح قبر الحسين (عليه السلام) صرحا شامخا يهتدي بهديه الصالحون، ويقر له المعاندون والمخالفون بعدما عرفوا هذا الكنز المصون عادوا إليه معتذرين تائبين، فروي عن سليمان الأعمش أنه قال: كنت نازلا بالكوفة، وكان لي جار وكنت آتي إليه وأجلس عنده فأتيت ليلة جمعة إليه، فقلت له: يا هذا ما تقول في زيارة الحسين؟ فقال لي: هي بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار، قال سليمان: فقمت من عنده وأنا ممتلئ عليه غيضا فقلت في نفسي: إذا كان وقت السحر أتيته وأحدثه شيئا من فضائل الحسين (عليه السلام) فإذا أصر على العناد قتلته، قال سليمان: فلما كان وقت السحر أتيته وقرعت عليه الباب ودعوته باسمه، فإذا بزوجته تقول لي: إنه قصد إلى زيارة الحسين من أول الليل.
قال سليمان: فسرت في أثره إلى زيارة الحسين (عليه السلام) فلما دخلت إلى القبر فإذا بالشيخ ساجد لله عز وجل وهو يدعو ويبكي في سجوده ويسأله التوبة والمغفرة، ثم رفع رأسه بعد زمان طويل فرآني قريبا منه، فقلت له: يا شيخ بالأمس كنت تقول: زيارة الحسين (عليه السلام) بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار، واليوم أتيت تزوره؟ فقال: يا سليمان لا تلمني. فإني ما كنت أتيت لأهل

---

(١) المصدر السابق: ١٣٠.

البيت إمامة حتى كانت ليلتي تلك، فرأيت رؤيا هالتني وروعتني، فقلت له: ما رأيت أيها الشيخ؟ قال: رأيت رجلا جليل القدر لا بالطويل الشاهق، ولا بالقصير اللاحق، ولا أقدر أصفه من عظم جلاله وجماله، وبهائه وكماله، وهو مع أقوام يحفون به حفيفا ويزفونه زفيفا، وبين يديه فارس، وعلى رأسه تاج وللتاج أربعة أركان، وفي كل ركن جوهرة تضئ من مسيرة ثلاثة أيام، فقلت لبعض خدامه: من هذا؟ فقال: هذا محمد المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم) قلت: ومن هذا الآخر؟ فقال: علي
المرتضى وصي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)، ثم مددت نظري فإذا أنا بناقة من نور عليها هودج
من نور وفيه امرأتان، والناقة تطير بين السماء والأرض، فقلت: لمن هذه الناقة؟ فقال: لخديجة الكبرى وفاطمة الزهراء (عليها السلام)، فقلت: ومن هذا الغلام؟ فقال: هذا
الحسن بن علي (عليه السلام)، فقلت: وإلى أين يريدون بأجمعهم؟ فقال: لزيارة المقتول
ظلما شهيد كربلاء الحسين بن علي المرتضى، ثم إني قصدت نحو الهودج الذي فيه فاطمة الزهراء فيه، فإذا أنا برقاع مكتوبة تتساقط من السماء، فسألت ما هذه
الرقاع؟ فقال: هذه رقاع فيها أمان من النار لزوار الحسين (عليه السلام) في ليلة الجمعة،
فطلبت منه رقعة فقال لي: إنك تقول زيارته بدعة؟ فإنك لا تنالها حتى تزور
الحسين (عليه السلام) وتعتقد فضله وشرفه، فانتبهت من نومي فزعا مرعوبا، وقصدت عن
وقتي وساعتي إلى زيارة سيدي الحسين (عليه السلام)، وأنا تائب إلى الله تعالى، فوالله يا
سليمان لا أفارق قبر الحسين (عليه السلام) حتى تفارق روحي جسدي " (١).
هذه هي شهادة أحد المعاندين والذي كان يرى زيارة قبرة الحسين بدعة
وضلالة، حتى قذف الله سبحانه وتعالى بقلبه حب الحسين (عليه السلام) وأكرمه بزيارة قبره.
وقد جاء عن الإمام الصادق (عليه السلام) إنه قال: " من أراد الله به السوء قذف في قلبه بغض

---

(١) أنظر: العوالم ١٧: ٧١٦، بحار الأنوار ٤٥: ٤٠١.

الحسين وبغض زيارته " (١). ونحن نقول: اللهم ثبت قلوبنا بحب الحسين، واجعلنا ممن يتولى الحسين، وارزقنا زيارة الحسين إنك حميد مجيد.
ولم يقتصر على المخالفين والمبغضين لأهل بيت النبوة الذين نور الله قلوبهم بحب الحسين وبموالاة الحسين، حتى تعدى ذلك إلى الجن المعاندين والمبغضين لهم أيضا، عندما شاهدوا كرامات هذا البيت الطاهر، فأقروا لهم بالفضل والكرامة.
فلنستمع إلى شهادة دعبل بن علي الخزاعي:
في رواية أبي محمد الكوفي، عن دعبل بن علي الخزاعي قال: لما انصرفت عن أبي الحسن الرضا (عليه السلام) بقصيدتي التائية، نزلت بالري، وأني في ليلة من الليالي
وأنا أصوغ قصيدة وقد ذهب من الليل شطره فإذا طارق يطرق الباب، فقلت: من هذا؟ فقال: أخ لك فبدرت إلى الباب ففتحته فدخل شخص اقشعر منه بدني، وذهلت منه نفسي، فجلس ناحية وقال لي: لا ترع أنا أخوك من الجن، ولدت في الليلة التي ولدت فيها ونشأت معك، وإني جئت أحدثك بما يسرك ويقوي نفسك وبصيرتك، قال: فرجعت نفسي وسكن قلبي فقال: يا دعبل، إني كنت من أشد خلق الله بغضا وعداوة لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، فخرجت في نفر من الجن المردة
العتاة، فمررنا بنفر يريدون زيارة الحسين (عليه السلام) قد جنهم الليل فهممنا بهم وإذا ملائكة
تزجرنا من السماء. وملائكة في الأرض تزجر عنهم هوامها، فكأني كنت نائما أو غافلا فتيقظت، وعلمت أن ذلك لعناية بهم من الله تعالى لمكان من قصدوا له، وتشرفوا بزيارته.
فأحدثت توبة وجددت نية وزرت مع القوم، ووقفت بوقوفهم ودعوت
بدعائهم، وحججت بحجهم تلك السنة، وزرت قبر النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) ومررت برجل

---

(١) كامل الزيارات: ١٥٣.

حوله جماعة، فقلت من هذا؟ فقالوا: هذا ابن رسول الله الصادق (عليه السلام)، قال: فدنوت
منه وسلمت عليه فقال لي: مرحبا بك يا أهل العراق، أتذكر ليلتك ببطن كربلاء وما رأيت من كرامة الله تعالى لأوليائنا؟ إن الله قد قبل توبتك، وغفر خطيئتك.
فقلت: الحمد لله الذي من علي بكم، ونور قلبي بنور هدايتكم، وجعلني من المعتصمين بحبل ولايتكم، فحدثني يا بن رسول الله بحديث أنصرف به إلى أهلي وقومي، فقال: نعم، حدثني أبي محمد بن علي، عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين بن علي عن أبيه علي بن أبي طالب (عليهم السلام) قال: قال لي رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): يا
علي الجنة محرمة على الأنبياء حتى أدخلها أنا، وعلى الأوصياء حتى تدخلها أنت، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتي، وعلى أمتي حتى يقروا بولايتك، ويدينوا بإمامتك، يا علي والذي بعثني بالحق لا يدخل الجنة إلا من أخذ منك بنسب أو سبب، ثم قال: خذها يا دعبل فلن تسمع بمثلها من مثلي أبدا، ثم ابتلعته الأرض فلم أره (١).
* * *

---

(١) أنظر: العوالم ١٧: ٧١٢، بحار الأنوار ٤٥: ٤٠٢.

الأدوار التي مرت على القبر الشريف
البداية الأولى
بعد وقعة الطف عام ٦١ ه، واضطراب الوضع السياسي في العراق، سواء عند ظهور التوابين الذين نادوا بالانتقام من الرموز الرئيسية التي ساهمت بقتل الإمام الحسين (عليه السلام)، وكذلك ظهور المختار المفاجئ، الذي استطاع أن يعلن حكومته الموالية لأهل البيت في الكوفة، والانتقام من القتلة، وبعدها تم القضاء على حملة عبيد الله بن زياد وقتله في معركة الخازر بقيادة إبراهيم بن مالك الأشتر، أصبحت الشيعة تنعم بنوع كبير من الحرية والطمأنينة، فسارعت بزيارة قبر الإمام الحسين (عليه السلام) والشهداء من أهل بيته وأصحابه، فظهر القبر الشريف وأصبح محط
أنظار الشيعة خاصة من الكوفة والمدائن والبصرة، وطبيعي أن هؤلاء الزوار الذين يقطعون المسافات البعيدة لزيارة القبر الشريف يحتاجون إلى ظل يستظلون به، وخصوصا إذا كان الزائر يبقى اليوم أو اليومين أو أكثر عند القبر، فمنذ ذلك الحين بني على القبر الشريف سقيفة، فزعم البعض أن بني أسد الذين دفنوا الحسين (عليه السلام) هم
أول من بنى هذه السقيفة على القبر، حيث أكد ابن طاووس بقوله: إنهم أقاموا رسما لقبر سيد الشهداء (١). مما يدل على أن مجئ التوابين إلى القبر الشريف في سنة ٦٣

---

(١) الإقبال: ٣٦.

أو ٦٤ كان ظاهرا معروفا ولا يكون ذلك إلا ببنيانه (١).
ويرى بعض المؤرخين أن المختار بن أبي عبيدة الثقفي هو الذي قام بتشييد البناء على القبر واتخذ له قرية من حوله (٢).
ومهما يكن من الأمر فإن البناء قد ظهر في الفترة التي حدث فيها انفراج نسبي للشيعة، أي منذ فترة موت يزيد المفاجئ، وهروب عبيد الله بن زياد من العراق، وحتى تولي المختار قيادة السلطة في الكوفة، ثم فترة ما بعد المختار، أي في عهد ولاية مصعب بن الزبير على العراق، نعمت الشيعة بنوع من الحرية، أتاح لها زيارة القبر الشريف لسيد الشهداء (عليه السلام)، وبقي هذا البناء طيلة الحكم الأموي وإلى
قيام الدولة العباسية، كما يظهر من رواية صفوان الجمال، عن الإمام الصادق (عليه السلام)،
أنه قال: " إذا أردت قبر الحسين في كربلاء، فقف خارج القبة وارم بطرفك نحو القبر، ثم ادخل الروضة وقم بحذائها من حيث يلي الرأس، ثم اخرج من الباب الذي عند رجلي علي بن الحسين (عليه السلام)، ثم توجه إلى الشهداء، ثم امش حتى تأتي
مشهد أبي الفضل العباس فقف على باب السقيفة وسلم ".
نستدل من هذه الرواية بأنه كانت على القبر الشريف قبة، وعلى قبر أبي الفضل العباس سقيفة وباب، للولوج إلى داخل السقيفة. ولصفوان الجمال أيضا حديثا عن الإمام الصادق (عليه السلام): " إذا أردت زيارة الحسين بن علي، فإذا أتيت الباب
فقف خارج القبة، وارم بطرفك نحو القبر (وقل) ثم ادخل اليمنى وأخر اليسرى، ومن ثم ادخل الحائر وقم بحذائه " (٣).
وفي رواية الحسن بن ثور بن أبي فاختة، عن الإمام الصادق (عليه السلام) من حديث

---

(١) أعيان الشيعة ٣: ٦٢٨.
(٢) تاريخ كربلاء والحائر الحسيني: ١٦٠.
(٣) أعيان الشيعة ٣: ٦٢٧.

طويل حتى قال: " إذا أتيت أبا عبد الله فأغتسل على شاطئ الفرات ثم البس ثيابك الطاهرة، ثم امش حافيا، فإنك في حرم من حرم الله وحرم رسوله، وعليك بالتكبير والتهليل والتمجيد والتعظيم لله كثيرا والصلاة على محمد وأهل بيته، حتى تصير إلى باب الحائر، ثم تقول:
" السلام عليك يا حجة الله وابن حجته، السلام عليكم يا ملائكة الله وزوار قبر ابن نبي الله، ثم أخط عشر خطى ثم قف فكبر ثلاثين تكبيرة " (١).
يستفاد من هذه الروايات، على وجود بناء على الحائر الحسيني في زمن الإمام الصادق (عليه السلام) المولود سنة ٨٠ ه والمتوفى سنة ١٤٠ ه، وقد توصل العلامة
الشعراني على أن الحائر في تلك الفترة أعظم من الحائر الحالي فقال:
" المستفاد من هذا الحديث أن الحائر كان أعظم من الحرم الحالي – أعني: تحت القبة والرواق الواقع على أطرافه –، وذلك لأن الفاصلة بين الباب وما يقف فيه الزائر حول القبر الشريف كان أكثر من عشر خطوات، والضلع الجنوبي من جدار الحائر، وإلا لوجب بأنك تدور أو تطوف أو تحول حتى تأتيه من قبل وجهه، لكن اكتفى بقوله امش حتى تأتيه " (٢).
وفي رواية أبي حمزة الثمالي عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: إذا أردت زيارة قبر العباس بن علي (عليه السلام) – وهو على شط الفرات بحذاء الحائر – فقف على باب السقيفة.
يتضح من الروايات المذكورة: على وجود مسجد للحسين (عليه السلام) وسقيفة، تظلها شجرة السدرة حتى الأيام الأخيرة للعهد الأموي. وذكر محمد بن أبي طالب عند ذكره لمشهد الحسين (عليه السلام): " أنه اتخذ على الرمس الأقدس لعهد الدولة المروانية
مسجدا ".

---

(١، ٢) كامل الزيارات: ٢١٧.

الحائر الحسيني في عهد المنصور
عندما تولى العباسيون السلطة، وتمكنوا من القضاء التام على خصومهم الأمويين، أرادوا التقرب إلى العلويين، وخصوصا في عهد السفاح الذي فسح المجال لزيارة قبر الحسين (عليه السلام)، فلم يزل البناء والمسجد والقبر المطهر بعيدا عن
انتهاكات العباسيين في بداية دولتهم، لكن في زمن الخليفة المنصور صاروا يجاهرون بمعاداتهم للعلويين والتضييق عليهم، فنكل المنصور بآل الحسن، فمنهم من قتل ومنهم من هرب على وجه، متذرعا بالثورة عليه التي قام بها محمد بن عبد الله بن الحسن بالمدينة، وأخيه إبراهيم الذي ثار من بعده في البصرة.
كما أراد التخلص من بيعة كانت في عنقه لمحمد بن عبد الله بن الحسن الملقب (بالنفس الزكية). ولما انتهت هاتين الثورتين بالفشل تفرغ للتنكيل بآل علي (عليه السلام) فزج عددا كبيرا منهم في السجن، ثم تجاوز باعتداءاته على العلويين،
حتى طالت القبر الشريف للإمام الحسين (عليه السلام)، وقبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ففي رواية صفوان الجمال، قال: " أخبرني مولى لنا، عن مولى لبني
عباس، قال: قال لي أبو جعفر المنصور: خذ معك معولا وزنبيلا وامض معي، قال: أخذت ما قال وذهبت معه ليلا، حتى ورد الغري فإذا بقبر، فقال: احفر، فحفرت حتى بلغت اللحد " (١).
لقد دفع المنصور حقده الدفين الذي يكنه لآل علي (عليه السلام)، لأنه يراهم أحق منه بخلافة المسلمين، وإن المجلس الذي أجلس فيه ما كان يأتيه إلا عن طريق شيعة أهل البيت في خراسان والكوفة، ودعوتهم في بداية أمرهم للرضا من آل
محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكان المنصور نفسه يرى أحقيتهم في الخلافة، فسبق كما قلنا إنه بايع

---

(١) أنظر: إرشاد القلوب ٢: ٤٣٦، بحار الأنوار ١٠٠: ٢٣٨ / ٧.

محمد بن عبد الله بن الحسن (ذو النفس الزكية)، في اجتماع ضم بني هاشم لاختيار المرشح للخلافة، عندما بدأ حكم بني أمية في الانحلال في السنين الأخيرة من عهدهم.

وكذلك بايع السفاح والمنصور عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب (عليه السلام)

عندما ثأر في عهد خلافة إبراهيم بن الوليد الأموي، وقد استطاع بن معاوية هذا أن يبسط نفوذه على أصبهان، وقومس، وحلوان، والري، ففي رواية أبي الفرج الأصفهاني أنه قال: " إنه سيطر على مياه البصرة ومياه الكوفة وهمدان وقم والري وفارس وأقام هو بأصبهان " (١)، " فقصدته بنو هاشم جميعا منهم السفاح والمنصور وعيسى بن علي " (٢).

وعندما انتهت حركة ابن معاوية بالفشل، كان عبد الله بن علي بن عبد الله بن عباس ضمن الأسرى الذين أسرتهم القوات الموالية لبني أمية، ثم شفع فيه وأطلق سراحه (٣).

ولما آلت الأمور إلى بني العباس أرادوا أن يتحرروا من بيعة العلويين، فأرهبوهم بالخوف والترهيب، حتى زجوا بهم في السجون، واستعملوا معهم شتى وسائل القهر والتعذيب، وكان ابتداء هذا الانحراف الذي صار علنا في زمن أبي جعفر المنصور، وإن كان في دولتهم مستورا وخفيف الوطأة في بداية الأمر.

الحائر الحسيني في عهد الرشيد

تمتعت الشيعة ببعض الهدوء النسبي في زمن الخليفة المهدي، فكانت

---

(١) مقاتل الطالبيين: ١٥٦.

(٢) المصدر السابق: ١٥٧.

(٣) الكامل في التاريخ ٥: ٣٧٢.

سياسته تتسم باللين وحسن المعاملة، وكان يعطف على العلويين ويبرهم، وعلى الرغم من قصر مدة حكمه، كانت الشيعة تختلف على زيارة الحائر الحسيني بحرية تامة، وكان هذا الحال حتى بعد وفاته واستلام الرشيد لمقاليد الخلافة سنة ١٧٠ ه، لكن سرعان ما تغيرت سياسة الرشيد، فأعاد سياسة جده المنصور بالتضييق واستعمال البطش، والقسوة ضد العلويين، فزج الإمام موسى بن جعفر (عليه السلام) في السجن، ثم تآمر على قتله وهو في السجن عام ١٨٣ ه، ثم نقض العهد الذي أعطاه ليحيى بن عبد الله بن الحسن (أخو محمد ذو النفس الزكية) حينما ظهر بالديلم وقويت شوكته نتيجة سياسة الاضطهاد التي اتبعها الرشيد مع العلويين، وفي المدة الأخيرة من حكمه أي في سنة ١٨٧ ه، بدأت تظهر نواياه الخبيثة تجاه القبر الشريف، فقد عمد على كرب القبر المطهر، وقطع السدرة التي كانت بجانب القبر، ففي رواية يحيى بن المغيرة الرازي كما يرويها الشيخ الطوسي في أماليه، قال:

" كنت عند جرير بن عبد الحميد إذ جاءه رجل من أهل العراق، فسأله جرير عن خبر الناس، فقال: تركت الرشيد وقد كرب قبر الحسين (عليه السلام)، وأمر أن تقطع السدرة

التي فيه فقطعت، قال: فرفع جرير يديه، وقال: الله أكبر قد جاءنا فيه حديث عن رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) أنه قال: لعن الله قاطع السدرة ثلاثا، فلم نقف على معناه حتى

الآن، لأن القصد بقطعه تغيير مصرع الحسين (عليه السلام) حتى لا يقف الناس على قبره (عليه السلام) " (١).

لقد حاول الرشيد العباسي أن يطمس آثار القبر، ويمحو رسمه، فكربه وقطع السدرة التي يستظل بها زائري القبر الشريف، ثم هدم الأبنية التي كانت تحيط به (٢)، عندما رأى افتتان الناس بالقبر المقدس، وتهافتهم على زيارته، وهذا بالطبع

---

(١) أنظر: أمالي الطوسي، بحار الأنوار ٤٥: ٣٩٨، العوالم ١٧: ٧١٩.

(٢) تراث كربلاء: ٣٢.

كان يغيظ الرشيد ولا يروق له، ثم أخذ يتعقب العلويين تحت كل حجر ومدر، وكان يعترف بأعماله الشائنة هذه، فكان يقف على قبر أمير المؤمنين علي (عليه السلام)
فيقول:
" أنا والله أعرف فضلك وسابقتك، وبك والله جلست مجلسي الذي أنا فيه، وأنت أنت، ولكن ولدك يؤذونني ويخرجون علي " (١).
وفي رواية عبد الله بن حازم بن خزيمة، قال: خرجنا مع الرشيد من الكوفة نتصيد، فصرنا إلى ناحية الغريين والثوية وذكر نحو المتن، ثم قال: إن أمير المؤمنين خرج إلى الرقة وأنا معه، فقال ذات ليلة ونحن بالرقة بعد سنة: يا ياسر تذكر ليلة الغريين؟ قلت: نعم، يا أمير المؤمنين، قال: أتدري قبر من ذاك؟ قلت: لا، قال: قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، فقلت: يا أمير المؤمنين تفعل هذا بقبره وتحبس أولاده! فقال: ويلك، إنهم يؤذونني ويحوجوني إلى ما أفعل بهم " (٢).
لقد كان العباسيون يعترفون بفضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وسابقته في الإسلام، وأن عرش الخلافة الذي تبوؤا مقعده لا يمكن أن يصير إليهم إلا من طريق علي وآل علي (عليه السلام) حيث استغلوا عواطف الشيعة تجاه البيت العلوي،
فبثوا دعاتهم بين أوساطهم، بحجة إعادة الأمر إلى أصحابه الشرعيين، والدعوة إلى الرضا من آل محمد، ثم استحوذوا على مقاليد الحكم، وبعد ذلك عاثوا في الأرض فسادا، وكان للعلويين في عهدهم نصيب كبير من الاضطهاد والجور، حتى قبورهم لم تسلم من العبث والتخريب. ففي بداية الأمر أراد الرشيد التنكيل بالخدم والسدنة

---

(١) أنظر: إرشاد القلوب: ٤٣٦، كفاية الطالب: ٤٧١: مناقب ابن شهرآشوب ٢: ٣٥١.
(٢) بحار الأنوار ٤٢: ٣٣١.

القائمين بخدمة الحائر المقدس، فأمر بإحضار سادنه ابن أبي داود لينال العقاب لقاء قيامه بخدمة قبر الحسين (عليه السلام)، ولما أحضر ابن داود سأله الرشيد وهو يستشيط

غيظا: ما الذي صيرك في الحير؟

فأجابه: إن الحسن بن راشد هو الذي وضعني في ذلك الموضع، فهز الرشيد رأسه من الغيظ وقال: ما أخلط أن يكون هذا من تخليط الحسن أحضروه!

ولما أحضر الحسن قال له: ما حملك على أن صيرت هذا الرجل في الحير؟

فقال الحسن: رحم الله من صيره في الحير، أمرتني أم موسى أن أصيره فيه، وأن أجري عليه في كل شهر ثلاثين درهما.

فسكت الرشيد ولم يحر جوابا، ثم قال: ردوه إلى الحير، وأجروا عليه ما أجرته أم موسى (١).

لكن الرشيد آل على نفسه على أن يضع حدا لهذا القبر فأخذ بهدمه وتخريبه، ففي رواية محمد بن أبي طالب، حيث قال:

" وكان قد بني على قبر الحسين (عليه السلام) مسجد، ولم يزل كذلك بعد بني أمية، وفي زمن بني العباس إلى زمن هارون الرشيد، فإنه خربه وقطع السدرة التي كانت نابتة عنده وكرب موضع القبر " (٢).

فإذا كان بنو أمية تساهلوا بعض الشئ عن التعرض للقبر الشريف، فبني العباس ندموا على عدم مشاركتهم في تصفية الحسين جسديا، فتتبعوه وهو رميما،

---

(١) الطبري ١٠: ١١٨.

(٢) أعيان الشيعة ٣: ٦٢٨.

ويوجد إلى الآن باب من أبواب الصحن الشريف يسمى باب السدرة، ولعل السدرة كانت عنده أو بجنبه.

فلله در الشاعر حيث يقول (١):
أسفوا على أن لا يكونوا شايعوا * في قتله فتتبعوه رميما
ولم يقتصر هدم قبر الحسين (عليه السلام) على الرشيد فقط، بل تعدى إلى الولاة من آل بني العباس، فهذا موسى بن عيسى الهاشمي والي الكوفة للرشيد يأمر بهدم وتخريب القبر المطهر، ففي رواية يحيى بن عبد الحميد الحماني، قال: خرجت أيام ولاية موسى بن عيسى الهاشمي في الكوفة من منزلي فلقيني أبو بكر بن عياش، فقال لي: امض بنا يا يحيى إلى هذا، فلم أدر من يعني، وكنت أجل أبا بكر عن مراجعته، وكان راكبا حمارا، فجعل يسير عليه، وأنا أمشي مع ركابه.
فلما صرنا عند الدار المعروفة بدار عبد الله بن حازم، التفت إلي، وقال لي:
يا بن الحماني جررتك معي وجشمتك معي أن تمشي خلفي لأسمعك ما أقول لهذا الطاغية، قال: فقلت: من هو يا أبا بكر؟ قال: هذا الفاجر الكافر موسى بن عيسى، فسكت عنه ومضى وأنا أتبعه حتى إذا صرنا إلى باب موسى بن عيسى، وبصر به الحاجب وتبينه، وكان الناس ينزلون عند الرحبة، فلم ينزل أبو بكر هناك، وكان عليه يومئذ قميص وإزار، وهو محلول الأزار.
قال: فدخل على حماره وناداني: تعال يا بن الحماني، فمنعني الحاجب فزجره أبو بكر وقال له: أتمنعه يا فاعل وهو معي؟ فتركني فما زال يسير على حماره حتى دخل الإيوان، فبصر بنا موسى وهو قاعد في صدر الإيوان على سريره بجنبي السرير رجال متسلحون.
فلما رآه موسى رحب به وقربه وأقعده على سريره، ومنعت أنا حين وصلت إلى الإيوان أن أتجاوزه، فلما استقر أبو بكر على السرير التفت إلي حيث أنا واقف

---

(١) أمالي الطوسي: ٣٢٨.

فناداني وقال: ويحك، فصرت إليه ونعلي في رجلي وعلي قميص وإزار، فأجلسني بين يديه، فالتفت إليه موسى فقال: هذا رجل كلمنا فيه؟
قال: لا، ولكن جئت به شاهدا عليك، قال: في ماذا؟ قال: إني رأيتك وما صنعت بهذا القبر.
قال: أي قبر؟ قال: قبر الحسين بن علي بن فاطمة بنت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم)،
وكان موسى قد وجه إليه من كربه وكرب جميع أرض الحائر وحرثها وزرع الزرع فيها، فانتفخ موسى حتى كاد أن ينقد، ثم قال: ما أنت وذاك (١)... إلى آخر الرواية ".
يتضح من رواية الحماني بأن القبر الشريف كان عرضة للعبث والتخريب على أيدي العباسيين خلفاء كانوا أم ولاة.

عمارة المأمون

بعد هدم الرشيد للقبر عام ١٩٣ ه، حيث هلك بعده بقليل، ثم تولى الأمين عرش الخلافة بعد أبيه، حدث انفراج نسبي للشيعة، كما استفاد الشيعة من انشغال الأمين بلهوه ومجونه، ومن ثم بعد ذلك النزاع المسلح بينه وبين المأمون، فهرعوا لزيارة القبر بلا خوف ولا وجل.
ويظهر أن الحائر الحسيني لم ينال من الأعمار في عهد الأمين إلا شيئا طفيفا، ويظهر أن الأهالي قاموا بذلك عند تخريب الرشيد للقبر المطهر.
وبعد انتصار المأمون وتسلمه لمقاليد الخلافة، كان قد آثر التقرب للعلويين، وكان قبل هذا قد دعا الإمام علي بن موسى الرضا (عليه السلام) وجعله وليا لعهده، واستبدل

---

(١) أمالي الطوسي: ٣٣٣، بحار الأنوار ٤٥: ٣٩٨.

لباس السواد بالخضرة.
ففي عهده تمتعت الشيعة بنصيب كبير من حرية الرأي، وفي زمنه ازدادت المناظرات العقائدية والفلسفية، فأصبح لرجال الشيعة الحرية في إبداء آرائهم ومناظرة مخالفيهم، وقد اعترف المأمون بسبقهم الفكري والعقائدي. أما ما يخص الحائر الحسيني فقد أعاد المأمون موضع القبر المطهر، وبنى عليه بناء شامخا بقي حتى سنة ٢٣٢ ه (١).

الحائر الحسيني في عهد المتوكل

بقيت عمارة المأمون طيلة عهد المعتصم والواثق، والشيعة لا تزال في تلك الفترة تتمتع بنصيب وافر من الحرية في زيارة القبر الشريف، حتى تبوء المتوكل عرش الخلافة في سنة ٢٣٢ ه، وفي عهده بدأ في تضييق الخناق على الشيعة، وقد حذا حذو جده الرشيد في متابعة العلويين والتنكيل بهم، فقد وصفه ابن الأثير فقال عنه: " وكان شديد البغض لعلي بن أبي طالب (عليه السلام)، ولأهل بيته، وكان يقصد من يبلغه أنه يتولى عليا وأهله، يأخذ المال والدم " (٢).

ولم يكتف بذلك حتى امتدت أياديه الآثمة لتطال الضريح المقدس للحسين (عليه السلام)، ففي الفترة من ٢٣٢ - ٢٤٧ ه كان القبر الشريف عرضة للهدم والتخريب عدة مرات، مع إقامة المسالح على الطرق المؤدية إلى كربلاء للترصد، ومراقبة من يأتي لزيارته، وأمر بإنزال العقوبات الشديدة على من يخالف أمره.

وقد وصف أبو الفرج الأصفهاني هذه الفترة بقوله: " وكان المتوكل شديد

---

(١) تاريخ كربلاء: ١٦٢.
(٢) الكامل في التاريخ ١٧: ٥٦.

الوطأة على آل أبي طالب، غليظا على جماعتهم، مهتما بأمورهم، شديد الغيظ والحقد عليهم وسوء الظن والتهمة لهم، واتفق إن فتح بن خاقان وزيره كان سئ الرأي فيهم يحسن له القبيح في معاملتهم، فبلغ بهم ما لم يبلغه أحد من خلفاء بني العباس قبله، وكان من ذلك كرب قبر الحسين (عليه السلام) وعفى آثاره ووضع على سائر
طرق الزوار مسالح لا يجدون أحدا زاره إلا أتوا به فقتله أو أنهكه عقوبة " (١).
وكان ابتداء المتوكل في هدم القبر وتخريبه في سنة ٢٣٣ ه، على أثر ذهاب جارية من جواريه لزيارة قبر الحسين (عليه السلام)، والحادثة كما رواها أبو الفرج الأصفهاني
حيث ذكر: " إن بعض القينات كانت تبعث بجواريها إلى المتوكل قبل الخلافة يغنين له إذا شرب، فلما بعث إلى تلك المغنية فعرف أنها غائبة، وكانت قد زارت قبر الحسين (عليه السلام)، وبلغها خبره فأسرعت في الرجوع وبعثت إليه بجارية من جواريها
كان يألفها، فقال لها: أين كنتم؟ قالت: خرجت مولاتي إلى الحج فأخرجتنا معها، وكان ذلك في شعبان. فقال: أين حججتم في شعبان؟ فقالت: إلى قبر الحسين (عليه السلام)، واستطار غضبا وأتى بمولاتها. فحبست واستصفى أملاكها، وبعث
برجل من أصحابه - يقال له الديزج كان يهوديا فأسلم - إلى قبر الحسين (عليه السلام)، وأمره
بكرابه وحفره، وإضراب كل ما حوله. فمضى لذلك وضرب ما حوله، وهدم البناء، وكرب ما حوله نحو مائتي جريب، فلما بلغ إلى قبره لم يتقدم إليه أحد، فأحضر قوما من اليهود فكربوه وأجرى الماء حوله، ووكل به مسالح على سائر الطرق بين كل مسلحتين ميل، لا يزوره زائر إلا أخذوه ووجه به إليه فقتله أو أنهكه
عقوبة " (٢).

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٢٠٣.
(٢) مقاتل الطالبيين: ٢٠٣.

يستفاد من رواية الأصفهاني بأن زيارة قبر الحسين (عليه السلام) اتخذت طابعا ملحوظا خلال تلك الفترة، ولم تقتصر على الشيعة بل امتدت إلى بقية طوائف المسلمين، وأن محبة الحسين قد تغلغلت في قلوبهم، حتى امتدت إلى بعض حاشية الخليفة وخاصة جواريه.

كما يظهر أن الشيعة قد اتخذوا دورا ومنازلا حول القبر الشريف، وهذا ما دعا المتوكل إلى تهديم وتخريب الدور التي حوله، كما أنه أمر بإعادة المسالح للمراقبة ومنع زوار القبر، والتي ألغيت بعد موت الرشيد.

بعد حادثة هدم القبر، هل امتنع الناس من زيارة القبر؟ بالتأكيد لا، فعلى الرغم من وجود المسالح على سائر الطرق المؤدية إلى كربلاء وبين كل مسلحتين ميل، لم يثن الشيعة من زيارة القبر، ويظهر أن الأهالي أعادوا تعمير القبر ولو بشكل بسيط حتى جاءت سنة ٢٣٦ ه، ليعيد المتوكل الكرة مرة أخرى بهدمه وهدم ما حوله من الدور والمنازل، وأن يبذر ويسقي موضع القبر، وأن يمنع الناس من إتيانه، " فنادى (عامل صاحب الشرطة) بالناس في تلك الناحية، من وجدناه عند قبره بعد ثلاثة حبسناه في المطبق! فهرب الناس، وتركوا زيارته، وحرث وزرع " (١).

وفي رواية المسعودي فقد ذكر الحادثة بقوله: " وفي سنة ٢٣٦ ه أمر المتوكل المعروف بالديزج بالمسير إلى قبر الحسين بن علي (رضي الله تعالى عنهما) وهدمه ومحو أرضه، وإزالة أثره، وأن يعاقب من وجد به، فبذل الرغائب لمن تقدم على هذا القبر، فكل خشي العقوبة وأحجم فتناول الديزج مسحاة وهدم أعالي قبر الحسين، فحينئذ أقدم الفعلة فيه " (٢).

---

(١) الكامل في التاريخ ٧: ٥٥.

(٢) مروج الذهب ٢: ٤٠١.

وقال في روايته الديزج ويظهر أنه إبراهيم الديزج.

ولنستمع إلى شهادة إبراهيم الديزج نفسه حيث يقول: بعثني المتوكل إلى كربلاء لنبش قبر الحسين (عليه السلام)، وكتب معي إلى جعفر بن محمد بن عمار القاضي:
أعلمك أني قد بعثت إبراهيم الديزج إلى كربلاء لنبش قبر الحسين (عليه السلام)، فإذا قرأت
كتابي هذا فقف على الأمر حتى فعل أو لم يفعل.
قال الديزج: فعرفني جعفر بن محمد ما كتب إليه، ففعلت ما أمرني به جعفر بن محمد بن عمار، ثم أتيته فقال لي: ما صنعت؟ فقلت: قد فعلت ما أمرت به فلم أر شيئا ولم أجد شيئا، فقال لي: أفلا عمقته؟ قلت: قد فعلت فما رأيت. فكتب إلى السلطان إن إبراهيم الديزج قد نبش القبر فلم يجد شيئا، وأمرته فمخره بالماء وكرب القبر.
قال أبو علي العماري: فحدثني إبراهيم الديزج وسألته عن صورة الأمر، فقال لي:
" أتيت في خاصة من غلماني فقط، وإني نبشت فوجدت بارية وعليها بدن الحسين (عليه السلام)، ووجدت منه رائحة المسك، فتركت البارية على حالها وبدن الحسين (عليه السلام) على البارية، وأمرت بطرح التراب عليه، واطلقت عليه الماء، وأمرت
البقر لتمزجه وتحرثه، فلم تطأه البقر وكانت إذا جاءت إلى الموضع رجعت عنه، فحلفت غلماني بالله وبالإيمان المغلظة لئن ذكر أحد هذه لأقتلنه " (١).
لكن هل يمكن أن نطمئن إلى رواية إبراهيم الديزج وحديثه لأبي علي العماري، بأنه وجد بدن الحسين على حاله، ثم أعاد عليه التراب وهدد غلمانه بكتمان الأمر، وإبراهيم من الموالين للمتوكل، ولم يكلفه المتوكل بهذه المهمة حتى عرف منه بغضه لآل علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ولو وجده فعلا كما يدعي لتقرب به إلى

---

(١) أمالي الطوسي: ٣٢٨، تسلية المجالس ٢: ٤٧٩.

السلطان، حتى تعلو منزلته عنده. لكن يظهر من تبريراته هذه أنه كان بعد هذه العملية موضعا للاستهزاء وسخرية الناس.
وبقي المتوكل يتميز غيظا وحقدا على آل المصطفى (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو يتحين
الفرص المناسبة لإفراغ حقده الدفين عليهم، وفي عام ٢٣٧ ه، عندما بلغه أن أهل العراق يجتمعون لزيارة قبر الحسين (عليه السلام) فيصير إلى قبره خلق كثير، فأمر أحد قواده
وجهزه بقوات من جيشه لتخريب القبر وتهديم المنازل التي حوله، لكن هذه المرة باءت محاولته بالفشل، حيث وقف الناس ضده، وتعاهدوا على مقاومة المعتدين على القبر الشريف، وعندما رأى أن الأمور لا تسير في صالحه أمر قواته بالانسحاب إلى الكوفة.
وقد روى الشيخ الطوسي في أماليه بسنده عن القاسم بن أحمد بن معمر الأسدي الكوفي - وكان له علم بالسير وأيام الناس - قال: " بلغ المتوكل أن أهل السواد يجتمعون بأرض نينوى لزيارة قبر الحسين (عليه السلام) فيصير إلى قبره منهم جماعة
كثيرة، وخلق عظيم، فأنفذ قائدا من قواده، وضم إليه كنفا من الجند كثيرا ليشعث من قبره (عليه السلام)، ويمنع الناس من زيارته والاجتماع عنده.
فخرج القائد إلى الطف، وعمل ما أمر به، وذلك في سنة سبع وثلاثين ومائتين، فثار أهل السواد، واجتمعوا عليه، وقالوا: لو قتلنا عن آخرنا لما أمسك منا لزيارته، والاجتماع عنده، ورأوا من الدلائل ما حملهم على ما صنعوا، فكتب بالأمر إلى الحضرة، فورد كتاب المتوكل إلى القائد بالكف عنهم، والسير إلى الكوفة مظهرا أن مسيره إليها في مصالح أهلها والانكفاء إلى المصر " (١).
يظهر من هذه الرواية أن هدم القبر لم يكن بالقدر الكبير، لما رأوا من

---

(١) أمالي الطوسي: ٢٤٧.

المعارضة الشديدة التي أبداها أهل السواد ضدهم، كما نستخلص منها أيضا بأن القبر قد أعيد بناؤه بعد هدمه في سنة ٢٣٧، ويظهر أيضا أن الناس الغيارى من شيعة آل البيت هم الذين أعادوا بناء القبر في تلك الفترة القصيرة.

لقد أصاب المتوكل الذهول، وهو يرى المشهد المقدس يزداد شموخا سنة بعد أخرى، كما أن عوامل الارهاب والخوف التي ابتدعها ضد زوار الحسين (عليه السلام) لم تجد نفعا، حتى صار مثلا لاستهجان وسخرية المسلمين " وكتب أهل بغداد شتمه على الحيطان والمساجد " (١).

كما هجته الشعراء بقصائد لاذعة، (كما لتشنيعات زيد المجنون على المتوكل، وأعماله المفضوحة أثرها الفعال في نفس طاغية بني العباس، فارتدع مدة من الزمن من التعرض للقبر المطهر) (٢).

بقي القبر الشريف محفوظا من انتهاكات المتوكل مدة عشر سنين، حتى فاض حقده الدفين على العلويين مرة أخرى، يغرونه ندماء السوء بالفتك بآل علي (عليه السلام)، فيذكر ابن الأثير " إنما كان ينادمه ويجالسه جماعة قد اشتهروا بالنصب والبغض لعلي، فيهم: علي بن الجهم الشاعر الشامي، من بني شامه بن لؤي، وعمر بن فرخ الرخجي، وأبو الشمط من ولد مروان بن حفصة، ومن موالي بني أمية، وعبد الله بن محمد بن داود الهاشمي المعروف بابن أترجه.

وكان يخوفونه من العلويين، ويشيرون عليه بإبعادهم، والإعراض عنهم، والإساءة إليهم، ثم حسنوا له الوقيعة في أسلافهم الذين يعتقد الناس علو منزلتهم في الدين، ولم يبرحوا به حتى ظهر منه ما كان، فغطت هذه السيئة جميع

---

(١) أخبار الدول للقرماني في حوادث سنة ٢٣٧.

(٢) تاريخ كربلاء: ٢١٠.

سيئاته " (١).
ففي سنة ٢٤٧ ه قرر الفتك بالعلويين الذين يتواجدون حول الضريح
المقدس للحسين (عليه السلام) ووضع حدا لنهاية هذا القبر الذي افتتن الناس به، فكان
يتحرى الذرائع لتنفيذ فعلته الشائنة، فاستغل زيارة شعبان حيث يكون زخم كثيف
لزوار الحسين (عليه السلام) في هذا الشهر، فيروي الشيخ الطوسي في أماليه: " فبلغ
المتوكل
مصير الناس من أهل السواد والكوفة إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين (عليه السلام)، وأنه
قد
كثر جمعهم لذلك، وصار لهم سوق عظيم، فأنفذ قائدا في جمع عظيم من الجند،
وأمر مناديا ينادي ببراءة الذمة ممن زار قبره (عليه السلام)، ونبش القبر وحرثه، وانقطع
الناس عن الزيارة، وعمل على تتبع آل أبي طالب والشيعة، فقتل لعنه الله، ولم يتم
ما قدر " (٢).
وعن شهادة عبد الله بن دانية الطوري، كما ذكر ذلك الشيخ الطوسي في
أماليه، قال:
" حججت سنة سبع وأربعين ومائتين، فلما صدرت عن الحج صرت إلى
العراق، فزرت أمير المؤمنين (عليه السلام) على حال خيفة من السلطان وتقية، ثم
توجهت
إلى زيارة الحسين (عليه السلام)، فإذا هو قد حرثت أرضه ومخر فيها الماء، وأرسلت
الثيران
والعوامل في الأرض، فبعيني كنت أرى الثيران تأتي في الأرض فتنساق لهم فيها
حتى إذا حاذت مكان القبر يمينا وشمالا، فتضرب بالعصا الضرب الشديد، فلا ينفع
ذلك فيها ولا تطأ القبر بوجه من الوجوه ولا سبب، فما أمكنني الزيارة، فتوجهت
إلى بغداد وأنا أقول:

---

(١) الكامل في التاريخ ٧: ٥٦.
(٢) أمالي الشيخ الطوسي: ٣٢٨.

تالله إن كانت أمية قد أتت * قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فقد أتاك بنو أبيه بمثلها * هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شايعوا * في قتله فتتبعوه رميما
فلما قدمت بغداد سمعت الهائعة، فقلت: ما الخبر؟
قالوا: وقع الطير بقتل جعفر المتوكل، فعجبت من ذلك وقلت: إلهي ليلة بليلة " (١).
ويؤيد شهادة عبد الله بن دانية الطوري، رواية محمد بن جعفر بن محمد بن الرج الرخجي، قال: حدثني أبي، عن عمه عمر بن فرج، قال: أنفذني المتوكل في تخريب قبر الحسين (عليه السلام) فصرت إلى الناحية فأمررنا بالبقر بمن فيها على القبور،
فمرت عليها كلها، فلما بلغت قبر الحسين (عليه السلام) لم تمر عليه.
قال عمي عمر بن فرج: فأخذت العصا بيدي، فما زلت أضربها حتى انكسرت العصا بيدي، والله ما جازت على قبره، وكان هذا الرجل شديد الانحراف عن آل محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) (٢).
وقد جاء وصف حالة القبر الشريف ووصف حالة زائريه في تلك الأيام السوداء من حكم المتوكل في رواية لأبي الفرج الأصفهاني عن محمد بن الحسين الأشناني حيث قال:
" بعد عهدي بالزيارة في تلك الأيام خوفا، ثم عملت على المخاطرة بنفسي فيها، وساعدني رجل من العطارين على ذلك، فخرجنا زائرين نكمن بالنهار ونسير بالليل، حتى أتينا نواحي الغاضرية، وخرجنا منها نصف الليل، فسرنا بين

---

(١) أمالي الشيخ الطوسي: ٣٢٨.
(٢) تسلية المجالس ٢: ٤٧٥.

مسلحتين وقد ناموا، حتى أتينا القبر فخفي علينا، فجعلنا نتسمه ونتحرى جبهته حتى أتيناه، وقد قلع الصندوق الذي كان حواليه وأحرق، وأجرى الماء عليه فانخسف موضع اللبن وصار كالخندق، فزرناه وأكببنا عليه، فشممنا منه رائحة ما شممت مثلها قط من الطيب، فقلت للعطار الذي كان معي: أي رائحة هذه؟ فقال: لا والله ما شممت مثلها بشئ من العطر، فودعناه وجعلنا حول القبر علامات في عدة مواضع، فلما قتل المتوكل اجتمعنا مع جماعة من الطالبيين والشيعة حتى صرنا إلى القبر، وأخرجنا تلك العلامات وأعدناه إلى ما كان عليه " (١).

وفي رواية أخرى بسند عن هشام بن محمد، قال: لما أجري الماء على قبر الحسين (عليه السلام) نضب بعد أربعين يوما، وامتحى أثر القبر فجاء أعرابي من بني أسد،

فجعل يأخذ قبضة قبضة ويشمه، حتى وقع على قبر الحسين فبكى وقال: بأبي وأمي ما كان أطيبك وأطيب تربتك ميتا، ثم بكى وأنشأ يقول (٢):

أرادوا ليخفوا قبره عن عدوه * فطيب تراب القبر دل على القبر

هكذا كانت أيام المتوكل حالكة السواد بالنسبة للعلويين والشيعة بشكل عام، فكان يمنع من زيارته فيمتنع الناس مدة، أو تقل زيارتهم، ويزورون خفية ثم تكثر زيارتهم فيمدد المنع إلى أن قتله الله، وقد قال أحد الشعراء (٣):

أيحرث بالطف قبر الحسين * ويعمر قبر بني الزانية

لعل الزمان بهم يعود * ويأتي بدولتهم ثانية

لقد انتهى المتوكل وسقط في قعر الذل والمهانة، وقتل شر قتله، وسجل

---

(١) مقاتل الطالبيين: ٢٠٤.

(٢) تاريخ دمشق: ٢٧٥، الحسين بن علي سيد شباب أهل الجنة: ١١٦.

(٣) أعيان الشيعة ٣: ٦٣٧.

تاريخه بأحرف سوداء، هي وصمة خزي وعار في جبينه، وقد لقى حتفه على يد أقرب الناس إليه، بعدما تمادى في غيه واستهتاره بالقيم الإسلامية، حتى وضع المنتصر ابنه حدا لهذا الطاغية الأهوج، وقد ذكر ابن الأثير مصرع الطاغية المتوكل بقوله: " وكان المتوكل شديد البغض لعلي بن أبي طالب (عليه السلام) ولأهل بيته، وكان يقصد
من يبلغه أنه يتولى عليا وأهله يأخذ المال والدم، وكان من جملة ندمائه عبادة المخنث، وكان يشد على بطنه، تحت ثيابه مخدة ويكشف رأسه، وهو أصلع، ويرقص بين يدي المتوكل، والمغنون يغنون: قد أقبل الأصلع البطين، خليفة المسلمين، يحاكي بذلك عليا (عليه السلام) والمتوكل يشرب، ويضحك، ففعل ذلك يوما،
والمنتصر حاضرا، فأومأ إلى عبادة يتهدده، فسكت خوفا منه، فقال المتوكل: ما حالك؟ فقام وأخبره، فقال المنتصر: يا أمير المؤمنين إن الذي يحكيه هذا الكاذب، ويضحك منه الناس، هو ابن عمك، وشيخ أهل بيتك، وبه فخرك، فكل أنت لحمه إذا شئت، ولا تطعم هذا الكلب وأمثاله منه! فقال المتوكل للمغنين غنوا جميعا:
غار الفتى لابن عمه * رأس الفتى في حر أمه
فكان هذا من الأسباب التي استحل بها المنتصر قتل المتوكل (١).
لقد سقط رأس الضلال، وسقطت معه الرؤوس العفنة، التي كانت أدوات طيعة له في تنفيذ أوامره الخبيثة من هدم وتخريب قبر سيد الشهداء (عليه السلام) ومطاردة

---

(١) الكامل في التاريخ ٧: ٥٥.
قال ابن حشيش: قال أبو الفضل: إن المنتصر سمع أباه المتوكل يسب فاطمة (عليها السلام) فسأل رجلا من الناس عن ذلك، فقال له: قد وجب عليه القتل، إلا أنه من قتل أباه لم يطل عمره.
قال: ما أبالي إذا أطعت الله بقتله ألا يطول عمري، فقتله وعاش بعده سبعة أشهر.
أنظر: أمالي الطوسي: ٣٢٧.

العلويين، ففي رواية الفضل بن محمد بن عبد الحميد قال: (دخلت على إبراهيم الديزج وكنت جاره أعوده في مرضه الذي مات فيه، فوجدته بحال سوء، فإذا هو كالمدهوش وعنده الطبيب، فسألته عن حاله، وكانت بيني وبينه خلطة وأنس توجب الثقة بي والانبساط إلي، فكاتمني حاله، وأشار إلى الطبيب، فشعر الطبيب بإشارته، ولم يعرف من حاله، ما يصف له من الدواء ما يستعمله، فقام فخرج، وخلا الموضع فسألته عن حاله، فقال: أخبرك والله واستغفر الله إن المتوكل أمرني بالخروج إلى نينوى إلى قبر الحسين (عليه السلام)، فأمرنا أن نكربه ونطمس أثر القبر، فوافيت الناحية مساء، ومعنا الفعلة والدركاريون معهم المساحي والمراود، فتقدمت إلى غلماني وأصحابي أن يأخذوا الفعلة بخراب القبر وحرث أرضه، فطرحت نفسي لما نالني من تعب السفر ونمت فذهب بي النوم فإذا ضوضاء شديدة، وأصوات عالية، وجعل الغلمان ينبهوني فقمت وأنا ذعر، فقلت للغلمان: ما شأنكم؟ قالوا: أعجب شأن، قلت: وما ذاك؟ قالوا: إن بموضع القبر قوما قد حالوا بيننا وبين القبر وهم يرموننا مع ذلك بالنشاب، فقمت معهم لأتبين الأمر فوجدته كما وصفوا، وكان ذلك في أول الليل من ليالي البيض، فقلت: ارموهم فعادت سهامنا إلينا، فما سقط سهم منهم إلا في صاحبه، فاستوحشت لذلك وجزعت، وأخذتني الحمى والقشعريرة، ورحلت عن القبر لوقتي ووطنت نفسي على أن يقتلني المتوكل لما لم أبلغ في القبر ما تقدم إلي به.

قال أبو برزة: فقلت له: قد كفيت ما تحذر من المتوكل، قد قتل بارحة الأولى وأعان عليه في قتله المنتصر، فقال لي: قد سمعت بذلك، وقد نالني في جسمي ما لا أرجو معه البقاء، قال أبو برزة: كان هذا في أول النهار فما أمسى الديزج حتى مات " (١).

---

(١) أنظر: أمالي الطوسي ١: ٣٣٥، بحار الأنوار ٤٥: ٣٩٥، العوالم ١٧: ٧٢٥.

وفي رواية عن أبي عبد الله الباقطاني، قال: ضمني عبيد الله بن خاقان إلى هارون المصري، وكان قائدا من قواد السلطان أكتب له، وكان بدنه كله أبيض شديد البياض، حتى يديه ورجليه كانا كذلك، وكان وجهه أسود شديد السواد، كأنه القير، وكان يتقيأ مع ذلك مدة نتنة، قال: فلما أنس بي سألته عن سواد وجهه فأبى أن يخبرني، ثم إنه مرض مرضه الذي مات فيه، فقعدت فسألته فرأيته كأنه يحب أن يكتم علي، فضمنت له الكتمان.

فحدثني، قال: وجهني المتوكل أنا والديزج لنبش قبر الحسين (عليه السلام) وإجراء الماء عليه فلما عزمت على الخروج والمسير إلى الناحية رأيت رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) في

المنام، فقال: لا تخرج مع الديزج ولا تفعل ما أمرتم به في قبر الحسين، فلما أصبحنا جاءوا يستحثوني في المسير فسرت معهم حتى وافينا كربلاء، وفعلنا ما أمرنا به فرأيت النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) في المنام، فقال: ألم أمرك أن لا تخرج معهم؟ ولا تفعل

فعلهم؟ فلم تقبل حتى فعلت ما فعلوا، ثم لطمني وتفل في وجهي فصار وجهي مسودا كما ترى وجسمي على حالته الأولى " (١).

لقد انهار عرش المتوكل بين ليلة وضحاها، وكل محاولاته في طمس آثار القبر باءت بالفشل، وبقي قبر الحسين (عليه السلام) شامخا يتحدى الزمن بما حمله من

ويلات ومحن، وظل منذ الوهلة الأولى غرة في جبين الدهر، وقد عبر محمد بن أبي طالب صاحب تسلية المجالس عن هذا المعنى بقوله: " كم راموا إخفاء منارها، وإطفاء أنوارها، وإعفاء آثارها، وإهلاك زوارها، وتخريب عامرها، وإدحاض مآثرها، وتتبعوا زعمائها، وأخفوا معالمها، ودرسوا قبورها، وطمسوا مشهورها، وجعلوها لسوامعهم مرتعا، ولحرثهم مزرعا، ولم يتركوا لها علما مشهورا،

---

(١) أنظر: أمالي ١: ٣٣٥، بحار الأنوار ٤٥: ٣٩٥، العوالم ١٧: ٧٢٥.

ولا جذرا معمورا.
وأظهر الله ما أخفوا، وأنار ما أطفوا، طار ذكر بيت نبيه في المغارب والمشارق، وألقى فضلهم على كل لسان ناطق، حتى طبق الآفاق ذكرهم، وعلى السبع الطباق فخرهم، وسطرت في الدفاتر مناقبهم، وشرفت على كل شرف مراتبهم، همتهم تستخرج العذراء من خدرها، وزمام محبتهم تجذب القلوب من برها وبحرها، يقاسي وليهم في هجرته إلى مشاهدهم من أعداء الله ما الموت أيسر بعضه، ويتحمل الأذى في الله ممن خف ميزان يوم حسابه وعرضه، ويستعذب العذيب في مسيره إلى زيارتهم، ويستطيب فراق الحميم والحبيب لمشاهدة أنوار بهجتهم " (١).

عمارة المنتصر بالله سنة ٢٤٧ ه

بعد هلاك المتوكل في شوال سنة ٢٤٧ ه، ومجئ ابنه المنتصر بالله على رأس الخلافة العباسية، ألغى سياسة البطش والتنكيل بالعلويين الذي كان المتوكل سيدها ورئيسها.

فعطف هذا على آل أبي طالب وأحسن إليهم، وفرق فيهم الأموال وأعاد القبور في أيامه (٢)، ففي مدة حكمه القصيرة تمتعت الشيعة بحرية تامة في زيارة قبور الأئمة (عليهم السلام) في الغري وكربلاء، وشيد من جديد أضرحة الأئمة علي، والحسين (عليهما السلام)، كما أطلق أوقاف أهل البيت التي كان المتوكل قد صادرها.

ففي رواية المسعودي قال: " وتقدم بالكف عن آل أبي طالب وترك البحث

---

(١) تسلية المجالس ٢: ٤٨٨.
(٢) تاريخ كربلاء: ١٦٤.

عن أخبارهم، وأن لا يمنع أحد زيارة الحيرة وقبر الحسين (رضي الله عنه) ولا قبر غيره من آل
أبي طالب، وترك التعرض لشيعتهم ودفع الأذى عنهم ".
وبنى على المرقد الشريف ميلا عاليا يرشد الناس إليه، وشجع الناس على زيارته.

سقوط سقيفة الحائر سنة ٢٧٣ ه

لم تمض عمارة الحائر الحسيني على يد المنتصر بالله أكثر من ٢٦ سنة، حتى سقط سنة ٢٦٣ ه في عهد المعتمد بالله العباسي، ولم يعرف أسباب سقوط السقيفة، هل كان خللا في البناء الذي مضى على بنائه فترة أكثر من ربع قرن، أو كان للسلطات الحاكمة يد في انهيار سقيفة الحائر؟

بعض الباحثين يرى أن للسلطة العباسية يد في سبب سقوط السقيفة وانهيارها في ذي الحجة من سنة ٢٧٣ ه، ونعتقد أن الحادث كان طبيعيا ولم يكن عملا تخريبيا من السلطة أو غيرها، حيث كانت الدولة في ذلك الوقت لا تملك القدرة الكافية التي يمكنها أن تهد بناء كاملا في لحظة واحدة. كما أن التاريخ لم يحدثنا عن ضلوع السلطة الحاكمة في انهيار السقيفة، كما حدثنا في المرات السابقة في التعرض للقبر وانتهاك حرمته الشريفة في عهد المنصور والرشيد والمتوكل.

أما عند تحليل الوضع السياسي للخلافة العباسية في تلك الفترة الحرجة من عمرها، نجدها تتسم بالفوضى وعدم الاستقرار، حيث كانت ثورة الزنج التي أشعل فتيلها في البصرة في سنة ٢٥٥ ه، والتي هددت مستقبل الخلافة العباسية، وقد استطاع صاحب الزنج أن يبسط نفوذه على البصرة والأهواز وعبادان وميسان ورامهرمز والبطائح وواسط، حتى صار قريبا من مقر الخلافة العباسية، وقد كلفت

الدولة العباسية أموالا طائلة في الأرواح والممتلكات، ولم يستطيعوا القضاء عليه إلا في سنة ٢٧٠ ه بقيادة الموفق، هذا من جهة، أما من جهة الخلفاء أنفسهم فقد كانوا ألعوبة بيد الأتراك، يعبثون ويفسدون في مقدرات الخلافة، وأصبحوا أصحاب الأمر والنهي، حتى سادت الفوضى، وعمت الاضطرابات، وصار الخليفة لا يأمن حتى على حياته، فمتى أرادوا التخلص منه يقتلونه بسهولة ويسر، كما فعلوا بالمستعين والمعتز والمهتدي، وربما يعاقب الخليفة قبل قتله كما فعلوا بالمعتز، حيث عوقب بوضعه في الشمس فوق الرمل يرفع رجله ويضعها من شدة حرارة الرمل، وهم يضربونه بالدبابيس. من هذه الحادثة يعرف إلى أية مرحلة من مراحل الذل والانحطاط وصلت إليه الخلافة العباسية، فلم تتح الفرصة للخلفاء بالتعرض للقبر الشريف.

أما وقت سقوط سقيفة الحائر فكان في عهد المعتمد الذي بويع له بالخلافة سنة ٢٥٦ ه، والذي كان منهمكا على اللهو واللذات، فاشتغل عن الرعية فكرهته الناس، وفي آخر أيامه مات أخيه الموفق ثم اختلفت عليه الرعية فقتلوه، وقيل سم، وقيل رمي في حلقه رصاص مذاب، وقيل حفر له حفرة وجعل عليها ريش فمشى فسقط في الحفرة، فمات سنة ٢٧٩ ه (١).

فكان رجل الدولة الموفق وابنه المعتضد الذي تولى عرش الخلافة بعد المعتمد، وكان المعتضد يتشيع كما نفهم من رواية ابن أبي الحديد، عن العلاء بن صاعد بن مخلد، حيث قال: " لما حمل رأس صاحب الزنج ودخل به المعتضد إلى

---

(١) أنظر: الأنباء في تاريخ الخلفاء: ١٣٧، البدء والتاريخ ٦: ١٢٤، تاريخ الخلفاء: ٣٩٢، تاريخ اليعقوبي ٢: ٥٠٧، تاريخ مختصر الدول: ١٤٧، الجوهر الثمين: ١٥٩، المختصر في أخبار البشر ٢: ٥٩.

بغداد (٢٧٠ ه)، دخل في جيش لم ير مثله، واشتق أسواق بغداد والرأس بين يديه، فلما صرنا بباب الطاق، صاح قوم من درب تلك الدروب: رحم الله معاوية وزاد! حتى علت أصوات العامة بذلك، فتغير وجه المعتضد، وقال: ألا تسمع يا أبا عيسى ما أعجب هذا! وما الذي اقتضى ذكر معاوية في هذا الوقت! والله لقد بلغ أبي إلى الموت، وما أفلت أنا إلا بعد مشارفته، ولقينا كل جهد وبلاء، حتى نجينا هؤلاء الكلاب من عدوهم وحصنا حرمهم وأولادهم، فتركوا أن يترحموا على العباس وعبد الله وابنه ومن ولد الخلفاء، وتركوا الترحم على علي بن أبي طالب، وحمزة والحسن والحسين، والله لا برحت أو أوثر في تأديب هؤلاء أثرا لا يعادوه بعد هذا الفعل مثله، ثم أمر بجمع النفاطين ليحرق الناحية، فقلت له: أيها الأمير، أطال الله بقاءك، إن هذا اليوم من أشرف أيام الإسلام، فلا تفسده بجهل عامة لأخلاق لهم، ولم أزل أداريه وأرفق به حتى سار " (١).

يظهر من هذه الرواية أن حب أهل البيت (عليهم السلام) صار يجد له مكانا في قلوب البعض من بني العباس، كما يؤيد ذلك ابن طاووس في روايته عن أبي الحسين علي بن الحسين بن الحجاج قال: كنا جلوسا في مجلس ابن عمي أبي عبد الله محمد بن عمران بن الحجاج، وفيه جماعة من أهل الكوفة من المشايخ، وفيمن حضر العباس بن أحمد العباسي، وكانوا قد حضروا عند ابن عمي يهنؤونه بالسلامة، لأنه حضر وقت سقوط سقيفة سيدي أبي عبد الله الحسين بن علي (عليه السلام) في ذي الحجة من

سنة ثلاث وسبعين ومائتين، فبيناهم قعود يتحدثون إذ حضر المجلس إسماعيل بن عيسى العباسي، فلما نظرت الجماعة إليه، أحجمت عما كانت فيه، وأطال إسماعيل الجلوس، فلما نظر إليهم قال: يا أصحابنا أعزكم الله لعلي قطعت عنكم

---

(١) ثورة الزنج في البصرة مخطوط.

حديثكم بمجيئي! قال أبو الحسن علي بن يحيى (وكان شيخ الجماعة ومقدما فيهم): لا والله يا أبا عبد الله (أعزك الله) أمسكنا بحال من الأحوال، فقال لهم: يا أصحابنا اعلموا أن الله (عز وجل) سائلي عما أقول لكم وما أعتقده من المذهب، حتى حلف بعتق جواريه ومماليكه وحبس دوابه، أنه ما يعتقد إلا ولاية (أمير المؤمنين) علي بن أبي طالب (عليه السلام)، والسادة الأئمة (عليهم السلام)، وعدهم واحدا واحدا،

وساق الحديث، فانبسط إليه أصحابنا " (١).

يستدل من رواية ابن طاووس أن المجلس كان يضم رجالا من الشيعة لتهنئة محمد بن عمران الحجاج بسلامته على أثر سقوط السقيفة سنة ٢٧٣ ه، وكان في المجلس العباس بن أحمد العباسي الذي كان يتشيع، وعند دخول إسماعيل بن عيسى العباسي أحجموا عن الكلام، حتى صرح لهم بانتمائه إلى مذهب أهل البيت، وموالاة علي بن أبي طالب (عليه السلام).

عمارة محمد بن زيد الملقب بالداعي الصغير

بعد سقوط عمارة المنتصر عام ٢٧٣ ه، قام بتجديدها محمد بن زيد بن الحسن بن محمد بن إسماعيل جالب الحجارة بن الحسن دفين الحاجز بن زيد بن الجواد بن الحسن بن السبط بن علي بن أبي طالب، الملقب بالداعي الصغير، وقد ملك طبرستان بعد أخيه الحسن الملقب بالداعي الكبير مدة عشرين سنة (٢)، وقد قام بتشييد البناء للمشهدين الغروي والحائري، وقد ذكر محمد بن أبي طالب بعد إعادة تعمير القبر في عهد المنتصر بالله فقال: " إلى أن خرج الداعيان الحسن ومحمد

---

(١) فرحة الغري: ١٦٠.

(٢) أعيان الشيعة ١: ٦٢٨.

ابنا زيد بن الحسن، فأمر محمد بعمارة المشهدين، مشهد أمير المؤمنين ومشهد أبي عبد الله الحسين، وأمر بالبناء عليهما ".

وقد شيد الداعي العلوي قبة على القبر لها بابان وبنى وأحاطها بسور، وكان ذلك سنة ٢٨٠ ه. وقد بالغ محمد بن زيد في فخامة البناء وحسن الريازة، ودق الصنعة في عمارة الحائر بما يتناسب ومنزله (١).

وعند زيارته لقبر أمير المؤمنين (عليه السلام) وإظهاره وعمارته، ذكر ذلك ابن طاووس في رواية عن أبي الغنائم البرسي، قال: جاء جعفر بن محمد ومحمد بن علي بن الحسين فزار هذا الموضع من قبر أمير المؤمنين علي ولم يكن إذ ذاك القبر، ولم يكن إلا الأرض، حتى جاء محمد بن زيد الداعي فأظهر القبر، وقد امتدحه أبو المقاتل الضرير بالأبيات المشهورة النونية التي آخرها (٢):

حسنات ليس فيها سيئات * مدحة الداعي أكتابا يا كاتبان

وقد قتل بظاهر جرجان وقبره هناك عند قبر الديباج محمد بن الصادق (عليه السلام)، وكان فاضلا متدينا.

عمارة القبر في العهد البويهي

توالت على الحائر الحسيني عمارات وإصلاحات متعددة، حتى بلغ عضد الدولة بن بابويه (٣) الغاية في تعظيمها، ومنذ ذلك الحين أخذ عمران الحائر يتقدم

---

(١) مجالس الطف: ٣٩.

(٢) فرحة الغري: ١٥١.

(٣) عضد الدولة: هو السلطان عضد فناخسرو بن الحسن بن بويه الديلمي، وكان معدودا في الفقهاء والمحدثين والشعراء والسلاطين والفرسان والدهاة والنحاة، وكان شيعيا معاصرا للشيخ المفيد محمد بن محمد بن النعمان وقد أخذ عنه العلم، وكان يزوره في موكبه العظيم ولا يتقي غيره ولد بأصبهان يوم الأحد خامس ذي القعدة سنة ٣٢٤ ه وتوفي في بغداد يوم الاثنين ٨ شوال سنة ٣٧٢ ه، وهو أول من لقب بشهنشاه، وكانت ولايته على العراق خمس سنين ونصف وأوصى أن يدفن في النجف الأشرف في الروضة المباركة، فدفن وكتب على قبره: (هذا قبر عضد الدولة وتاج الملة أبي شجاع ابن ركن الدولة، أحب مجاورة هذا الإمام المعصوم، لطمعه في الخلاص يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها، وصلوات على محمد وآله الطاهرين). ولما توفي عضد الدولة وجلس ابنه صمصام على الأرض عليه ثياب السواد جاءه الخليفة الطائع معزيا، وناحت النساء عليه في الأسواق حاسرات عن وجوههن أياما كثيرة. انظر: البداية والنهاية ١١: ٣٠١.

تدريجيا.
" ففي سنة ٣٧١ ه شيد عضد الدولة البويهي قبة ذات أروقة وضريحا من العاج، وعمر حولها بيوتا، وأحاط المدينة بسور " (١).
وقد وصف محمد بن أبي طالب أعمال عضد الدولة الجليلة فقال: " وبلغ ذلك عضد الدولة بن بويه الغاية في تعظيمها وعمارتها والأوقاف عليها، وكان يزورها في كل سنة، ولما زار المشهد الحسيني عام ٣٧١ ه، بالغ في تشييد الأبنية حوله وأجزل العطاء لمن جاوره " (٢).
وقد تقدمت كربلاء على عهده تقدما ملموسا، وازدهرت ازدهارا واسعا، وتقدمت معالمها الدينية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، فاتسعت تجارتها، وأفضلت زراعتها، وأينعت علومها وآدابها، فدبت في جسمها روح الحياة والنشاط (٣).
وقد ذكر ابن الأثير أعمال عضد الدولة نحو الحرمين الشريفين في مكة والمدينة، ونحو المشهدين المقدسين في الحائر والغري، فقال:

---

(١) تراث كربلاء: ٣٦.
(٢) أعيان الشيعة ١: ٦٢٨.
(٣) تراث كربلاء: ٣٧.

" ولا ننكر أعماله العظيمة ومآثره الإسلامية الجليلة، فقد بالغ في تشييد الأبنية حول المشهد في الحائر، فجدد تعمير القبة، وشيد الأروقة من حوله، وبالغ في تزيينهما وتزيين الضريح بالساج والديباج، وعمر البيوت والأسواق من حول الحائر، وعصم مدينة كربلاء بالأسوار العالية فجعلها كحصن منيع، ثم اهتم بالماء لسكان البلد والضياء للحائر المقدس، فساق المياه الجارية للطف من مسافات بعيدة، وخصص أوقافا جارية للإنارة والإضاءة ".

لقد اهتم عضد الدولة بالمدينتين المقدستين اهتماما ملحوظا، فكان يكثر الزيارة لهما ويتفقد أحوال الناس ويأمر بتلبية مطاليبهما، وقد ذكر ابن طاووس إحدى زيارته لهما بقوله:

" كانت زيارة عضد الدولة للمشهدين الشريفين الطاهرين الغروي والحائري في شهر جمادى الأولى في سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة، وورد مشهد الحائر مشهد مولانا الحسين (صلوات الله عليه) لبضع بقين من جمادى، فزاره (صلوات الله عليه)، وتصدق وأعطى الناس على اختلاف طبقاتهم، وجعل في الصندوق دراهم ففرقت على العلويين، فأصاب كل واحد منهم اثنان وثلاثون درهما، وكان عددهم ألفين ومائتي اسم، ووهب للعوام والمجاورين عشرة آلاف درهم، وفرق على أهل المشهد من الدقيق والتمر مائة ألف رطل، ومن الثياب خمسمائة قطعة، وأعطى الناظر عليهم ألف درهم، وخرج وتوجه إلى الكوفة لخمس بقين من جمادى المؤرخ، ودخلها وتوجه إلى المشهد الغروي يوم الاثنين (ثاني يوم وروده)، وزار الحرم الشريف، وطرح في الصندوق دراهم، فأصيب كل واحد منهم إحدى وعشرون درهما، وكان عدد العلويين ألف وسبعمائة اسم، وفرق على المجاورين وغيرهم خمسة آلاف درهم، وعلى القراء والفقهاء ثلاثة آلاف درهم، وعلى المرتبين والخازن والنواب على يدي أبي الحسن العلوي، وعلى يد أبي القاسم بن

أبي عابد، وأبي بكر بن سيار رحمه الله " (١).
يظهر من رواية ابن طاووس بأن المدينتين المقدستين صار لهما شأنا كبيرا في تلك الفترة التي زارهما السلطان عضد الدولة في الربع الأخير من القرن الرابع الهجري، حيث ازداد عدد سكان المدينتين من مجاورة العلويين والشيعة لهما، ثم توافدت عليهما الفقهاء والقراء بعدد كبير، ثم كان لإدارة الحرمين تنظيما دقيقا من مرتبين وخازن ونواب، وعند زيارته قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) امتدحته الشعراء ابتهاجا بزيارته الميمونة للمشهد الغروي، وقد قال أبو إسحاق العباسي في هذه المناسبة (٢):

توجهت نحو المشهد العلم الفرد * على اليمن والتوفيق والطائر السعد
تزور أمير المؤمنين فياله * ويا لك من مجد منيخ على مجد
فلم ير فوق الأرض مثلك زائرا * ولا تحتها مثل المزور إلى اللحد
مددت إلى كوفان عارض نعمة * يصوب بلا برق يرعد بلا رعد
وتابعت أهليها ندى بمثوبة * فرحت إلى فوز وراحوا إلى رفد

وفي عهده تعرض الحائر للنهب والسلب ففي سنة ٣٦٩ ه نهب على يد رجل من بني أسد يدعى (ضبة بن محمد الأسدي)، وكان يتزعم عصابة من اللصوص وقطاع الطرق، وقد اتخذ عين التمر مقرا له، وكان يشن هجماته على المدن وقوافل الحجاج، فأرسل عضد الدولة في هذه السنة سرية من الجند إلى عين التمر، فحاصرته فاضطر أن يترك أمواله وأهله ويلوذ بالفرار، وقد ذكر ابن الأثير

---

(١) فرحة الغري ١٥٤ - ١٥٦.
(٢) ماضي النجف وحاضرها ١: ٢١٨.

هذه الحادثة بقوله:
" وفي هذه السنة (٣٦٩) أرسل عضد الدولة سرية إلى عين التمر، وبها ضبة بن محمد الأسدي، وكان يسلك سبيل اللصوص وقطاع الطرق، فلم يشعر إلا والعساكر معه، فترك أهله وماله ونجا بنفسه فريدا، وأخذ ماله وأهله وملكت عين التمر، وكان قبل ذلك قد نهب مشهد الحسين (صلوات الله عليه) فعوقب بهذا " (١).
وفي أيامه أيضا ظهر عمران بن شاهين الذي شق عصا الطاعة، والتجأ إلى البطائح وقد قال عنه ابن الأثير: " كان عمران بن شاهين في بدء حياته صيادا وقطاع الطرق، أغار إلى البطيح فاستولى عليه، وذلك في أواسط القرن الرابع الهجري، فلما استتب له الأمر بالبطيح أخذ يعبث فسادا في البقاع المجاورة له حتى استولى ذعره على أكثر الساكنين المجاورين له، فشكا أمره إلى السلطان عضد الدولة، فسار على رأس جيش عرمرم للقضاء على حصون عمران بن شاهين ودك قلاعه، فلما وصل عضد الدولة إلى البطيح كان عمران بن شاهين متحصنا في قلعته، فلم يتمكن السلطان البويهي من عظيم حصونه، فأمر جنده بفتح الماء على قلاعه وغرق البطيح وشد في الحصار عليه، فترك عمران بن شاهين البطيح وولى هاربا من وجه السلطان البويهي ".
وفي رواية ابن طاووس: عندما فر عمران بن شاهين من وجه السلطان البويهي لاذ بقبر الإمام علي (عليه السلام)، فرأى في المنام علي بن أبي طالب، فقال له: يا
عمران سيقدم العبد فناخسرو لزيارة هذه البقعة فلذ به، فلما استيقظ نذر بناء أروقة في المشهد الغروي وأخرى في المشهد الحائري لو تم له ذلك، ولما قدم عضد الدولة لزيارة قبر علي بن أبي طالب رأى شخصا بجدار الروضة، فسأله عن حاجته

---

(١) الكامل في التاريخ ٨: ٧١٠.

فخاطبه عمران بن شاهين باسمه الحقيقي، فاندهش السلطان من معرفة هذا الشخص من اسمه أي (فناخسرو) فقص عليه عمران منامه فعفا عنه السلطان، وأولاه أمارة البطيح ثانية، فقام من ساعته وبنى رواقا في حرم الأمير بالمشهد الغروي، وآخر في الحائر الشريف، وبنى بجنبه مسجدا، وهو أول من ربط حرم الحائر بالرواق المعروف باسمه رواق ابن شاهين (١). وقد تم هذا البناء في سنة ٣٦٧ ه.

عمارة بن سهلان الرامهرمزي

بقيت عمارة السلطان عضد الدولة البويهي إلى سنة ٤٠٧، حتى انهارت القبة في إحدى ليالي ربيع الأول من سنة ٤٠٧ ه على أثر حريق هائل حدث داخل الروضة المطهرة أثناء الليل، وقد التهمت النار أولا التأزير والستائر ثم تعدت إلى الأروقة فانهارت القبة.

وقد وصف الحادث ابن الأثير بقوله: " وفي ١٤ ربيع الأول، احترقت قبة الحسين والأروقة، وكان سببه إنهم أشعلوا شمعتين كبيرتين فسقطت في الليل على التأزير فاحترق وتعدت النار ".

لكن هل كان هذا الحادث قضاء وقدرا؟ أم هناك أيد خفية كانت من ورائه.

عند دراسة هذه الفترة من تاريخ الدولة العباسية أي في خلافة القادر بالله التي كانت الأوضاع بعهده مضطربة ومحفوفة بالمخاطر، لا سيما الفتن بين الشيعة والسنة تحركها الضغائن والأحقاد الدفينة، وكانت السلطة عاجزة عن صد تيار الفتنة الذي كان للعنصر التركي الدور الفعال فيها.

---

(١) أعيان الشيعة ١: ٦٢٨.

وكانت بغداد تشهد حوادث عنف متكررة بين الشيعة والسنة، حتى كانت السنة تعترض زوار العتبات المقدسة، وتفتك بهم، وقد ذكر ابن الأثير تلك الحوادث فقال: " واعترض أهل باب البصرة قوما من قم أرادوا زيارة مشهد علي والحسين (عليهما السلام) فقتلا منهم ثلاثة نفر، وامتنعت زيارة مشهد موسى بن جعفر " (١).

أما الفتنة التي حدثت في واسط بين الشيعة والسنة فقد وصف أبو الفرج ابن الجوزي هذه الحوادث بقوله: " اتصلت الفتنة بين الشيعة والسنة بواسط ونهبت محال الشيعة والزيدية بواسط وأحرقت، وهرب وجوه الشيعة والعلويين فقصدوا علي بن مزيد واستنصروه " (٢).

وظلت حوادث الفتن متصلة فبعد حريق الحائر الحسيني بعشرة أيام، وفي العشرين من ربيع الأول احترق أيضا حرم العسكريين بسامراء، واحترقت في نفس اليوم محلات الشيعة ببغداد في جانب الكرخ من محلة نهر طابق ومحلة دار قطن، وقسم من محلة باب البصرة، ثم امتدت الفتن لتشمل بيت الله الحرام، والمسجد النبوي، والبيت المقدس، إذ أنه في نفس اليوم تشعث الركن اليماني من البيت الحرام، وسقط حائر من بين يدي النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)، ووقعت القبة الكبرى على الصخرة
بالبيت المقدس " (٣).

وكان عهد القادر بالله يتسم بالفوضى وعدم استتباب الأمن لتسلط الأتراك على مقدرات الدولة، ففي حوادث سنة ٤١٧ ه يذكر أبو الفرج ابن الجوزي: " وفي هذه السنة كثر تسلط الأتراك ببغداد، فأكثروا مصادرات الناس،

---

(١) الكامل في التاريخ ٩: ٤٢٠.
(٢) المنتظم ٧: ٣٨٣.
(٣) المنتظم ٧: ٢٨٢.

وأخذوا الأموال، حتى أنهم قسطوا على الكرخ خاصة مائة ألف دينار، وعظم الخطب وزاد الشر، واحترقت المنازل والدروب والأسواق، ودخل في الطمع العيارون، فكانوا يدخلون على الرجل فيطالبونه بذخائره كما يفعل السلطان بمن يصادره، فعمل الناس الأبواب على الدروب فلم تفد شيئا، ووقعت الحرب بين الجند والعامة، فظفر الجند، ونهبوا الكرخ وغيره، فأخذوا منه مال جليل، وهلك أهل الشر والخير " (١).

وظلت أعمال العنف مستمرة والسلطة عاجزة عن إخماد تيار الفتن والاضطرابات، حتى مات القادر بالله وخلفه القائم بأمر الله سنة ٤٢٢ ه، ففي هذه السنة تجددت الفتنة ببغداد بين الشيعة والسنة كما يحدثنا ابن الأثير:

" مات القادر بالله وخلفه ابنه القائم بأمر الله، ففي هذه السنة (٤٢٢ ه) تجددت الفتنة ببغداد بين السنة والشيعة، ولما كان في الغد اجتمع أهل السنة من الجانبين، ومعهم كثير من الأتراك، وقصدوا الكرخ، فأحرقوا وهدموا الأسواق، وقتل من أهل الكرخ جماعة " (٢).

فأصبحت الشيعة في هذه الفترة عرضة للفتك والاضطهاد على يد أهل السنة، ومن ورائهم الأتراك يشدون من عضدهم الذين اصطدموا أيضا مع الديلم الشيعة في البصرة عام ٤٠٩ ه.

فكل هذه الحوادث وقعت في الفترة التي احترق فيها الحائر الحسيني، فربما كانت هناك أصابع اتهام تشير إلى مثيري الفتن والاضطرابات بين أهل السنة والشيعة.

---

(١) المصدر السابق ٧: ٣٥٣.

(٢) الكامل في التاريخ ٩: ٤١٨.

فلما كثرت أعمال الفتن وأختل الأمن أسند منصب الوزارة إلى رجل قدير من ذوي الخبرة والمقدرة السياسية إلا وهو ابن سهلان الرامهرمزي، الذي حاول جاهدا في تهدئة الأحوال، وإعادة الأمن، وإرجاع الطمأنينة والسكينة إلى النفوس، وكان ابن سهلان وزير السلطان البويهي الذي قال عنه أبو الفرج ابن الجوزي: " أبو محمد الحسن بن الفضل الرامهرمزي، خلع الوزارة من قبل سلطان الدولة، وهو الذي بنى سور الحائر بمشهد الحسين " (١).

فأول ما قام به أمر بتجديد بناء السور الخارجي للحائر، وأقام العمارة من جديد على القبر المطهر بأحسن ما كان عليه. فقد شاهد ابن بطوطة هذه العمارة عند رحلته إلى كربلاء سنة ٧٢٧ ه فقال:

" ثم سافرنا إلى مدينة كربلاء، مشهد الحسن بن علي (عليهما السلام)، وهي مدينة صغيرة تحفها حدائق النخيل، ويسقيها الفرات، والروضة المقدسة داخلها، وعليها مدرسة عظيمة وزاوية فيها الطعام للوارد والصادر، وعلى باب الروضة الحجاب والقومة، لا يدخل أحد إلا عن إذنهم، فيقبل العتبة الشريفة وهي من الفضة، وعلى الضريح المقدس قناديل الذهب والفضة، وعلى الأبواب أستار الحرير، وأهل هذه المدينة طائفتان، أولاد رخيك وأولاد فائز، وبينهما قتال أبدا، وهم جميعا إمامية يرجعون إلى أب واحد، ولأجل فتنتهم تخرت هذه المدينة " (٢).

وبعد انقراض دولة البويهين، جاء الدور السلجوقي في حكم العراق، وقد أبدوا السلاجقة اهتماما ملحوظا بالعتبات المقدسة، وكان على رأسهم السلطان ملك شاه السلجوقي الذي زار الحائر في سنة ٤٧٩ ه مع وزيره نظام الملك، فأمر

---

(١) المنتظم ٧: ٣٨٣.

(٢) رحلة ابن بطوطة ١: ٤٢٠.

بتعمير سور الحائر (١). وقد ذكر أبو الفرج ابن الجوزي في حوادث سنة ٥٢٩ ه فقال: " وفي سنة ٥٢٩ ه مضى إلى زيارة علي ومشهد الحسين (عليهما السلام) خلق لا
يحصون وظهر التشيع " (٢).
وفي سنة ٥٥٣ ه زار الخليفة المقتفي قبر الحسين (٣)، وتوالت الخلفاء بعده على زيارة العتبات المقدسة، فقد زاره الخليفة الناصر لدين الله، وكذلك الخليفة المستنصر الذي عمل ضريح الإمام علي (عليه السلام) وبالغ فيه، وزاره كذلك الخليفة المستعصم.

عمارة الحائر على يد الناصر لدين الله سنة ٦٢٠ ه

ظلت عمارة الحائر التي شيدها الوزير ابن سهلان الرامهرمزي على حالها إلى هذا التاريخ أي سنة ٦٢٠ ه، حيث لم يتعرض الحائر (٤٠٧ - ٦٢٠) إلى الهدم أو التخريب، ما عدا ما كان من أمر المسترشد بالله في سنة ٥٢٦ ه، فإنه كان في حاجة للأموال لغرض صرفها على الجند، فامتدت يده الخبيثة لسلب الحائر من أمواله وموقوفاته لينفقه على عساكره، وقد ذكر هذه الحادثة ابن شهرآشوب حيث قال: " أخذ المسترشد من مال الحائر وكربلاء، وقال: إن القبر لا يحتاج إلى الخزانة وأنفق على العسكر، فلما خرج قتل هو وابنه الراشد " (٤).

---

(١) المنتظم ٩: ٢٩.
(٢) المصدر السابق ١٠: ٥٣.
(٣) المصدر السابق ١٠: ١٨١.
(٤) المناقب ١: ٣٣٧، العوالم ١٧: ٧٣٢.
كان المسترشد يستعد بتجهيز جيوشه وعساكره لمحاربة مسعود أخو سلجوقشاه في أواخر سنة ٥٢٦ ه، وقد شنت بينهم معركة دامية خسر فيها المسترشد وقد وقع أسيرا بيد عدوه، وقد هجمت عليه جماعة من الباطنية عندما كان محجوزا في خيمته ففتكوا به.

إلا أنه لم يتعرض للقبر بسوء وظلت عمارة الوزير ابن سهلان إلى أيام الخليفة الناصر لدين الله الذي دام حكمه ٤٧ سنة (٥٧٥ - ٦٢٢ ه)، وقد كان الناصر يتشيع ويميل إلى مذهب الإمامية، وقد جعل مشهد الإمام موسى الكاظم (عليه السلام) آمنا لمن لاذ به، فكان الناس يلتجأون إليه في حاجاتهم ومهماتهم وجرائمهم، فيقضي الناصر لهم حوائجهم، ويسعفهم فيما أهمهم، ويعفو عن جرائمهم (١).

وفي عهده كربلاء والعتبات المقدسة، وأمر وزيره مؤيد الدين محمد المقدادي العلقمي أن يقوم بإصلاح شؤون الحائر، فقام الوزير في سنة ٦٢٠ ه بتشييد القبر المطهر، فشيد ذلك المقام الرفيع، وكسا جدران الروضة بأخشاب الساج وزينه بالحرير الموشي والديباج (٢).

الحائر في العهد المغولي

بعد سقوط الدولة العباسية عام ٦٥٦ ه على يد هولاكو، ودخوله بغداد، وما أحدثه من دمار شامل وقتل ذريع، كتب عدد من شخصيات الشيعة إلى هولاكو يسألونه الأمان، فوافق هولاكو على إعطائهم الأمان، بعد أن أخذت جحافل المغول تغزو مدن الفرات الأوسط والجنوب، حتى استسلمت أكثر مدن العراق من دون أية مقاومة تذكر بعد انهيار جيش الخليفة العباسي واحتلال بغداد.

وفي سبب سلامة الكوفة والحلة والمشهدين الشريفين كما جاء عن الداودي قال:

" إن مجد الدين محمد بن طاووس خرج إلى هولاكو وصنف له كتاب (بشارة

---

(١) تاريخ كربلاء: ١٨٣.

(٢) تاريخ كربلاء: ١٨٤.

المصطفى)، وسلم الحلة والنيل والمشهدين الشريفين من القتل والنهب، ورد عليه حكم النقابة بالبلاد الفراتية " (١).

لقد اهتم المغول بالمشهدين الشريفين، فقد استطاع السلطان أرغون بن إباقا خان بن هولاكو المعروف بحبه لآل البيت (عليهم السلام) في بذل السعي المحمود في حفره

نهر جديد يخرج من الفرات ليسقي سهل كربلاء، وسمي هذا النهر (الغازاني الأعلى) تميزا لنهرين آخرين حفرهما غازان أيضا (٢)، وفي حوادث سنة ٦٦٨ ه يحدثنا ابن الفوطي بقوله: " وفي سنة ثمان وستون وستمائة توجه السلطان غازان إلى الحلة، وقصد زيارة المشاهد الشريفة، وأمر للعلويين والمقيمين بمال كثير، ثم أمر بحفر نهر من أعلى الحلة فحفر وسمي بالغازاني، وتولى ذلك شمس الدين صواب الخادم سكورجي وغرس الدولة " (٣).

ثم جاء أولجياتو محمد خدابنده خلفا لأخيه غازان الذي وافاه الأجل سنة ٧٠٣ ه، وكان هو الآخر مهتما بالعمران وبناء المدن واقتفى أثر أخيه واهتمامه بالمشاهد وبالعلويين، وقد اعتنق أولجياتو المذهب الشيعي على يد العلامة الحلي الحسن بن يوسف بن المطهر على أثر زيارته للنجف الأشرف (٤).

عمارة الحائر على يد أويس الجلائري سنة ٧٦٧ ه

أما عمارة القبر الموجودة حاليا فقد تمت في عهد السلطان أويس الاليخاني الجلائري، ثم أتم بناءه بعده ولداه السلطان حسين والسلطان أحمد، وشيدا البهو

---

(١) عمدة الطالب: ١٧٨.
(٢) تراث كربلاء: ٤٢.
(٣) الحوادث الجامعة: ٤٩٧.
(٤) روضات الجنات ٢: ٢٧٩.

الإمامي المعروف بإيوان الذهب، أما الرواق الغربي للروضة فقد شيده عمران بن شاهين كما مر بنا، ويعرف اليوم برواق السيد إبراهيم المجاب، ويطلق على الرواق الشرقي برواق انما باقر البهبهاني شيخ الطائفة في عصره، وعلى قبره صندوق خشبي بديع الصنع، وفي الواجهة الإمامية للروضة رواق حبيب بن مظاهر الأسدي.

أما الرواق الشمالي للروضة فيعرف برواق الشاه نسبة إلى وجود مقبرة بعض الملوك القاجاريين، ويقع خلف مسجد عمران بن شاهين (١).

بقي الحائر الحسيني مصونا من الهدم والتخريب على الرغم من تعرض العراق بعد انقراض دولة بني العباس إلى الاحتلال الأجنبي، وتعاقب الدويلات على حكمه، وكان المحتلون على مختلف طبقاتهم يكنون الود والمحبة لهذا الصرح الشامخ، فيهرعون لعمارته وإصلاحه بما يتناسب ومكانته السامية في نفوس المسلمين، فيعظمونه أجل التعظيم، حتى اتخذه بعضهم مقرا أبديا لموتاهم حيث يطمعون في ذلك بالنجاة في يوم لا ينفع مال ولا بنون.

ومن ذلك الحين أصبح الحائر الحسيني غرة في جبين الزمان، وصرحا شاهدا على جرائم الطغاة والظلمة على مر العصور. ولم تمتد إليه يد العبث والتخريب، إلا في حالات نهب أو سرقة تحدث بين فترة وأخرى، فقد تعرض الحائر المقدس للنهب على يد المشعشعين في سنة ٨٥٨ ه أي في النصف الأخير من القرن التاسع، وكان هؤلاء من الغلاة، وكان رئيسهم محمد بن فلاح الذي استطاع أن يبسط نفوذه على جميع الأهواز وأحرق الحجر الدائر على قبة الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وجعل القبة مطبخا للطعام وكان يقول: إنه رب والرب

---

(١) تراث كربلاء: ٤٣.

لا يموت.
ثم استولى على الأمور ابنه علي الذي ادعى بأنه قد حلت فيه روح أمير المؤمنين (عليه السلام) وأن عليا حي، فأغار بجيشه على العراق ونهب المشاهد المشرفة،
وأساء الأدب إلى العتبات المقدسة، وقد عجز الأب عن إصلاحه وتأديبه، وكلما احتج الأمراء والملوك على أعمال ولده كان يظهر لهم العجز في الرسائل التي تبودلت بينهم، ولم يكتف بهذا الحد على ما يروى فقد ادعى الألوهية (١)، وكان ذلك في سنة ٨٥٨ ه، وقد عاش علي بن محمد بن فلاح على هذه السيرة إلى أن قتل بسهم أصابه في حصاره لقلعة بهبهان في سنة ٨٦١ ه، فنال بذلك بعد ثلاث سنوات جزاء ما ارتكبه نحو الحائر المقدس (٢).

الحائر المقدس في العهد الصفوي

استطاع الشاه إسماعيل الصفوي بالقضاء على دولة الآق قوينلو التركمانية التي حكمت العراق، وكان سقوط بغداد على يد الشاه إسماعيل في سنة ٩١٤ ه، فذهب في اليوم الثاني من دخوله بغداد إلى زيارة العتبات المقدسة في كربلاء والنجف، ثم أمر بتذهيب حواشي الضريح الحسيني، وأهدى اثني عشر قنديلا من الذهب، كما أهدى الشاه نفسه شبكة فضية أي صندوقا بديع الصنع للحائر المقدس، ويظهر أن الصندوق الذي أمر به الشاه إسماعيل لم يتم إلا في عام ٩٣٢ ه (٣). ويذكر عباس العزاوي عن حوادث ٩١٤ ه فيقول: " وفي اليوم التالي (أي في ٢٦ جمادى الثانية) ذهب الشاه إسماعيل إلى زيارة كربلاء المشرفة وصنع

---

(١) تاريخ كربلاء: ٢٢٨ عن مجالس المؤمنين: ٤٠٤.
(٢) تاريخ كربلاء: ٢٢٩.
(٣) تراث كربلاء: ٤٤.

الصندوق المذهب للحضرة، ووقف فيه اثني عشر قنديلا من الذهب، وفرش الرواق بأنواع المفروشات القيمة، واعتكف هناك ليلة ثم رجع في اليوم التالي متوجها إلى الحلة ومنها إلى النجف " (١).

وقد جاء أيضا عن زيارته لكربلاء، وما قام به من خدمات جليلة للروضة المقدسة، والسكان المجاورين في تاريخ حبيب السير ذكر المرحوم الدكتور عبد الجواد الكليدار: " بعد أن تم فتح بغداد ودخلها الشاه إسماعيل منتصرا في ٢٥ جمادي الثاني سنة ٩١٤ ه بين هتاف الاهلين، ففزع في اليوم الثاني على طواف العتبات المقدسة، فتوجه إلى كربلاء، وعند الوصول إليها أدى مراسم الزيارة بكل دقة، وراعى شروط التشرف بكل احترام، فقبل العتبة المقدسة بخشوع وورع تام، ومرغ خديه على تراب تلك العتبة السامية، مناجيا روح سيد الشهداء عليه آلاف التحية والثناء، ومستمدا النصر من الله تعالى ".

فأنعم على مجاوري الروضة المنورة بأنواع الهدايا، وكسا الصندوق القبر الشريف بأثواب من أفخر أنواع الحرير المزركش والموشي بالذهب والفضة، ونصب فوق القبر المطهر اثني عشر قنديلا أفخر من الذهب الخالص تتلألأ كل واحدة منها كالشمس في رابعة النهار، وفرش الروضة الشريفة بأنواع البسط الحريرية البديعة والدقيقة الصنع، وأقام الولائم الملوكية الفاخرة لسدنة الحرم المقدس وخدامه.

وقد قضى ذلك الملك العلوي العظيم ليلة كاملة من أولها إلى طلوع الشمس وهو معتكف في الحائر مكبا على قبر جده الحسين (عليه السلام) ثم يصف زيارة الشاه للنجف الأشرف، والكاظمية وسامراء فيقول: " وعند العودة إلى بغداد انصرف الشاه

---

(١) تاريخ العراق بين احتلالين: ٤٤.

مرة أخرى إلى تعظيم العتبات المقدسة وتجليلها، فقرر أن يكون لكل واحدة منها (نقارة خانه) تقوم بأداء التحية الملكية لتلك المشاهد صباحا ومساء على نمط بلاط الملوك وقصورهم كما هو جار لحد الآن بمشهد الرضا (عليه السلام)، ثم أمر بتجميع نخبة
ممتازة من البارعين في صناعة الفسيفساء (الخاتم) بالتنبيت والتطعيم في الخشب من أطراف البلاد، فأمر بصنع ستة صناديق خاتم من الفسيفساء مزينة بالنقوش الاسليمية والختائية لمراقد الأئمة في كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء بدلا من صناديقها القديمة " (١).
وفي سنة ٩٨٤ ه مات الشاه طهماسب الصفوي مسموما وخلفه ابنه
إسماعيل مرزا الذي كان سجينا في قلعة الموت، وفي هذه الأيام صدرت الإدارة الهمايونية بتعيين علي باشا واليا على بغداد، وبأمر من السلطان شيد ضريح سيد شباب أهل الجنة (عليه السلام) وكذلك شيد المسجد والرواق والقبة، وعمر أيضا قباب شهداء
كربلاء.
وقد أمرت زوجة نادر شاه كريمة السلطان حسين الصفوي بتعمير المسجد المطهر عام ١١٥٣ ه، وأنفقت لذلك أموالا طائلة (٢).
أما في العهد القاجاري تم تذهيب قبة الحسين (عليه السلام) ثلاث مرات، فقام السلطان انما محمد خان مؤسس الدولة القاجارية في إيران بتذهيب القبة سنة ١٢٠٧ ه.
أما التذهيب الثاني فقد حصل في عهد السلطان فتح علي شاه القاجاري، لأن التذهيب كان أسود فكتب إليه أهالي كربلاء بذلك، فأمر الشاه بقلع الأحجار الذهبية

---

(١) تاريخ كربلاء: ٢٥٣ - ٢٥٤.
(٢) تراث كربلاء: ٤٤ - ٤٥.

القديمة واستبدالها بالذهب الجديد، كما أنه أهدى شبكة فضية بتاريخ ١٢١٤ ه وهي إلى اليوم ما زالت موجودة على القبر الشريف، وفي هذا الدور تبرعت زوجته بتذهيب المأذنتين (١).

أما التذهيب الثالث للقبة السامية ذكره المرحوم عبد الجواد الكليدار، حيث قال:

كما تجده مكتوبا على القسم الأسفل من القبة السامية فوق الشبابيك المطلة على داخل الروضة بسطر من ذهب في ضمن الآيات القرآنية المكتوبة في الكتيبة من حول القبة، وكذلك توسيع الصحن من ناحية الغرب وتشييد الجامع الناصري العظيم فوق الرأس فكان كله على عهد ناصر الدين حفيد فتح علي شاه وذلك في أوائل الربع الأخير من القرن الثالث عشر الهجري، وذلك أن الشاه في سنة ١٢٧٦ ه وجه كبير علماء إيران المرحوم الشيخ عبد الحسين الطهراني (رحمه الله) بأموال طائلة إلى كربلاء لإجراء ما يلزم للعتبات المقدسة من الإصلاح والتجديد والتعمير (٢).

الوهابيون والحائر الحسيني

بعد ظهور بدعة محمد بن عبد الوهاب (٣)، وانتشار مذهب الوهابية في

---

(١) تراث كربلاء: ٤٥.

(٢) تاريخ كربلاء: ٢٦٤.

(٣) وهو محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي المولود سنة ١١١١ ه، نشأ في نجد وقرأ الفقه على مذهب أحمد بن حنبل، وتلقى دروسه في كليات بغداد الدينية، فأتيح له أن يجلب الأخطار العظيمة على هذه البلاد التي أقام فيها، وانتقل من بغداد إلى المدينة ثم إلى عونية في نجد، ثم اضطر أخيرا إلى الفرار من هناك فالتجأ إلى الأمير محمد بن سعود في الدرعية، فاستقام عنده واستولى على لبه سنة بعد أخرى فكانت من ذلك أن اتحدت قواهما الدينية والدنيوية، وبعد وفاة محمد بن سعود الذي خلفه سعود بن عبد العزيز سنة ١١٧٩ ه التي كانت في أيامه الهجمات على النجف وكربلاء، ولم تزل رئاسة الوهابية في بيتهم إلى هذا اليوم، وقد ألف الأعلام في ترجمة الوهابيين وأفعالهم الوحشية البربرية مؤلفات عديدة ضيع أكثرها. انظر: ماضي النجف ١: ٣٢٤، تاريخ كربلاء: ٢٣٤.

طائفة (عنزة)، أعتنق هذا المذهب سعود بن عبد العزيز الذي به عظمت شوكة الوهابيين (١). والأمير سعود الذي ملك الحرمين المطهرين، وهدم مقابر أئمة البقيع وتصرف في دين الله، كان على مذهب الحنبلي، وينكر القياس وأهله (٢).

وقد لاقت تعاليم محمد بن عبد الوهاب بين عرب نجد قبولا حسنا، والتي جاءت موافقة لميول أمة بدوية تعيش على الفطرة معتمدة على الغزو في معيشتها، وكذلك لاقت قبولا حسنا من محمد بن سعود أميرهم.

وفي سنة ١١٧٩ ه مات الأمير فاستخلف عبد العزيز بن سعود، وما حلت سنة ١١٨٩ ه حتى كان ابن سعود هذا ذا قوة عظيمة في الجزيرة، فأصبحت من ذلك الحين تعرف إمبراطورية ابن سعود النجدية بالعقيدة الوهابية (٣).

أما ما يتعلق بالهجمة البربرية التي شنتها الفرقة الوهابية الضالة سنة ١٢١٦ ه على مدينة كربلاء، يظهر أن هناك جذور حقد وكراهية زرعتها هذه الفرقة الضالة في نفوس أتباعها تجاه مذهب أهل البيت (عليهم السلام) بشكل خاص والتشيع بشكل عام

قبل أن يرتكبوا جريمتهم الشنعاء بحق الضريح المقدس للإمام الحسين (عليه السلام) وبحق

أهالي كربلاء الآمنين، فيذكر صاحب غرائب الأثر عن وقوع حادثة لأتباع هذه الفرقة المنحرفة في مدينة النجف سنة ١٢١٤ ه، فيقول:

---

(١) ماضي النجف ١: ٣٢٤.

(٢) روضات الجنات ٤: ١٩٨.

(٣) تاريخ كربلاء: ٢٣٣ - ٢٣٤.

كانت تأتي قوافل من نجد إلى العراق ومعها رجال من عرب الوهابية، فقدمت قافلة في سنة ١٢١٤ ه فباعت القافلة ما عندها في بغداد وحملت ما أرادت وعزمت المسير إلى بلادها، وتوجه معها من العراق بقصد الحج جماعة، وساروا حتى وصلوا المشهد فوجدوا هناك فرقة من الخزاعل فنظر فوارس الوهابية إلى أمير الخزاعل يقبل عتبة باب حجرة الإمام علي (رضي الله عنه) فحملوا عليه فقتلوه، ودام القتال
ثلاث ساعات، وقتل وجرح من جماعة الوهابية مائة رجل ومثلهم من عرب الخزاعل، ونهبت أموال الحاج العراقي وجمال الوهابيين وخيلهم، وتوجه إلى نجد من سلم وعاد إلى بغداد الحاج العراقي.
هذه الحادثة هي التي غرست بذور الشحناء والعداوة عند الوهابيين، علاوة على ما عليه الوهابية من النصب والبغضاء لكل مسلم، ويرونه خارجا عن الدين، نازحا عن الإسلام.
وبعد هذه الحادثة كانت الغارات الوهابية تشن على كربلاء والحدود العراقية بوجه عام في نهاية القرن الثامن عشر، وأوائل القرن التاسع عشر.
ففي سنة ١٢١٦ ه تعرضت كربلاء والحرم الحسيني لهجمة بربرية قامت بها الجماعة الوهابية بقيادة سعود بن عبد العزيز، الذي استغل ذهاب معظم أهالي كربلاء إلى النجف الأشرف لزيارة ضريح أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في
يوم الغدير.
وكان سعود بن عبد العزيز على رأس قوة كبيرة جمعها من نجد والعشائر والجنوب وتهامة وغيرها، وكانت تقدر باثني عشر ألف، وقصدوا بها العراق، وتمكن جماعة من هذه القوة من الوصول إلى بلدة كربلاء في شهر ذي القعدة من هذه السنة، وحاصروها، وتسوروا جدرانها ودخلوا عنوة، وقتلوا أكثر أهلها في

الأسواق والبيوت (١)، فذبحوا ما يزيد على ثلاثة آلاف من السكان، ونهبوا البيوت والأسواق ونفائس الضريح المقدس، وقد أخذوا على الأخص صفائح الذهب بعد أن اقتلعوها من مكانها، ثم هدموا الضريح المطهر (٢).

وقد ذكرت هذه الحادثة في كثير من المراجع الغربية والشرقية، على أن أهم من أشار إليها وتطرق بالتفصيل لها دائرة المعارف الإسلامية، والمستر لونكريك في كتابه المعروف عن تاريخ العراق الحديث (أربعة قرون من تاريخ العراق).

وقد أسهب لونكريك في ذكر هذه النكبة ووصفها، نذكرها نقلا عن موسوعة العتبات المقدسة فهو يقول:

" على أن الفاجعة الكبرى كانت على قاب قوسين أو أدنى، تلك الفاجعة التي دلت على منتهى القسوة والهمجية والطمع الاشعبي، واستعملت باسم الدين.

فقد حدث في أوائل سنة ١٨٠١ أن تفشى الطاعون في بغداد، فاضطر الباشا (سلمان باشا الكبير) وحاشيته للالتجاء إلى الخالص حيث ابتعد عن منطقة المرض.

وما استتب حاله هناك حتى فوجئ بنبأ من المنتفك علم أن القوات الوهابية تحركت للغزو الربيعي المعتاد، فأرسل الكهية إلى الهندية، إلا أنه ما كاد يغادر بغداد حتى وافت أخبار هجوم الوهابيين على كربلاء ونهبهم إياها، وهي أقدس المدن الشيعية وأغناها، إذ انتشر خبر اقتراب الوهابيين في عشية اليوم الثاني من نيسان عندما كان معظم سكان البلدة في النجف يقومون بأداء الزيارة، فسارع من كان في المدينة لإغلاق الأبواب، غير أن الوهابيين وقد قدروا بستمائة هجان وأربع مائة فارس نزلوا وقسموا قوتهم إلى ثلاثة أقسام، ومن ظل أحد الخانات هاجموا أقرب

---

(١) تاريخ المملكة العربية السعودية: ٧٣.

(٢) موسوعة العتبات المقدسة ٨: ٢٧١.

باب من أبواب البلدة فتمكنوا من فتحه عنوة ودخلوا، فدهش السكان وأصبحوا يفرون على غير هدى أي كيف شاء خوفهم.
أما الوهابيون الخشن فقد شقوا طريقهم إلى الأضرحة المقدسة وأخذوا يخربونها، فاقتلعت القضب المعدنية والسياج ثم المرايا الجسيمة، ونهبت النفائس والحاجات الثمينة من هدايا الباشوات وملوك الفرس والأمراء، وكذلك سلبت زخارف الجدران وقلع ذهب السقوف، وأخذت الشمعدانات والسجاد الفاخر والمعلقات الثمينة والأبواب المرصعة، وجميع ما وجد من هذا الضرب فسحبت إلى الخارج، وقتل زيادة على هذه الأفاعيل قراب خمسين شخصا من القرب من الضريح في الصحن.
أما البلدة نفسها فقد عاث الغزاة المتوحشون فيها فسادا وتخريبا، وقتلوا من دون رحمة جميع من صادفوه كما سرقوا كل دار، ولم يرحموا الشيخ ولا الطفل، ولم يحترموا النساء ولا الرجال، فلم يسلم الكل من وحشيتهم ولا من أسرهم.
ولقد قدر بعضهم عدد القتلى بألف نسمة، وقدر الآخرون خمسة أضعاف ذلك.
ولم يجد وصول الكهية إلى كربلاء نفعا، فقد جمع جيشه فيها وفي الحلة والكفل ونقل خزائن النجف الأشرف إلى بغداد، ثم حصن كربلاء نفسها بسور خاص، وعلى هذا لم يقم بأي انتقام للفعلة الشنيعة الأخيرة التي قام بها العدو الذي لا يدرك، وقد كان ذلك الحادث الأليم للباشا الشيخ في عمره هذا صدمة مميتة، وانتشر الرعب والفزع في جميع أنحاء تركيا وإيران. وبذلك رجع وحوش نجد الكواسر إلى مواطنهم ثقالا على إبلهم التي حملت بنفائس لا تثمن " (١).
وأرتحل القوم بعدها إلى الماء المعروف باسم (الأبيض) فجمع سعود الغنائم

---

(١) موسوعة العتبات المقدسة ٨: ٢٧١ - ٢٧٢.

وعزل خمسها وقسم الباقي بين جنوده للراجل سهم، وللفارس سهمان، ثم عاد إلى وطنه (١).

أما ما ذكرته بعض المراجع العربية تؤيد هذا الوصف وتزيد عليه، ما جاء في تاريخ كربلاء المعلى وذكره الأستاذ جعفر الخياط في بحثه في موسوعات العتبات المقدسة إذ تقول الرواية: " حتى إذا جاءت سنة ١٢١٦ للهجرة جهز الأمير سعود الوهابي جيشا عرمرما يتألف من عشرين ألف مقاتل، وهجم بهم على مدينة كربلاء، فدخل المدينة بعد أن ضيق عليها وقاتل حاميتها وسكانها قتالا شديدا، وكان سور المدينة مركبا من أفلاك نخيل مرصوصة خلف حائط من طين، وقد ارتكب فيها من الفضائح ما لا يوصف، حتى قيل إنه قتل في ليلة واحدة عشرين ألف نسمة.

وبعد أن تم الأمير سعود مهمته، التف نحو خزائن القبر، وكانت مشحونة بالأموال الوفيرة وكل شئ نفيس، فأخذ كل ما وجد فيها، وقيل أنه فتح كنزا كان في جمة جمعت من الزوار، وكان من جملة ما أخذه لؤلؤة كبيرة وعشرون سيفا محلاة جميعا بالذهب ومرصعة بالحجارة الكريمة، وأوان ذهبية وفضية وفيروز والماس.

وقيل من جملة ما نهبه سعود أثاث الروضة وفرشها، منها أربعة آلاف شال كشمير وألفا سيف فضة وكثير من البنادق والأسلحة، وقد صارت كربلاء بعد هذه الواقعة في حال يرثى لها، وقد عاد إليها بعد هذه الحادثة من نجا بنفسه فأصلح بعض خرابها وعاد إليها العمران رويدا رويدا. وقد زارها في أوائل القرن التاسع أحد ملوك الهند فأشفق على حالتها، وبنى فيها أسواقا حسنة، وبيوتا قوراء أسكنها بعض من نكبوا، وبنى للبلدة سورا حصينا لصد هجمات الأعداء، وأقام حولها

---

(١) تاريخ المملكة العربية السعودية: ٧٣.

الأبراج والمعاقل، ونصب عليها آلات الدفاع من الطراز القديم " (١).
ومن جملة ما قتله الوهابيون المولى عبد الصمد الهمداني، ذكر ذلك صاحب روضات الجنات حيث قال:
" وقد توفي بالشهادة على أيدي الوهابية الملعونة، بعد ما أخرج من بيته بطرق الحيلة، وتاريخ ذلك القتل بكربلاء في يوم الأربعاء الثامن عشر الذي هو عيد الغدير، من شهور سنة ستة عشرة ومائتين بعد الألف من الهجرة المباركة " (٢).
وقد أرخ الشيخ محمد السماوي هذه الحادثة بأرجوزة شعرية، فقال (٣):
فشد لا يثني هواه الثاني * ومزق الكتاب والمثاني
وهدم الشباك والرواقا * واستلبت الحلي والأعلاقا
وقتل النساء والأطفالا * إذ لم يجد في كربلاء رجالا
لأنهم زاروا الغدير قصدا * فأرخوه بغدير عدا

منارة العبد (٤)

شيدت منارة العبد سنة ٧٦٧ ه في مؤخرة الحرم الحسيني في الجانب

---

(١) موسوعة العتبات المقدسة ٨: ٢٧٣ - ٢٧٤.
(٢) روضات الجنات ٤: ١٩٨.
(٣) مجالي اللطف بأرض الطف: ٤٢.
(٤) يقول الأستاذ جعفر الخليلي في كون تسميتها بمنارة العبد " ومن الخطأ الشائع أن زنجيا قد ألقى بنفسه من أعلى المنارة منتحرا فسميت هذه المنارة باسمه، وإنه من الجائر أن يكون هناك من ألقى بنفسه من هذه المنارة منتحرا، أو أن زنجيا شحاذا جمع المال من الشحاذة وبنى به المنارة، أما سبب التمييز فهو من الأخطاء الشائعة بين العوام، والأبيات الواردة عن تأريخ هذه المنارة مأخوذة من (مجالي اللطف بأرض الطف) وهو الجزء الثاني من أرجوزة الشيخ محمد السماوي المتضمنة تأريخ العتبات الأربع، وقد وضع لكل حادثة تأريخا بحساب الجمل، كما هو الحال في حكمه (خنصر الإصبع) البالغ مجموعها ٩٨٢ سنة. موسوعة العتبات المقدسة ٨: ٢٦٨.

الشرقي من الصحن، وكانت تسمى (انگوشتي يار) أي إصبع التابع المحب، والمقصود بذلك كما قال الخليلي: " إن هذا أثر لا يزيد على إصبع ويشير إلى ولاء أحد الموالين والمحبين " (١).

وقد وصفها المرحوم الدكتور عبد الجواد الكليدار بقوله: " وكانت مئذنة جبارة أعظم وأفخم من كل المآذن الموجودة في العتبات المقدسة من كربلاء والنجف والكاظمية وسامراء، ومن حيث الفخامة في الأبنية التاريخية كانت هي الثانية في العراق بعد (ملوية) المتوكل وجامعة سامراء.

فكان يبلغ قطر قاعدتها عشرين مترا تقريبا، وارتفاعها أربعين مترا، مكسوة بالفسيفساء والكاشاني الاثاري البديع الصنع، مما يندر في وجودهما جدا في هذا اليوم في بقية الآثار التاريخية القديمة، إن كان في العراق أو إيران " (٢).

ومنارة العبد هذه هي مأذنة مرجان (مشيد جامع مرجان في بغداد) عبد السلطان أويس الجلائري، الذي عينه السلطان الجلائري واليا على بغداد، فرفع راية العصيان ضده واستبد ببغداد، حتى اضطر السلطان أويس أن يسير إليه بجيش من تبريز فيقضي على حركته، ولما علم أنصاره بقدوم السلطان أويس لمحاربته تفرقوا عنه. وحينما فشلت محاولته التجأ إلى كربلاء واستجار بحرم الإمام الحسين (عليه السلام).

فلما علم أويس بذلك صفح عنه ثم استدعاه إليه فأكرمه وأعاده إلى وظيفته واليا على العراق من جديد، وكان حين استجار بالضريح المقدس، قد نذر أن يبني مئذنة خاصة في الصحن الحسيني الشريف إذا خرج ناجيا من الغمة. ففعل ذلك وبنى حولها مسجدا خاصا، ثم أجرى لهما من أملاكه في كربلاء وبغداد وعين التمر

---

(١) موسوعة العتبات المقدسة ٨: ٣٦٦.

(٢) تاريخ كربلاء: ٢٤١.

والرحالية أوقافا يصرف واردها على المسجد والمئذنة، وأصبحت تلك الأملاك الموقوفة أوقافا حسينية من ذلك الوقت (١).

لقد مرت مئذنة العبد بإصلاحات على يد الشاه طهماسب الصفوية في سنة ٩٨٢ ه من ضمن ما قام به من الإصلاحات والتعمير للحائر المقدس في تلك السنة وتوسيع الصحن من الجهة الشمالية منه (٢).

وقد أرخ الشيخ محمد السماوي هذا العمل الخير بأرجوزة شعرية (٣):

ثم تداعى ظاهر المنارة * للعبد واستدعى له العمارة
فمد كفه لها طهماسب * وعمرت بمالها يناسب
وأرخت بين عجم وعرب * (انگشت يار) تعني (خنصر المحب)

بقيت مئذنة العبد حوالي ستة قرون سالمة من يوم تشييدها سنة ٧٦٧ ه إلى ١٣٥٤ ه - ١٩٣٧ م، وهي آخر سنة من عمرها حتى هدمت عن جهل وعدم تقدير قيمتها التاريخية، والسبب هو بحجة ميلانها وتعرضها إلى الانهدام، وكانت متينة البنيان قطر قاعدتها حوالي ٢٠ متر وترتفع حوالي ٤٠ متر، كما كانت مزينة بالفسيفساء النادر والقاشاني البديع (٤).

* * *

---

(١) موسوعة العتبات المقدسة ٨: ٣٦٦.
(٢) تاريخ كربلاء: ٢٤٢.
(٣) موسوعة العتبات المقدسة ٨: ٢٦٧.
(٤) تراث كربلاء: ٦١.

رأس الحسين (عليه السلام)

لقد شكل مصرع الحسين (عليه السلام) مع الأيام نقطة تحول عظمي في تاريخ الأمة الإسلامية.

وإذا كانت السلطة الأموية تهدف من وراء الجريمة الشنعاء التي ارتكبتها في تصفية آل الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم) في كربلاء وأزالتهم من الوجود، حتى يحلو لهم التحكم برقاب المسلمين بالجور والظلم، فقد ذهبت جميع هذه الأماني أدراج الرياح، ولم يجنوا منها غير الخزي والعار.

ثم بعد ذلك حاولوا طمس القبر الشريف، فاستخدموا شتى وسائل الترهيب والتخويف، ومن بعدهم السلطة العباسية التي حذت نفس النهج الأموي.

وهكذا كان الحال مع الرأس الشريف، فكل المحاولات التي استخدمت في طمس آثاره باءت بالفشل.

وكانت العناية الإلهية تتعقب الرأس الشريف في كل موضع حل فيه، حتى كتب لهذا الرأس الشريف أن يظهر للوجود، سواء في عاصمة الدولة الأموية أو في الرقة أو القاهرة أو عسقلان، وكل فريق يعتز ويفتخر بمدفن الرأس في أرضه.

وإذا كان الأمويون يسعون في فعلتهم هذه من التنكيل بالعترة الطاهرة وطمس آثارهم، لكن دائرة السوء كانت عليهم هذه المرة، فأصبحوا في خبر كان تلاحقهم اللعنات، ويشيد للرأس الشريف بنيانا في عاصمة أعدائه ليبقى شاهدا

على خسة ونذالة آل أمية إلى يوم يبعثون.
اختلفت الرواة في مسألة دفن الرأس الشريف على أقوال:
أو لا – عند أبيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) بالنجف معه إلى جهة رأسه الشريف، ذهبت إليه بعض علماء الشيعة، استنادا إلى أخبار وردت عن الإمام الصادق (عليه السلام).
ففي رواية أبي فرج السندي، قال: كنت مع أبي عبد الله جعفر بن محمد حين قدم إلى الحيرة، فقال ليلة: أسرجوا لي البغل، فركب وأنا معه حتى انتهينا إلى الظهر، فنزل فصلى ركعتين، ثم تنحى فصلى ركعتين.
فقلت: جعلت فداك، إني رأيتك صليت في ثلاث مواضع!
فقال: أما الأول فموضع قبر أمير المؤمنين (عليه السلام)، والثاني موضع رأس الحسين والثالث موضع منبر القائم (١).
وفي رواية أبان بن تغلب عن الإمام الصادق (عليه السلام) وذكر مثل الحديث (٢).
وبالإسناد عن يزيد بن طلحة، قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام) وهو بالحيرة: أما تريد ما وعدتك؟ قال: قلت: بلى، يعني الذهاب إلى قبر أمير المؤمنين (عليه السلام)، قال:
فركب وركب إسماعيل [ابن الإمام الصادق (عليه السلام)] معه وركبت معهم، حتى إذا جاز
الثوية، وكان بين الحيرة والنجف عند ذكوات بيض، فنزل ونزل إسماعيل ونزلت معهم، فصلى ركعتين وصلى إسماعيل وصليت، فقال لإسماعيل: قم فسلم على جدك الحسين، فقلت: جعلت فداك أليس الحسين بكربلاء؟!
فقال: نعم، ولكن لما حمل رأسه إلى الشام سرقه مولى لنا ودفنه بجنب أمير

---

(١) أنظر أعيان الشيعة ١: ٥٣٥، بحار الأنوار ١٠٠: ٢٤٦ ح ٣٤.
(٢) راجع الكافي ٤: ٥٧١، حلية الأبرار ٢: ٦٣٨، الوسائل ١٤: ٤٠١.

المؤمنين (عليه السلام) (١).
وبالإسناد عن عمر بن عبد الله بن طلحة النهدي، عن أبيه، وذكر مثل الحديث، إلا أنه قال: ولكن (فلان) مولى لنا سرقه فجاء به فدفنه هاهنا.
ثانيا - إنه مدفون مع جسده، رده علي بن الحسين (عليه السلام) عند رجوعه مع الأسارى من الشام.
ثالثا - إنه دفن عند قبر أمة فاطمة (عليها السلام) (٢)، قال ابن سعد، لما وصل إلى المدينة كان سعيد بن العاص واليا عليها، فوضعه بين يديه، وأخذ بأرنبة أنفه، ثم أمر به فكفن ودفن عند أمه فاطمة (عليها السلام).
وذكر الشعبي: إن مروان بن الحكم كان بالمدينة، فأخذه وتركه بين يديه، وتناول أرنبة أنفه، وقال:
يا حبذا بردك في اليدين * ولونك الأحمر في الخدين
والله لكأني أنظر إلى أيام عثمان!
وقال ابن الكلبي: سمع سعيد بن العاص، أو عمرو بن سعيد، الضجة من دور بني هاشم فقال:
عجت نساء بني زياد عجة * كعجيج نسوتنا غداة الأرنب
وروى أن مروان أنشد:
ضرب الدهر وسر فيهم ضربة * أثبتت أوتاد ملك فاستقر
ويؤيد هذا الرأي القرطبي حيث يقول: لما ذهب بالرأس إلى يزيد بعث به إلى المدينة، فأقدم إليه عدة من موالي بني هاشم، وضم إليهم عدة من موالي بني

---

(١) الوسائل ١٤: ٤٠٠، بحار الأنوار ١٠٠: ٢٤١ ح ١٩.
(٢) تذكرة الخواص: ٢٦٦.

سفيان ثم بعث بثقل الحسين، وجهزهم بكل شئ ولم يدع لهم حاجة بالمدينة إلا أمر لهم بها، وبعث برأس الحسين (عليه السلام) إلى عمرو بن سعيد بن العاص، وهو إذ ذاك
عامله على المدينة، فقال عمرو: وددت أنه لم يبعث به إلي، ثم أمر عمرو بن سعيد بن العاص برأس الحسين (عليه السلام) فكفن ودفن بالبقيع عند قبر أمه فاطمة عليها الصلاة
والسلام (١).

وابن كثير يؤيد رأي القرطبي، فيقول: روى محمد بن سعد: إن يزيد بعث برأس الحسين إلى عمرو بن سعيد نائب المدينة، فدفنه عند أمه بالبقيع (٢).

وابن تيمية أيضا يذهب إلى أن الرأس دفن في المدينة، فيقول: إن الذي ذكره من يعتمد عليه من العلماء والمؤرخين، أن الرأس حمل إلى المدينة ودفن عند أخيه (٣). وكان يستدل على أن الرجل إذا قتل سلموا رأسه وبدنه إلى أهله، كما فعل الحجاج في قتل ابن الزبير، وإن ما كان بينه وبينه من الحروب، أعظم بكثير مما كان بين الحسين وبين خصومه، فإن ابن الزبير ادعاها بعد قتل الحسين، وبايعه أكثر الناس، وحاربه يزيد حتى مات وجيشه محاربون له بعد الحرة، ثم تولى عبد الملك غلبه على العراق مع الشام، بعث إليه الحجاج بن يوسف، فحاصره الحصار المعروف حتى قتل، ثم صلبه، ثم سلمه إلى أمه (٤).

هذا هو الدليل الذي اعتمده ابن تيمية على مصير الرأس في المدينة، ولا يخفى على القارئ النابه من أن ابن تيمية فاته كثير من الذين قتلوا في الحروب قد صلبت رؤوسهم وطافوا بها في المدن، وخير مثال رأس زيد بن علي، كما في

---

(١) التذكرة ٢: ٦٦٨.
(٢) البداية والنهاية ٨: ٢٢١.
(٣) رأس الحسين: ١٩٧.
(٤) رأس الحسين: ٢٠٨.

رواية أبي الفرج الأصفهاني، قال: وجه يوسف بن عمر رأس زيد بن علي (رضوان الله عليه) ورؤوس أصحابه إلى هشام بن عبد الملك مع زهرة بن سليم (١). فلما جاء بالرأس إلى هشام بن عبد الملك نصبه على باب دمشق، ويروى أنه ألقى الرأس أمامه فأقبل الديك ينقر رأسه، فقال بعض من حضر من الشاميين (٢):

أطردوا الديك عن ذوابة زيد * لقد كان لا يطأه الدجاج

أما يحيى لما قتل (رضوان الله عليه) سلبوا ما كان عليه من درعه وثيابه وسلاحه وتركوه عريانا بصحراء الجوزجان، وساروا برأسه إلى نصر بن سيار، فوجه نصر بالرأس إلى الوليد بن يزيد بن عبد الملك، ثم أرسل نصر بن سيار إلى موضع يحيى بن زيد الذي هو مدفون فيه فاستخرجه واستخرجوا أخاه أبا الفضل (أخوه من الرضاعة) فصلبا جميعا بالجوزجان على قارعة الطريق وقيل على باب مدينة الجوزجان (٣).

بعد هذا لا يمكننا أن نعول على دليل ابن تيمية في كون الرأس مدفون بالمدينة.

رابعا – إنه مدفون بدمشق، قال ذلك سبط ابن الجوزي، وما حكاه ابن أبي الدنيا قال: وجد رأس الحسين (عليه السلام) في خزانة يزيد بدمشق فكفنوه ودفنوه بباب الفراديس. وقد أيد هذا الرأي كل من البلاذري والواقدي (٤).

وقد علق الأستاذ حسن الأمين على قول إنه مدفون بباب الفراديس بدمشق، فقال: وكان هذا الموضع المعروف الآن بمسجد أو مقام أو مشهد رأس

---

(١) مقاتل الطالبيين: ١٣٨.
(٢) الحدائق الوردية ٢: ١٥٠.
(٣) ينابيع المودة: ٣٨١.
(٤) تذكرة الخواص: ٢٦٦.

الحسين بجانب المسجد الأموي بدمشق، وهو مشهد مشيد عظيم.
خامسا – إنه بمسجد الرقة على الفرات بالمدينة المشهورة، ذكر ذلك عبد الله بن عمران الوراق في كتابه (المقتل) فقال: لما حضر الرأس بين يدي يزيد بن معاوية قال: لأبعثنه إلى آل أبي معيط عن رأس عثمان، وكانوا بالرقة، فبعثه إليهم فدفنوه في بعض دورهم، ثم أدخلت تلك الدار في المسجد الجامع، قال: وهو إلى جانب سدرة هناك وعليه شبيه النيل لا يذهب شتاء ولا صيفا (١).
سادسا – إنه بمصر، نقله بعض الخلفاء الفاطميون إلى القاهرة من مدفنه في عسقلان، وذلك أن يزيد بعد أن نصب الرأس ثلاثة أيام في دمشق وضعه في خزائن السلاح زيادة في التشفي على عادة العرب في الجاهلية، وظل في خزائن يزيد وخلفائه من بعده حتى عهد سليمان بن عبد الملك الذي غير الكثير من أمر أسلافه، وكان فيما غيرة أن أمر بدفن الرأس، ولكنه لم يدفنه في دمشق لأنه حدس بأن سيكون لمدفن رأس الحسين شأن يوما ما، بل دفنه في عسقلان بفلسطين، وفي العام ٤٥٨ نقله الفاطميون إلى مدفنه الحالي في القاهرة، وله فيه مشهد عظيم يزار.
وقد أيد هذا الرأي الشيخ عبد الله الشبراوي صاحب كتاب (الإتحاف بحب الأشراف). فقال: لما دفن الرأس الشريف ببلاد الشرق ومضى عليه مدة، أرشى عليه الوزير طلائع بن رزيك وأنفق ثلاثين ألف دينار، ونقله إلى مصر وبني عليه المشهد الشريف، وخرج وهو وعسكره حفاة إلى نحو الصالحية من طريق الشام يتلقون الرأس الشريف، ثم وضعه طلائع في برنس من حرير أخضر على كرسي من الأبنوس وفرش تحته المسك والطيب (٢).

---

(١) تذكرة الخواص: ٢٦٦.
(٢) الإتحاف بحب الأشراف: ٧٥.

وقد ذكر تقي الدين المقريزي: وفي شعبان سنة إحدى وتسعين وأربعمائة خرج الأفضل ابن أمير الجيوش بعساكر إلى بيت المقدس، وبه اسكان وأبلغاري ابنا أرتق في جماعة من أقاربهما وجندهما، وجماعة كثيرة من الأتراك، فراسلهما الأفضل يلتمس منهما تسليم بيت المقدس إليه من غير حرب، فلم يجيباه إلى ذلك، فقابل البلد ونصب عليها المنجنيق وهدم منها جانبا فلم يجدا بدا من الإذعان إليه وسلما إليه، فخلع عليهما وأطلقهما، وعاد في عسكره وقد ملك بيت المقدس فدخل عسقلان، وكان فيها مكان دارس فيه (رأس الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنه)) فأخرجه وحمله على سفط إلى أجل دار بها، وعمر المشهد بعسقلان إلى
أن نقل منها إلى القاهرة، وكان وصوله إلى القاهرة يوم الأحد ثاني جمادى الآخرة سنة ثمان وأربعين وخمسمائة، وكان الذي وصل بالرأس الشريف من عسقلان الأمير سيف المملكة تميم، وكان والي عسقلان والقاضي المؤتمن بن مسكين، واستقر الرأس الشريف بالقصر الذي هو فيه الآن بمصر يوم الثلاثاء عاشر جمادى الآخرة المذكور (١).

وقال صاحب مرشد الزوار: ذكر العلماء أن رأس الإمام الحسين (رضي الله عنه) كان بعسقلان، فلما كان في أيام الظاهر الفاطمي كتب عياش إلى الظاهر يقول: أما بعد فإن الإفرنج قد أشرفوا على أخذ عسقلان وأن بها رأسا يقال إنه رأس السيد الحسين (رضي الله عنه)، فأرسل من تختار ليأخذه فبعث إليه مكنون الخادم في عشاري من
عشاريات الخدمة، فحمل الرأس من عسقلان فأرسى له في الموضع المعروف بالكافوري من الخليج الحاكمي، فحمل وأدخل إلى القصر واستقر فيه كما هو الآن، وبنى الظافر بأعداء الله إسماعيل بن الحافظ لدين الله عبد المجيد الفاطمي مسجد

---

(١) الإتحاف بحب الأشراف: ٧٨.

الفاكهاني ليجعله فيه وذلك سنة تسع وأربعين وخمسمائة.
وبنى طلائع بن رزيك مسجدا بظاهر باب زويله وهو المسمى بجامع الصالح الآن ليجعله فيه، ثم اجتمع رأيهم أن يجعلوه بالقصر بقبة تعرف بقبة الديلم، وكانت دهليزا من دهاليز الخدمة، فبناه طلائع بن رزيك وأتقن بناءه ونقل الرأس الشريف إليه سنة خمس وخمسين وخمسمائة، وكان طلائع هذا صالحا سنيا وزيرا للفائز الفاطمي (١).
وقال ابن عبد الظاهر: إن الملك الصالح طلائع بن رزيك لما قصد نقل الرأس الشريف من عسقلان خوفا عليه من الإفرنج، بنى جامعه الذي هو الآن خارج باب زويله ليدفن الرأس ويفوز بهذا الفخار، فغلب أهل القصر على ذلك وقالوا: لا يمكن ذلك إلا عندنا، فعمدوا إلى هذا المكان وبنوه ونقلوا إليه الرخام، وذلك في خلافة الفائز علي بن طلائع في سنة تسع وأربعين وخمسمائة (٢).
وهذا الرأي ما يؤيده المؤرخ الأستاذ حسن الأمين حيث يقول: وهذا الرأي الأخير هو الذي يؤيده التاريخ وينتهي إليه كل تحقيق تاريخي، وهو ما أخذت به بعد بحث طويل (٣).
وقال: يؤيد المؤرخ الفلسطيني مصطفى الدباغ، دفن رأس الحسين في عسقلان مستشهدا برواية شعبية يتناقلها أهالي قرية (زرنوقة) القريبة من مدينة الرملة، عن الآباء والأجداد فيشيرون إلى مكان محدود من قريتهم ويذكرون باعتزاز: (إن القافلة قد استراحت هنا وهي في طريقها إلى عسقلان) (٤).

---

(١) الإتحاف بحب الأشراف: ٨١.
(٢) المصدر السابق: ٧٩.
(٣) دائر المعارف الإسلامية الشيعية ١: ٤٤٢.
(٤) المصدر السابق ١: ٤٤٢.

هذه هي أقوال الرواة في مسألة دفن الرأس الشريف، وأعتقد صواب رأي الأستاذ الأمين فيما ذهب إليه حيث إن مشهد رأسه الشريف في مصر معظما على بقية المشاهد التي تنسب إليه، حيث خصصت له الأوقاف منذ الوهلة الأولى لتشييد بنائه الشامخ، كما أن المصريين يذكرون باعتزاز كرامات هذا المشهد المطهر، وقد مدحته الشعراء وأثنت عليه، فقد قال عبد الله الشبراوي: وقد كثرت القصائد والأشعار في مدح هؤلاء القوم الأطهار سيما في هذا المشهد الأنور والمعبد الأزهر.

وقال أيضا: لأبي الخطاب بن دحية في ذلك جزء لطيف مؤلف، واستفتى القاضي زكي الدين عبد العظيم في ذلك، فقال: هذا مكان شريف، وبركته ظاهرة، والاعتقاد فيه خير، والسلام (١).

وما أجد هذا المشهد الشريف، والضريح الأنور المنيق، حيث يقول القائل: (٢)

نفسي الفداء لمشهد أسراره * من دونها ستر النبوة مسبل
ورواق عز فيه أشرف بقعة * ظلت تحار لها العقول وتذهل
تغضي في بهجته النواظر هيبة * ويرد عنه طرفه المتأمل

ومع هذا فنحن نقول كما قال سبط ابن الجوزي رحمه الله: ففي أي مكان رأسه أو جسده فهو ساكن في القلوب والضمائر، قاطن في الأسرار والخواطر، أنشد بعض أشياخنا في هذا المعنى: (٣)

---

(١) الإتحاف بحب الأشراف: ٨٣.
(٢) المصدر السابق: ٨٢ - ٨٣.
(٣) تذكرة الخواص: ٢٦٦.

لا تطلبوا المولى حسين * بأرض شرق أو بغرب
ودعوا الجميع وعرجوا * نحوي فمشهده قلبي

وقفة مع ابن تيمية في كتابه رأس الحسين (عليه السلام)

لابن تيمية كتيب صغير سماه (رأس الحسين)، حققه الدكتور السيد الجميلي، قال الدكتور الجميلي عن عمله في هذا الكتاب: " ناقشنا آراء ابن تيمية وفي حالة عدوله عن الحقيقة بحسن نية طبعا، رددنا عليه بآراء العلماء والمؤرخين الكبار الذين أخذ عنهم، مثل الطبري والمسعودي وابن عبد ربه والقاضي ابن العربي والإمام القرطبي " (١).

أول ما بدأ ابن تيمية كلامه في كتابه المذكور، حملته الشعواء على رواة الشيعة، ناعتا إياهم بالرافضة وأهل الكذب، ففي معرض كلامه يقول: (فإنهم ينقلون أحاديث وحكايات، ويذكرون مذاهب ومقالات، وإذا طالبتهم بمن قال ذلك ونقله؟ لم يكن لهم عصمة يرجعون إليها، ولم يسموا أحدا معروفا بالصدق في نقله، ولا بالعلم في قوله. بل غاية ما يعتمدون عليه، أن يقولوا: أجمعت الطائفة الحقة، وهم عند أنفسهم الطائفة الحقة، الذين هم عند أنفسهم المؤمنون، وسائر الأمة كفار " (٢).

ثم يبدأ هجومه أيضا على الأئمة المعصومين وبالذات على الإمام المنتظر (عج)، فهو يقول: " ويقولون: إنما كانوا على الحق لأن فيهم الإمام المعصوم، والمعصوم عند الرافضة الإمامية الاثني عشرية، هو الذي يزعمون أنه

---

(١) رأس الحسين: ١٧٩.
(٢) المصدر السابق: ١٨٣.

دخل سرداب سامرا بعد موت أبيه الحسن بن علي العسكري، سنة ستين ومائتين، وهو إلى الآن لم يعرف له خبر، ولا وقع له أحد على عين ولا أثر " (١).
ثم يتمادى في غيه ويشدد هجومه، ويعتبر الإمام المنتظر ما هي إلا فكرة عند الجهال الضلال (٢).
فابن تيمية الحنبلي المملوء حقدا على أئمة الرسالة، هذا الحقد الذي تراكم وضاق به صدره حتى نفثه لسانه، وثم تلافقته أقلام السوء والضلال تروي عنه، وتكيل له المديح وتعتبره شيخ الإسلام بلا منازع.
والذي يهمنا الآن من ابن تيمية هو ما جاء في كتابه عن رأس الحسين.
فابن تيمية ينكر حمل الرأس الشريف إلى يزيد في الشام فهو يقول: " فقد تمن أن القصة التي يذكرون فيها حمل الرأس إلى يزيد، ونكثه بالقضيب كذبوا بها ".
وكان يعتمد على دعم حجته بأن الرأس حمل إلى قدام عبيد الله بن زياد، وفي حضرة أبي برزة الأسلمي، ويقول أيضا: " بعض الناس روى بإسناد منقطع: إن هذا النكث كان بحضرة يزيد بن معاوية، وهذا باطل، فإن أبا برزة، وأنس بن مالك، كانا بالعراق ولم يكونا بالشام، ويزيد بن معاوية كان بالشام، لم يكن بالعراق حين قتل الحسين، فمن نقل أنه نكث بالقضيب بحضرة هذين قدامه فهو كاذب قطعا، كذبا معلوما بالنقل المتواتر " (٣).
فابن تيمية بروايته هذه، أنكر آراء جميع المؤرخين الذين سبقوه بمئات السنين (٤)، الذين اتفقوا على أن الرأس حمل إلى الشام، كما أيده الطبري في

---

(١) المصدر السابق: ١٨٤.
(٢) رأس الحسين: ١٨٤.
(٣) المصدر السابق: ١٩٩.
(٤) توفي ابن تيمية سنة ٧٢٨ ه.

تأريخه، وابن الأثير في الكامل، وابن كثير في البداية والنهاية، والمسعودي في مروج الذهب.
أما المشاهد الأخرى التي ذكرت لرأس الحسين في دمشق والرقة وعسقلان والقاهرة فهو ينكرها جملة وتفصيلا، حيث يقول: " والمقصود هنا إن نقل رأس الحسين إلى الشام لا أصل له في زمن يزيد، فكيف ينقله بعد يزيد " (١).
ثم يزداد شيخ الإسلام في تخبطه، ويصرح بأن أهل البيت لم يسبى منهن أحد، ويتهم من يقول ذلك بأن لا عقل له يميز به ما يقول، ولا له إلمام بمعرفة المنقول!
فقط ابن تيمية يميز ما يقول، وله إلمام بمعرفة المنقول، وإلا كيف توصل مؤرخنا الكبير إلى أن الحجاج هو الذي قتل آل البيت! وابن تيمية فاته أيضا بأن الحسين لم يقتله يزيد إنما قتله الحجاج!!
أما نص ما قاله ابن تيمية: " وما ما يرويه من لا عقل له يميز فيه ما يقول، ولا له إلمام بمعرفة المنقول، من أن أهل البيت سبوا، وأنهم حملوا على البخاتي، وأن البخاتي نبت لها من ذلك الوقت سنامان، فهذا الكذب الفاضح لمن يقوله، فإن البخاتي لا تستر امرأة، ولا سبى أهل البيت أحد، ولا سبي منهن أحد، بل هذا كما يقولون: الحجاج قتلهم " (٢). كما يذكر في جانب آخر بأن الحجاج لم يقتل أحدا من بني هاشم، كما عهد إليه خليفته عبد الملك (٣).
وقد أثنى ابن تيمية على يزيد بارتكابه الأفعال الشنيعة فيقول: " وكان له موقف بالقسطنطينية، وهو أول جيش غزاها، ما يعد من الحسنات!! " (٤).

---

(١، ٤) رأس الحسين: ٢٠٧.
(٢، ٣) المصدر السابق: ٢٠٨، ولم يرد السيد الجميلي على روايته!

ثم يعرج إلى المتوكل ويعتبره من الأئمة الذين أنكروا على الشيعة بناء قبر الحسين (عليه السلام)، ويؤيد ما فعله بقبر الحسين (عليه السلام) فيقول: " وكانوا عند مقتل الحسين
بكربلاء، قد بنوا هناك مشهدا، وكان ينتابه أمراء عظام، حتى أنكر ذلك عليهم الأئمة، وحتى أن المتوكل تقدم فيه بأشياء، يقال: إنه بالغ فيه إنكار ذلك، وزاد على الواجب!) (١).

ولم يقتصر ابن تيمية عند هذا الحد بل أنكر قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام) في النجف، وادعى أنه قبر المغيرة بن شعبة، ثم أخذ يكيل الذم لبني
بويه، ويقدحهم قدحا لاذعا، ويعتبرهم سببا بإظهار قبر الإمام علي (عليه السلام) فيقول: " وقريبا من ذلك، ظهر بنو بويه الأعاجم، وكان كثير منهم زندقة وبدع
قوية، وفي دولتهم قوى بنو عبد القداح بأرض مصر، وفي دولتهم أظهر المشهد المنسوب إلى علي (رضي الله عنه) بناحية النجف، إلا فقبل ذلك لم يكن أحد يقول: إن قبر علي
هناك، إنما دفن علي (رضي الله عنه) بقصر الإمارة بالكوفة، وإنما ذكروا إنه حكي عن الرشيد،
إنه جاء إلى بقعة هناك، وجعل يعتذر إلى المدفون فيها، فقالوا: إنه علي، وإنه اعتذر إليه مما فعل بولده، فقالوا: هذا هو قبر علي، وقد قال قوم: إنه قبر المغيرة بن شعبة " (٢).

ثم يتناول شيخ الإسلام الشيعة، فيشن عليهم هجوما عنيفا، فمرة يصفهم بأهل الكذب والضلال، وأخرى بأهل البدع المنكرة، ثم يجعل لهم شبه شديد بالنصارى فيقول: " إن الذين يعظمون القبور والمشاهد لهم شبه شديد بالنصارى " (٣).

---

(١، ٢) رأس الحسين: ١٩٥ - ١٩٦.
(٣) رأس الحسين: ١٩١.

لقد عاب ابن تيمية على الشيعة بناء قبور أئمتهم وإبرازها بما يليق بمكانتهم السامية بين المسلمين فيعتبر هذا مروق عن الدين، ومخالفة لإجماع المسلمين، والواجب أن يستتاب، فإن تاب وإلا قتل (١).

ثم يقول: نص على ذلك أئمة الإسلام من أهل المذاهب الأربعة، تبعه على رأيه ذلك محقق الكتاب السيد الجميلي، فراح أي الجميلي يسرد في هامش الكتاب آراء المذاهب الأربعة في تحريم البناء على القبور (٢). وفات الأستاذ الجميلي البناء الفخم الذي شيد على قبر أبي حنيفة، إمام مذهب الحنفية في الأعظمية ببغداد.

كما فاته أيضا البناء الضخم الذي ضم ضريح عبد القادر الگيلاني في بغداد أيضا، وغيرها كثير سواء في بغداد أو القاهرة أو دمشق أو بقية عواصم المسلمين.

كانت هذه وقفة قصيرة مع صاحب الآراء المتطرفة ابن تيمية، وقد ظهر في كتيبه متخبطا في أفكاره يبتعد كثيرا عن موضوعه الأساسي، لكنه جعله ذريعة لصب جام غضبه على أهل البيت، وإلا ما علاقة ولاية أمير المؤمنين (عليه السلام) بموضوعه

(رأس الحسين) فيقول: " وبمثل ذلك علمنا كذب من يدعي النص على علي "، والمتتبع لابن تيمية في كتابه هذا يخرج بحصيلة إنه لا يحسد ابن تيمية على سعة اطلاعه ومعرفته بالتاريخ، وإن ما أوردناه من بعض ما ذكر شيخ الإسلام يبقى للقارئ الكريم الحرية في إصدار حكمه، لأن القارئ النابه هو الذي يميز الغث من السمين.

* * *

---

(١) رأس الحسين: ٢١٣.

(٢) المصدر السابق: ٢١٤.

المصادر والمراجع


١ – القرآن الكريم.
٢ – آمالي الصدوق: للشيخ الصدوق.
٣ – آمالي الطوسي: للشيخ الطوسي.
٤ – الإتحاف بحب الأشراف: للشبراوي.
٥ – إثبات الهداة: للحر العاملي.
٦ – إحقاق الحق: للتستري.
٧ – أخبار الدول: للقرماني.
٨ – أدب الطف: لجواد شبر.
٩ – الأربعون: للمجلسي.
١٠ – الإرشاد: للشيخ المفيد.
١١ – إرشاد القلوب: للديلمي.
١٢ – الأرض والتربة الحسينية: لمحمد حسين المظفر.
١٣ – أسد الغابة: لابن الأثير.
١٤ – الاستشفاء: لأبي المعالي الأصفهاني.
١٥ – الإستيعاب: لابن عبد البر.
١٦ – الإصابة: لابن حجر العسقلاني.
١٧ – أعيان الشيعة: لمحسن الأمين.
١٨ – الأغاني: لأبي الفرج الأصفهاني.
١٩ – الإقبال: للشيخ الصدوق.
٢٠ – الأنباء في تاريخ الخلفاء: للسيوطي.
٢١ – أنساب الأشراف: للبلاذري.
٢٢ – الايقاظ من الهجعة: للحر العاملي.
٢٣ – البداية والنهاية: لابن كثير.
٢٤ – البدء والتاريخ: لابن كثير.
٢٥ – بحار الأنوار: للمجلسي.
٢٦ – بغية النبلاء في تاريخ كربلاء: للكليدار.
٢٧ – بلوغ الإرب في فنون الأدب: لمحمد شكري الآلوسي.
٢٨ – تاج العروس: للزبيدي.
٢٩ – تاريخ الإسلام: للذهبي.
٣٠ – تاريخ ابن خلدون: لابن خلدون.
٣١ – تاريخ بغداد: للخطيب البغدادي.
٣٢ – تاريخ الخلفاء: لابن عساكر.

٣٣ – تاريخ الطبري: للطبري.
٣٤ – تاريخ العراق بين احتلالين: لعباس العزاوي.
٣٥ – التاريخ الكبير: للبخاري.

٣٦ – تاريخ كربلاء: لعبد الحسين الكليدار.
٣٧ – تاريخ مختصر الدول: لابن العبري.
٣٨ – تاريخ المملكة العربية السعودية: لصلاح الدين المختار.
٣٩ – تاريخ اليعقوبي: لليعقوبي.
٤٠ – تذكرة الأمة: للسبط أبي المظفر.
٤١ – تذكرة الحفاظ: للذهبي.
٤٢ – تذكرة الخواص: للسبط ابن الجوزي.
٤٣ – تراث كربلاء: لسلمان آل طعمه.
٤٤ – تسلية المجالس: للحائري.
٤٥ – تفسير ابن فرات: لابن إبراهيم الكوفي.
٤٦ – التهذيب: للشيخ المفيد.
٤٧ – تهذيب الكمال: ليوسف المزي.
٤٨ – ثواب الأعمال: للشيخ الصدوق.
٤٩ – ثورة الزنج في البصرة: للسيد تحسين الموسوي.
٥٠ – التنبيه والإشراف: للمسعودي.
٥١ – الجامع الكبير: للسيوطي.
٥٢ – الجرح والتعديل: لابن أبي حاتم.
٥٣ – جمع الجوامع: للسيوطي.
٥٤ – جمهرة المغنين: لخليل مردم بيك.
٥٥ – الجوهر الثمين: لابن دقمان.
٥٦ – الحدائق الوردية: لأبي حسن بن أحمد المحلي.
٥٧ – الحسين بن علي: لابن العديم.
٥٨ – الحسين في الفكر المسيحي: لانطوان بار.
٥٩ – حلية الأبرار: للسيد هاشم البحراني.
٦٠ – الحوادث الجامعة: لابن الفوطي.
٦١ – خزانة الأدب: لعبد القادر البغدادي.
٦٢ – الخصائص الكبرى: للسيوطي.
٦٣ – الخصال: للشيخ الصدوق.
٦٤ – دائرة المعارف الشيعة: لحسن الأمين.
٦٥ – دائرة المعارف: للحائري.
٦٦ – دلائل النبوة: للبيهقي.
٦٧ – ديوان الجواهري: للجواهري.
٦٨ – ديوان السيد الحميري: للسيد الحميري.

٦٩ – ديوان الصاحب بن عباد: للصاحب بن عباد.
٧٠ – ديوان الشريف الرضي: للشريف الرضي.
٧١ – ذخائر العقبى: لمحب الدين الطبري.
٧٢ – رأس الحسين: لابن تيمية.
٧٣ – الرجعة: للاسترآبادي.
٧٤ – رحلة ابن بطوطة: لابن بطوطة.
٧٥ – روضات الجنات: لمحمد باقر الخوانساري.
٧٦ – سير أعلام النبلاء: للذهبي.

٧٧ – سيرتنا وسنتنا: للأميني.
٧٨ – شرح نهج البلاغة: لابن أبي الحديد.
٧٩ – الشريف الرضي: لمحمد هادي الأميني.
٨٠ – الصراط السوي: للشيخاني.
٨١ – صفين: لنصر بن مزاحم.
٨٢ – الصواعق المحرقة: لابن حجر الهيتمي.
٨٣ – طبقات ابن سعد: لابن سعد.
٨٤ – طرح التهذيب: للعراقي.
٨٥ – العقد الفريد: لابن عبد ربه.
٨٦ – علل الشرايع: لمحمد علي بن بابويه القمي.
٨٧ – عمدة الطالب: لابن عنبه.
٨٨ – عيون أخبار الرضا: للشيخ الصدوق.
٨٩ – الفتوح: للبحراني.
٩٠ – الفتوح: لابن أعثم الكوفي.
٩١ – فرحة الغري: لابن طاووس.
٩٢ – فقه الرضا: للإمام الرضا.
٩٣ – القاموس المحيط: للفيروز آبادي.
٩٤ – الكافي: للكليني.
٩٥ – الكامل في التاريخ: لابن الأثير.
٩٦ – الكامل في الأدب: للمبرد.
٩٧ – كامل الزيارات: لابن قولويه.
٩٨ – الكفاية: للگنجي.
٩٩ – كفاية الطالب: للگنجي الشافعي.
١٠٠ – كفاية الأثر: لعلي بن محمد القمي الرازي.
١٠١ – كنز العمال: للمتقي الهندي.
١٠٢ – لسان العرب: لابن منظور.
١٠٣ – ماضي النجف وحاضرها: لجعفر آل محبوبه.
١٠٤ – مجالي اللطف: للشيخ محمد السماوي.
١٠٥ – المجتمع: للهيثمي.
١٠٦ – مجمع البحرين: لفخر الدين الرازي.
١٠٧ – مجمع الزوائد: للهيثمي.
١٠٨ – مجمع التذكرة: للقرطبي.
١٠٩ – المحاسن: للبرقي.

١١٠ – مختصر بصائر الدرجات: لحسن بن سليمان الحلي.
١١١ – المختصر في أخبار البشر: لأبي الفداء.
١١٢ – مراصد الاطلاع: لعبد المؤمن البغدادي.
١١٣ – مروج الذهب: للمسعودي.
١١٤ – المستدرك: للحاكم النيسابوري.
١١٥ – مسند أحمد: لأحمد بن حنبل.
١١٦ – مشكاة المصابيح: للخطيب العمري.
١١٧ – مصباح المتهجد: للشيخ الطوسي.
١١٨ – المطالب العالية: لابن حجر العسقلاني.

١١٩ – المعجم الكبير: للطبراني.
١٢٠ – معجم البلدان: لياقوت الحموي.
١٢١ – مقاتل الطالبيين: لأبي الفرج الأصفهاني.
١٢٢ – مقتل الحسين: للخوارزمي.
١٢٣ – مناقب الخوارزمي: للخوارزمي.
١٢٤ – المنتظم: لابن الجوزي.
١٢٥ – موسوعة العتبات المقدسة: لجعفر الخليلي.
١٢٦ – المناقب: لابن شهرآشوب.
١٢٧ – ميزان الاعتدال: للذهبي.
١٢٨ – نهاية الإرب: للنويري.
١٢٩ – نوادر علي بن أباط: لعلي بن أسباط.
١٣٠ – وفيات الأعيان: لابن خلكان.
١٣١ – ينابيع المودة: للقندوزي.
١٣٢ – يتيمة الدهر: للثعالبي. ت